



# مسلسلات التاريخ الفريقة

تأليف: كولين ماكينيقيدي      ترجمة: مختار السويفي







رابط بديل  
[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

# مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



twitter



facebook



instagram



مكتبة لسان العرب



أطلس التاريخ الافريقي

الغلاف والاخراج الفنى  
سمد عبدالوهاب

# أصل التأريخ الفريقي

تأليف: كولين ماكيثيدي

ترجمة: مختار السويفي

مراجعة: محمد العزب موسى



المكتبة المصرية العامة للكتاب  
١٩٨٧



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

رابط بديل

هذه ترجمة لكتاب :

THE PENGUIN  
ATLAS OF  
AFRICAN HISTORY.  
BY: COLIN MCEVEDY.

---

\* الصور الداخلية منقولة من كتاب :

THE ART OF BENIN  
BY : PAULA BEN - AMOS

## ● مقدمة المترجم :

عرفت نهر النيل لأول مرة في الأربعينات . و كنت آنذاك تلميذًا بالسنة الثانية بمدرسة خليل أغا الابتدائية الأميرية . و كنت أفضل حصص الجغرافيا عن بقية حصص العلوم الأخرى . وأذكر جيداً كيف جاهد أستاذ الجغرافيا لإفهامنا أن النيل « نهر » وليس بحرا كما نقول .. فقد كان الشائع أيامئذ تسميته ببحار النيل .. بل وكان يسمى في أغلب الأحيان « البحر » فقط دون إقرانه بكلمة النيل .

وعندما كان يفيض هذا النهر العظيم كل عام .. كان الأطفال من الصبيان والبنات ، في كل القرى والمدن المصرية ، وفي جميع الأزقة والخارات والشوارع ، يغنوون أغنية شعبية ذات لحن عذب وكلمات بسيطة ، وإن كان بعضها غير مفهوم : « البحر زاد .. عوف الليه .. فاض ع البلاط .. عوف الليه » .. !

أما الآباء والأمهات فقد كانوا يمسكون أنفاسهم وقت الفيضان ، فهو الوقت الذي يزمع فيه الجو ويمتلئ بالرطوبة ، ويتشر فيء بين الأطفال مرض جلدي عارض اسمه « حمو النيل » .. !

وفي يوم ما ، قال لنا أستاذ الجغرافيا : إن نهر النيل ينبع من قلب أفريقيا .. وكانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة أفريقيا ، التي كانوا يصفونها دائمًا ، سواء في الكتب أو في الدروس الملقاة على تلاميذ المدارس بأنها : القارة السوداء .. القارة المظلمة .. القارة المجهولة .. أرض الغابات حيث تصبح الدنيا كلها أشجاراً في أشجار .. وحيث

الأسود والنمور والوحش الضاربة تتجول في كل مكان ، والثعابين والحيات الضخمة التي يصل طولها إلى تسعة أمتار .. وملائين القرود تتسلق كل شيء .. أما الناس الأفريقيون ، فكلهم سود مثل سواد الفحم ، وأغلبهم يأكلون لحوم البشر ، وبعضهم أفراد لا يزيد طول الفرد منهم عن متر واحد .. !

هذا بالضبط ما كان يريد الاستعمار الخبيث أن يبيه في عقول الناس في جميع قارات العالم الأخرى ، بل وما في ذلك قارة أفريقيا نفسها ، خصوصاً بالنسبة لسكان المناطق العربية شمال الصحراء الكبرى .

وهكذا تخفي الفكر الاستعماري وراء أفلام طرزان ، يدعم بها أكاذيبه التي كان يطلقها عن أفريقيا والأفريقيين .. حيث تظهر القبائل الأفريقية في صورة الممج المتواضعين ، وحيث يظهر الفرد الأفريقي في شكل قبيح بشع ثيف ، يدل على أنه بدائي جاهل بحرف وغير متحضر ، عدواني الطبع ، يتلذذ بتعديب الرجل الأبيض قبل أن يقتله بأبشع أنواع القتل والإعدام ، تمهيداً لاتهامه وأكله باهباء الشفاء .. !

ومامن قارة من قارات العالم حاقت بها ويتاريخها الأكاذيب مثل أفريقيا . وللأسف الشديد فإن معلومات الناس في مختلف أنحاء العالم عن قارة أفريقيا ، كانت عن طريق تلك الأكاذيب التي حاكتها الدول الاستعمارية الأوروبية ، التي تكالبت كالوحش الضاربة على جسم القارة وأجسام أهلها .. تتنازع فيما بينها لتهش أكبر نصب مستطاع من تلك القارة ، التي تمرقت أوصالها بالفعل بين أنیاب الدول البيضاء التي كانت تدعى دائماً أنها جاءت إلى القارة لتحضر هؤلاء الهمج البدائيين ، وتخرجهم من الظلمات إلى النور .. وهذا في حد ذاته كذب وافتراء . فقد كان دخول المستعمر الأبيض إلى أرض القارة ، يعتبر أكبر كارثة ومصيبة حقيقة لحقت بالقارنة وأهلها .

استبعد الاستعمار الأرض ومن عليها من شعوب وقبائل وجماعات . وانقلب حياة الأفريقيين جيناً رأساً على عقب ، فتألبوا بعضهم على بعض ، وجعلوا الحياة الآمنة الواعدة التي كانت تعيشها الشعوب الأفريقية أمراً بعيد المنال ، بل وتحولوها إلى جحيم يقوم على الدماء وقنص العبيد ، تماماً مثل قنص واصطياد الحيوان . وهكذا أصبحت بعض الشعوب الأفريقية تمارس تجارة العبيد بما فيها من عمليات القنص والاصطياد ، وتقوم بنفسها بتوريد هؤلاء العبيد - وهم إخوانهم من الأفريقيين - إلى التخاسين لتسويقهم في مناطق العالم الجديد .

ولى جانب استئراف البشر على مثل هذا النحو المشين ، استنزفت الدول الاستعمارية الأوروبية كل ثروات القارة بمختلف أنواعها وعلى أي شكل تكون .. وهكذا سرقت من أفريقيا مئات الملايين من أطنان الحديد والنحاس والصفير والمنجنيز

والفوسفات والذهب والماس والاليورانيوم والأخشاب والجلود والمعاج والبن والكافايت والشاي ، وغير ذلك من الممتلكات الأفريقية التي لا يمكن تقديرها إلا بعشرات الملايين من الدولارات .

ورغم هذا الثراء الفاحش الذي كانت تحصل عليه الدول الاستعمارية الأوروبية ، فقد حرص الاستعمار بصفة عامة على استمرار الجهل والفقر سائدين في أساليب الحياة اليومية لمعظم الأفارقة ، لضمانبقاء عيونهم مغمضة عن عمليات السلب والنهب المنظمة التي تقوم بها الدول الاستعمارية ضد ممتلكات الأفارقة .

وكل هذه الحقائق المؤكدة عن دور الاستعمار الأوروبي لأفريقيا ، تكشفت تباعاً منذ بداية منتصف هذا القرن ، حين بدأت الصحوة الوطنية تم شغاف قلوب الشعوب المغلوبة على أمرها في كل من قارق آسيا وأفريقيا ، وحيث بدأ الكفاح الوطني في كل من الهند ومصر – في أعقاب الحرب العالمية – يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أيام الاستعمار أصبحت معدودة ، وأن الأوان قد آن لوضع حد لسيطرة المستعمرات على رقاب الشعوب ، وأن تطوى تلك الصفحة البشعة من تاريخ الإنسانية ، ليبدأ عصر جديد تتولى فيه الشعوب أمر نفسها ، وأن يقول الحق إلى مستحقه وأصحابه .

وبعد حصول مصر على استقلالها عن الاستعمار البريطاني الذي جثم على صدرها واستنزف خيراتها لأكثر من سبعين عاماً ، حاول الاستعمار التقليدي القديم – وهو يلفظ آخر أنفاسه – أن يستعيد ذكريات الماضي الأسود حين كان يستعمل الأساطيل الحربية كمقدمة للأساطيل التجارية التي ستستخدم لشحن ما يتم به وسلبه من خيرات البلاد . ولذلك فقد تعرضت مصر لهجمة شرسة ، سميت بالعدوان الثلاثي ، بسبب اشتراك إسرائيل مع كل من القوى الاستعمارية في فرنسا وإنجلترا .

ومن الغريب أن جميع الدول والشعوب في معظم أنحاء العالم ، قد وقفت إلى جانب مصر التي واجهت هذا العدوان بشجاعة لا حد لها ، واستماتت في مكافحته حتى انتصرت عليه ، وخرجت جيوش الاستعمار القديم تجرأ أذى الخيبة والفشل الذريع .. وتأكد لكل المستعمرات التقليديات أن عصرهم الذهبي قد ول إلى غير رجعة .

ومازال جيلنا يذكر الدور الرئيسي والهام الذي قامت به مصر منذ منتصف الخمسينيات وكل فترة السبعينيات ، حيث بدأت مصر بتوجيه الإذاعات باللغة السواحلية المتشربة بين شعوب شرق أفريقيا ، وبأشهر اللغات واللهجات المحلية السائدة بين شعوب مناطق غرب أفريقيا .

وقادت مصر آنذاك حملة إعلامية وسياسية واسعة النطاق ، لتبرير الأفارقة في

مختلف مناطق القارة بالدور الإجرامي الذي قام به الاستعمار في امتصاص دم القارة ، وتشجيع الأفريقيين في كل مكان لإعلان الكفاح ضد الاستعمار والمستعمرات ، وأن معارك الشعوب الصادقة ضد المستعمرات ستؤدي بالضرورة إلى إزاحتهم وطردهم وتخلص البلاد منهم ومن أطماعهم ، وإنهاء التبعية والتغذى الاستعماري من كل أفريقيا ، وعودة القارة إلى أهلها حرمة مستقلة .

ويقول بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين ، أن مصر قد استفادت الكثير من موارد其 الاقتصادية التي كانت تحتاجها للتنمية الداخلية بسبب تأييدها للأفريقيين ومساعدتهم بكل طريقة لإنهاء الاستعمار التقليدي في معظم مناطق القارة .

وفي تلك الأونة بدأنا نعرف الكثير من الأوضاع السياسية عن أفريقيا والأفريقيين ، وعن تلك الدول الأفريقية التي أخذت تحصل على استقلالها وتحرر من الاستعمار واحدة بعد أخرى ، وعن تلك الشعوب الأفريقية التي مازالت تكافح الاستعمار في مواطنها وتحاول القضاء عليه ، وعن هؤلاء السود الذين أصبحوا يستمدون ويستشهدون في سبيل مقاومة سيطرة البيض على موارد بلادهم :

ويجاذب هذا الفيض الهائل من النشاط الإعلامي للتعریف بأفريقيا الحديثة ، كان هناك نشاط قليل – ولكنه ملحوظ على نحو ما – في التعريف بتاريخ القارة وتاريخ شعوبها وقبائلها ، خصوصاً بالنسبة للمناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . غير أن هذا لم يكن من المدهش أو الغريب . فأفريقيا – لسوء حظها – كانت أقل قارات العالم من ناحية اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين على حد سواء . بل ولم يصبح التاريخ الأفريقي عمل دراسة علمية على أساس صحيحة إلا في بداية الخمسينيات ، حين ظهرت الأقسام الجديدة في مختلف الكليات والمعاهد والجامعات الأوروبية والأمريكية [ ثم المصرية فيما بعد ] لدراسة تاريخ القارة طبقاً للمناهج العلمية السليمة ، وإبراز تاريخ الشعوب والقبائل الأفريقية وفقاً لمعلومات ودلائل جادة بعيدة عن منهج التهريج الذي انتهجه الاستعمار فيما مضى .

وليسنا نعني بهذا أن هذه الدراسات التاريخية الحديثة عن أفريقيا والأفريقيين ، تعتبر جديدة تماماً أو غير مسبوقة ، أو أنها تنشأ الآن إنشاء . ذلك لأننا لا نستطيع أن نغفل ما ذكره المؤرخون القدماء عن تاريخ أو جغرافية القارة . وعلى سبيل المثال نشير إلى ما ذكره « هيرودوت » من أخبار تلك الرحلة التي أمر بإعدادها أحد فراعنة مصر – الملك نخاو – في سنة ٥٩٥ ق.م لتقوم بالدوران حول أفريقيا .. وإلى ما ذكره « بوليبوس » من أخبار الرحلة البحرية التي قام بها القرطاجيون سنة ٤٧ ق.م لزيارة سواحل غرب أفريقيا حتى وصلوا إلى ما بعد السنغال .. وإلى ما ذكره « بليني » عن أعمال الرومان داخل حدود امبراطوريتهم في مناطق شمال أفريقيا .. وإلى تلك التحفة

التاريخية النادرة التي تركها العالم المصري القديم « بطلميوس الجغرافي » الذي رسم - في القرن الثاني الميلادي - أول خريطة عرفها العالم عن تصور شكل أفريقيا ومتابع نيلها .

ونذكر كذلك ما دونه الأفريقيون - في شمال القارة وجنوبيها - في خلال العصور الوسطى من تاريخ القارة وتاريخ أهلها . وإن كانت ثمة اختلافات بين منهج التدوين في كل من الشمال والجنوب . فبالنسبة للشمال كان المؤرخون والرجال العرب الأفريقيون أمثال ابن بطوطة وابن خلدون ، يملكون وسائل التدوين بالقلم والقرطاس . أما في أواسط القارة وجنوبيها ، فقد دون الأفريقيون تاريخ آبائهم وأجدادهم في ذاكرة الشعوب على شكل حكايات مروية تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك المنهج ، التاريخ التفصيلي المرتب زمنياً [ كرونيكال Chronicle ] لمنطقة بوجندا ، والذي يغطي مساحة زمانية تستغرق نحو أربع مائة سنة من تاريخ تلك البلاد . وقد تميزت البحوث التاريخية التي قام بها العلماء العرب والأوربيون الذين تناولوا عرض تاريخ القارة وأهلها ، بأنها تعتمد تماماً على وصف المشاهدة والمعاينة ، مع تدوين ما يستمعون إليه من الرواية الأفريقيين المحليين المتخصصين في حفظ تاريخ وبطولات الآباء والأجداد وما تعرضت إليه بلادهم من ملمات وأحداث .

كما نذكر أيضاً ما دونه المؤرخون ذوو الطابع الخاص من الأوروبيين والأفريقيين الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين . ونقول أن هؤلاء المؤرخين كانوا ذوي طابع خاص لأن أغلبيتهم كانت من الرواد والمستكشفين والبشرى الأوروبيين الذين أخذوا يذرعون أنحاء القارة طولاً وعرضًا ، ومن بعض المؤرخين المفترضين الذين أرخوا الأعمال التي قام بها عتاة المستعمرين وقواد الحروب الاستعمارية من كانوا يسمونهم « بناء الإمبراطوريات » . فقد ظهرت على سبيل المثال بحوث عن سياسة سيسيل رودس الذي كان يدعى أن أفريقيا بريطانية من القاهرة إلى الكيب ، ويبحث عن سياسة ليوبولد ملك بلجيكا الذي كان يدعى أنه يملك أفريقيا الاستوائية من الأطلنطي إلى الهندى .

وفي مثل هذا المجال أيضاً ظهرت بحوث تاريخية دونها بعض المقيمين الأوروبيين من موظفي الإدارات والمصالح التابعة للدول الأوروبية المستعمرة ، حيث قام بعضهم بكتابه تاريخ المناطق التي أوفدوا للإقامة فيها . ونذكر منهم ، كلاريدج البريطاني الذي كتب في سنة ١٩١٥ مختصرًا لتاريخ منطقة ساحل الذهب .. ودبلادو البرتغالي الذي كتب عن تاريخ أنجولا .. وچيري الذي كتب بحثاً عن نيجيريا تحت الحكم البريطاني ، وروبرت الذي كتب عن تاريخ الاستعمار الفرنسي في أفريقيا ، ومارق الذي كتب عن تاريخ مناطق غرب أفريقيا ، وديلافوس الذي كتب عن تاريخ السنغال والنiger ، وسير چون جرای الذي كتب في سنة ١٩٣٤ بحثاً مستفيضاً عن تاريخ كل من أوغندا

وتنجانيقا وزنجبار وأفريقيا الشرقية البرتغالية وزامبيا . وقد اعتمد سير چون جرای في مدوناته على ما سمعه من شيوخ القبائل الأفريقية ومن المختصين الأفارقة في رواية التاريخ الذي توارثه جيلاً بعد جيل .

ومن المدهش حقاً أن نشير إلى بعض المؤرخين الأفارقة المحليين الذين تعلموا على أيديبعثات التبشيرية وأصبحوا قسساً يبشرون بال المسيحية بين القبائل الأفريقية بجنوب الصحراء . وقاموا بعملية التاريخ إلى جانب عملية التبشير . ونذكر منهم : أبولوكاجوا الذي ألف في نهاية القرن التاسع عشر خمسة كتب نشرتها لهبعثات التبشيرية ، وهي كتب تاريخية تناولوا نحو اجتماعياً ، وتناولوا تسجيلات تفصيلية عن العادات والتقاليد وأنواع الفنون الشعبية السائدة بين بعض شعوب وسط القارة ، وعلى الأخص بين شعب أوغندا . وأهم كتاب من هذه الكتب الخمسة كتاب يسمى « ماكولا » [أي الكتر] وقد استغرق تأليفه نحو عشرين سنة ، ويبلغ عدد صفحاته نحو ألفين وأربعين صفحة ! ..

ومن هؤلاء القساوسة الأفارقة الذين كتبوا في التاريخ الأفريقي ، نذكر أيضاً كارل رياندورف الذي كتب في سنة ١٨٩٥ تاريخ ساحل الذهب ، وصمويل چونسون الذي كتب في سنة ١٩٢٠ تاريخ قبائل البيروريا التي تعيش في مناطق نيجيريا ، وقد نشرته أيضاً إحدىبعثات التبشيرية . كما نشرت بعثة تبشيرية أخرى ما كتبه القس الأفريقي سوجا عن تاريخ قبائل الباتوف جنوب شرق أفريقيا ، وعن تاريخ المعتقدات والعادات والتقاليد السائدة بين قبائل الأكسهوسا .

٥٥٥

ولا ينكر أحد فضل جميع المؤرخين القدماء والمحدثين في الإبانة عن تاريخ أفريقيا والأفارقة . ولكن الظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا ، هي تلك الدراسات التاريخية العلمية الحديثة التي أخذت في الانتشار سريعاً بين الأوساط العلمية والثقافية في فارق أوروبا وأمريكا . فقد صدرت حديثاً عشرات ، بل مئات ، من الكتب التي تتناول الشؤون الأفريقية من سياسية واقتصادية وتاريخية وعقائدية وأدبية .. وكلها تحفل بمعلومات مبهرة لم تكن معروفة من قبل أو بالأحرى لم تكن منتشرة مثل هذا الانتشار الواسع الذي أصبحت عليه الآن .

وقد لاحظت أثناء زياراتي لعديد من الدول في أوروبا وأمريكا ، أن الأغلبية العظمى من تلك الكتب متاحة - هي نفسها - بعديد من اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والاسبانية وغير ذلك من اللغات الأوروبية الأخرى . ومعنى هذا أن الكتاب يصدر بلغة مؤلفه الأصلية أولاً ، ثم يترجم على الفور إلى مختلف اللغات الأوروبية الأخرى ، ليصبح في متناول أوسع نطاق ممكن من القراء والمتطلعين إلى

الثقافة والمعرفة . ومعنى أيضاً أن هناك رغبة عارمة واسعة الانتشار بين معظم شعوب العالم لمعرفة التاريخ الحقيقى غير المزيف لأفريقيا وأهلها ، بدليل هذا السيل المنهمر من الكتب الذى أخذ يتصدر رفوف المكتبات فى مختلف دول العالم .

ولعل هذا هو السبب الحقيقى وراء حرصى على متابعة ما أستطيع الوصول إليه من الكتب التى صدرت حديثاً عن تاريخ أفريقيا ، وحرصى في الوقت نفسه وكلما أتيحت لي الظروف أن أقدم بعض هذه الكتب النفيضة إلى القارئ العرب بعد ترجمتها إلى اللغة العربية التى يتكلمها جزء عظيم من سكان القارة . وقد سبق لي أن ترجمت كتاب : VOODOO: AFRICA'S SECRET POWER من تأليف العالم المسماوى « جيرت شيزى » . وكتاب : BLACK AFRICAN EMPIRES من تأليف العالمة الانجليزية « جوان چوزيف » . كما أقوم حالياً بترجمة كتاب : THE ART OF BENIN من تأليف بولابن آموس . بالإضافة إلى هذا الكتاب الذى أتشرف بتقادمه إلى القارئ العرب : THE BENGUIN ATLAS OF AFRICAN HISTORY من تأليف العالم المتخصص فى الأطلس التاريخية « كولين ماكيفيدى » الذى أصدر حتى الآن ثلاثة أطلس آخرى غير أطلس التاريخ الأفريقى ، وهى : [ أطلس التاريخ القديم ، وأطلس تاريخ العصور الوسطى ، وأطلس التاريخ الحديث ] . كما ألف بالاشتراك مع آخرين : أطلس تاريخ السكان فى العالم ، وأطلس تاريخ العالم .

وهذا ما جعلنى على يقين من أن المعلومات التى يتناولها « أطلس التاريخ الأفريقى » كانت محل بحث وتحقيق معتمدى به من جانب عالم متخصص فى كتابة التاريخ بذلك المنهج الحديث ، معتمداً على الخرائط البيانية التى توضح أماكن وأزمان كل الأحداث التاريخية لقاراء أفريقيا ، منذ أن كانت كتلة مندجدة فى « بانجابا » وهى القارة العظمى التى طفت كالقشرة على سطح الكره الأرضية منذ ١٧٥ مليون سنة ، ولتى كانت تضم جميع قارات العالم فى كتلة متصلة واحدة تفتت تباعاً . ثم تتبع هذا التاريخ حتى ظهور الإنسان وتطوره على مدى الزمن ، حتى سنة ٢٠٠٠ ونهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

ولعل القارئ سيلاحظ معنى مدى الدقة المتناهية والتركيز الشديد الواضحين تماماً في صياغة المؤلف للمعلومات الواردة بهذا الكتاب ، وهو أمر جعل ترجمته من الصعبوبة يمكن ، كما جعلنى أضطر إلى ذكر بعض المهامش البسيطة لتوضيح بعض الأمكنة والشخصيات والأحداث . كما دفعنى أيضاً إلىبذل مزيد من الجهد في التدقق عند اختيار الكلمات والمرادفات العربية لأسماء الأماكن وأسماء القبائل والدول والممالك التى ورد ذكرها في هذا البحث التاريخي المركز . كما بذلت جهداً لا يستهان به في ترجمة البيانات التى تضمنتها الخرائط التوضيحية التى يقوم عليها هذا الأطلس . وقد عاوننى في هذا كله بجهد لا يمكن نكرانه الصديق الأستاذ محمد العزب موسى الذى قام أيضاً

مراجعة الكتاب بعد ترجمته و مطابقتها على النص الأصل .

هذا وقد حرصت على إعداد فهرس تصنify علمي في آخر الكتاب ، يتضمن حصرأً دقيقاً و شاملأً لجميع أسماء الأماكن والقبائل والأشخاص والأحداث التي ورد ذكرها في صفحات هذا الأطلس ، مرتبة ترتيباً أبجدياً ، حتى يسهل للقاريء الوصول إلى المعلومات التي يطلبها بطريقة مباشرة .

والكتاب أساساً يقوم على منهج الكرونيكال حيث يورد المعلومات التاريخية حسب تسلسلها الزمني ، وهي طريقة تسهل للقاريء معرفة التاريخ في شكل حكاية تتتابع أحداها كما يتتابع ظهور شخصياتها ، على مدى تلك الملايين الطويلة من السنين ، من تاريخ أفريقيا والأفريقيين . ولعلها طريقة حديثة مجده ، تحبب القاريء في العلم والثقافة ، ولا تخلي أيضاً من المتعة والطرافة .

خاتمة السويفي

## مقدمة المؤلف :

يتضمن هذا الكتاب تسعًا وخمسين خريطة مسروحة لأفريقيا ، تغطي فترة زمنية تمتد من ۱۷۵ مليون سنة ، حتى نهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

وقد وضعت أساس الشرح والتعليق على هذه الخرائط طبقا لما ساد الكره الأرضية بأكملها من ظروف طبيعية ومناخية أثناء تحرك القارات وانفصalam عن بعضها واستقرارها أخيراً في أمكنتها المعروفة في عالم اليوم .

ويطبيعة الحال فإن التركيز يقع على خريطة قارة أفريقيا نفسها باعتبارها محل البحث في هذا الكتاب ، ومع ذلك فقد وضع تصميم الخريطة الأساسية بحيث تتضمن الجزء الجنوبي من قارة أوروبا ، والجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا .

ويضيف الجغرافيون عادة بعض الجزر باعتبارها توابع لأفريقيا ، القارة الأم ، مثل جزر : « موريشيوس » Mauritius و « ريونيون » Reunion و « سيشل » seychel-les . غير أننا استبعدنا تلك الجزر من نطاق بحثنا في هذا الكتاب ، ولم نشر إلى تاريخ تلك الجزر ضمن المعلومات التي أوردناها عن القارة الأم .

وتتضمن قارة أفريقيا أكبر عدد من الدول بالمقارنة بقية قارات العالم الأخرى . ففي عام ۱۹۷۸ مثلا ، تضمنت قارة أفريقيا خمساً وأربعين دولة ، بالإضافة إلى أربع دول أخرى في الجزر التابعة لها وهي : مجموعة رأسين فيrid [ جزر الرأس الأخضر ] ،

ومجموعة ساوتومي ، ومدغشقر ، وجموعة كوموروس [ جزر القمر ] . بالإضافة إلى ناميبيا التي أستقلت في أوائل عام ١٩٧٩ . ومعنى ذلك أن أفريقيا حتى ذلك العام كانت تتضمن خمسين دولة .

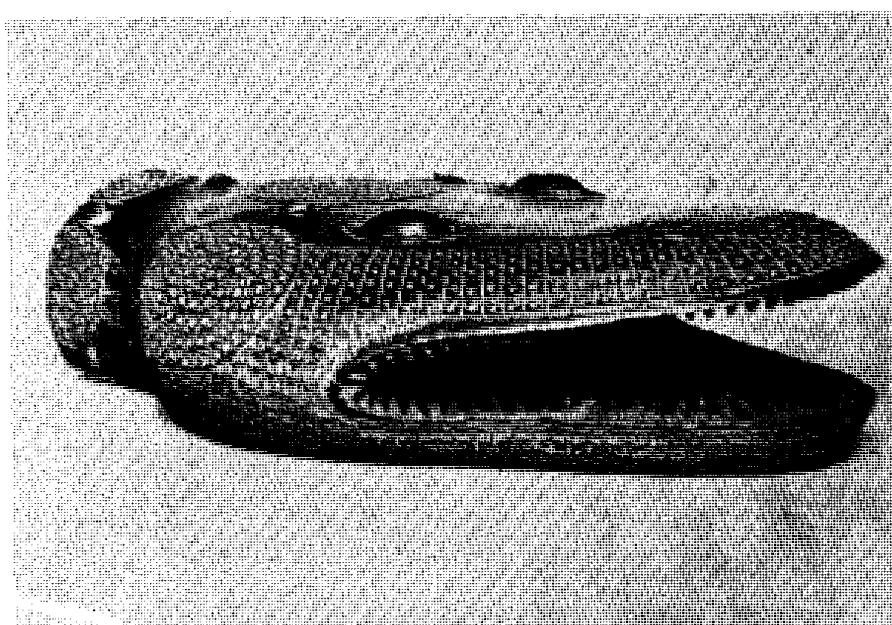
ولاشك في أن هذا العدد من الدول يعتبر كبيراً إذا قورن بعدد الدول في قارة أوروبا مثلاً ، حيث لا يتعدي الثلاثين دولة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن قارة أفريقيا تفتح أمام علماء الجغرافيا السياسية ، مجالات واسعة من البحوث المثيرة ، أكثر من أية قارة أخرى ، وهو أمر سيظهر جلياً في جميع النصوص التاريخية الواردة في هذا الكتاب .

ولم نقصد أن تكون الخرائط الواردة بهذا الكتاب مرجعاً علمياً ، وإنما جعلنا الخرائط تقوم أساساً على المعالم الجغرافية العامة لقارة أفريقيا ، وصممت الخرائط لتوضيب ما يقابلها من النصوص والشرح المصاحبة لكل خريطة .

وعلى هذا فالقاريء الذي يريد معرفة موضوع ما من الموضوعات التي يتضمنها هذا الكتاب ، يمكنه أن يصل إلى مبتغاه بأحد طريقين : الطريق الأول مباشر ، حيث أن الكتاب مسلسل تاريخياً . أما الطريق الثاني فغير مباشر ، أى باللجوء إلى الفهرس التصنيفي الملحق بآخر الكتاب .

ولا ندعى أننا سنوف القاريء بمحضلة وافرة من المعلومات ، وإنما سنوضح له بقدر الإمكان المعالم العامة لقصة الإنسان في أفريقيا . وهذه القصة المثيرة هي الغرض الأساسي لهذا الكتاب .



نحنة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تحمل رأس نهاب الأصلة .  
من معارضات متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



منذ ١٧٥ مليون سنة

## منذ ١٧٥ مليون سنة

من : [ أمريكا الجنوبيّة وأفريقيا وجنوب آسيا وانتاركتيكا – القارة القطبيّة الجنوبيّة – واستراليا ] .

وكانت حلقة الوصول هذه ، والمتمثلة في التنوء الشمالي الغربي لأفريقيا ، معبراً لمجموعة الثدييات الأولى ومجموعة الحيوانات الجرارية – ذوات البراب كالقنفر – لكي تنتشر في معظم أنحاء اليابسة .

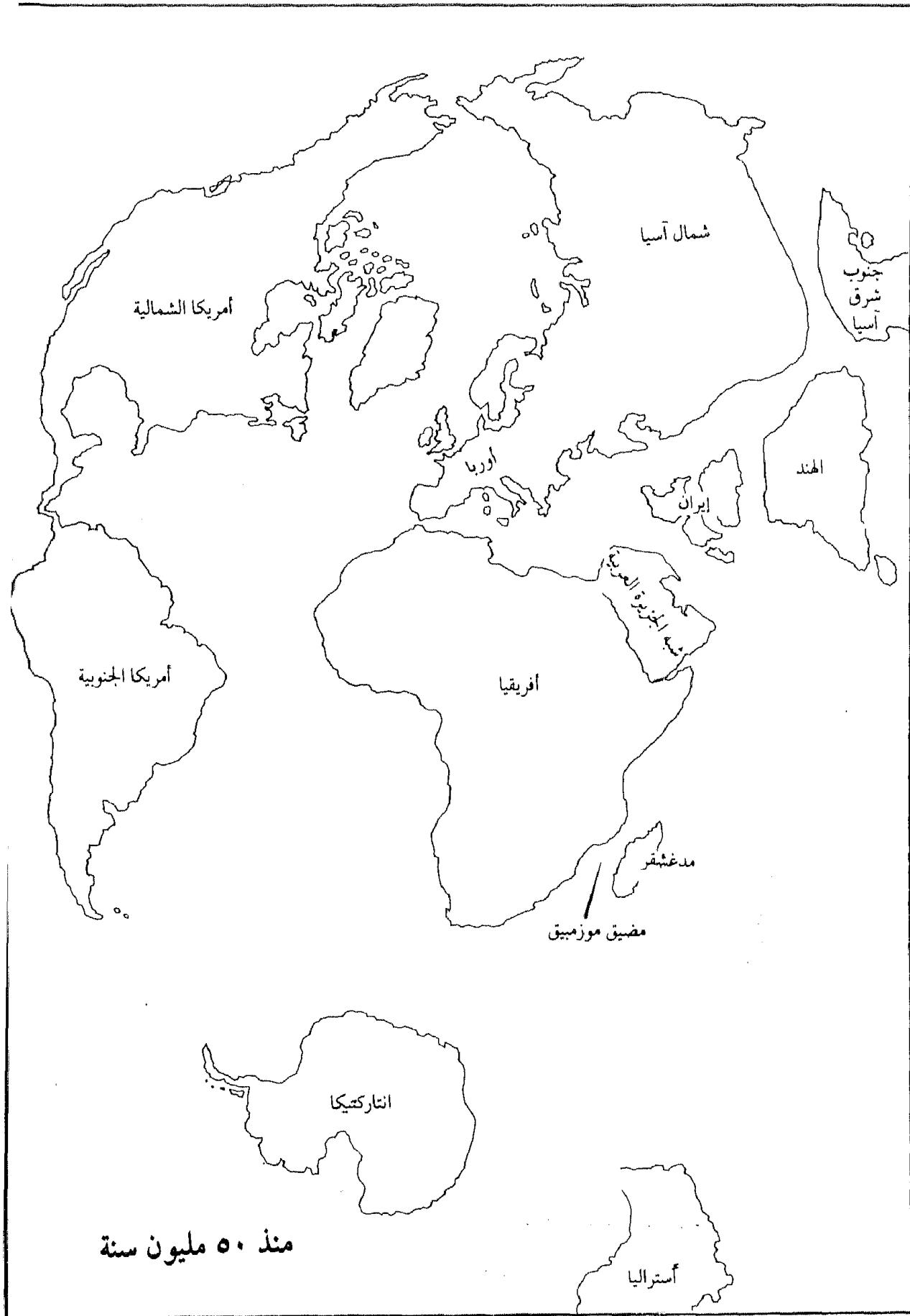
ثم أصبحت عملية الانتقال والانتشار أكثر صعوبة حين بدأت «بانجايا» تتكسر وتتفصل أجزاؤها وتبتعد عن بعضها ، وهي العملية التي بدأت من نحو ١٦٠ مليون سنة .

منذ مائة وخمس وسبعين مليون سنة ، كانت القارات جميعها مندجة مع بعضها في كتلة واحدة ، تكون قارة عظيّمى واحدة ، إسمها «بانجايا» Pangaea تقع أفريقيّاً في منتصفها .

وكانت كتلة التنوء الشمالي الغربي للقاراء الأفريقيّة حلقة وصل بين الكتلتين الرئيسيّتين اللتين تكون منهما القارة العظيّمى «بانجايا» :

الكتلة الأولى وكانت تسمى «لاوراسيا» Laurasia ، وتكون من : [ أمريكا الشماليّة وأوروبا وشمال آسيا ] .

والكتلة الثانية وكانت تسمى «جوندونالاند» Gondwanaland ، وتكون



## منذ ٥٠ مليون سنة

وحدث الانكسار التالي في كتلة جوندوانا لاند بانفصال جزيرة مدغشقر التي أصبح يفصلها عن الكتلة الأم مضيق موزمبيق . وفي مدغشقر كان أقصى تطور لحق مجموعة «ما قبل القرديات» هو ظهور حيوان «الليمور Lemurs أو «الهبار» . وهو حيوان من فصيلة القردة ذات الذنب الطويل .

ولهذا السبب يوجد الليمور بمدغشقر مثلما توجد الحيوانات الجرالية باستراليا . ولم تظهر في أي من هاتين الجزيئتين فصائل القرود على الإطلاق .

ثم انكسرت بعد ذلك كتلة قارة أمريكا الجنوية وانفصلت عن الكتلة الأم ، وأخذت معها نوعاً من القردة العريضة الأنف ، خرجت منه «قرود القشة» Marmoset – وهي نوع من القرود الأمريكية صغيرة الحجم – والقرود العنكبوتية Spider Monkeys ، وهي نوع آخر من القرود الأمريكية ذات قوائم طويلة هزيلة ، ولها ذيل طويلاً قادر على الإمساك بأغصان الشجر والالتفاف حولها .

أما في البقية المتبقية من الكتلة الأم ، فقد حدثت عدة تطورات للقرود الأولى ، وظهرت قرود «الملاك» Macaques ، وقرود «البابون أو الرياح» Baboons ، وهي قرود ضخمة الجسم قصيرة الذيل . وذلك خطوة أولى نحو تطورات أخرى لاحقة .

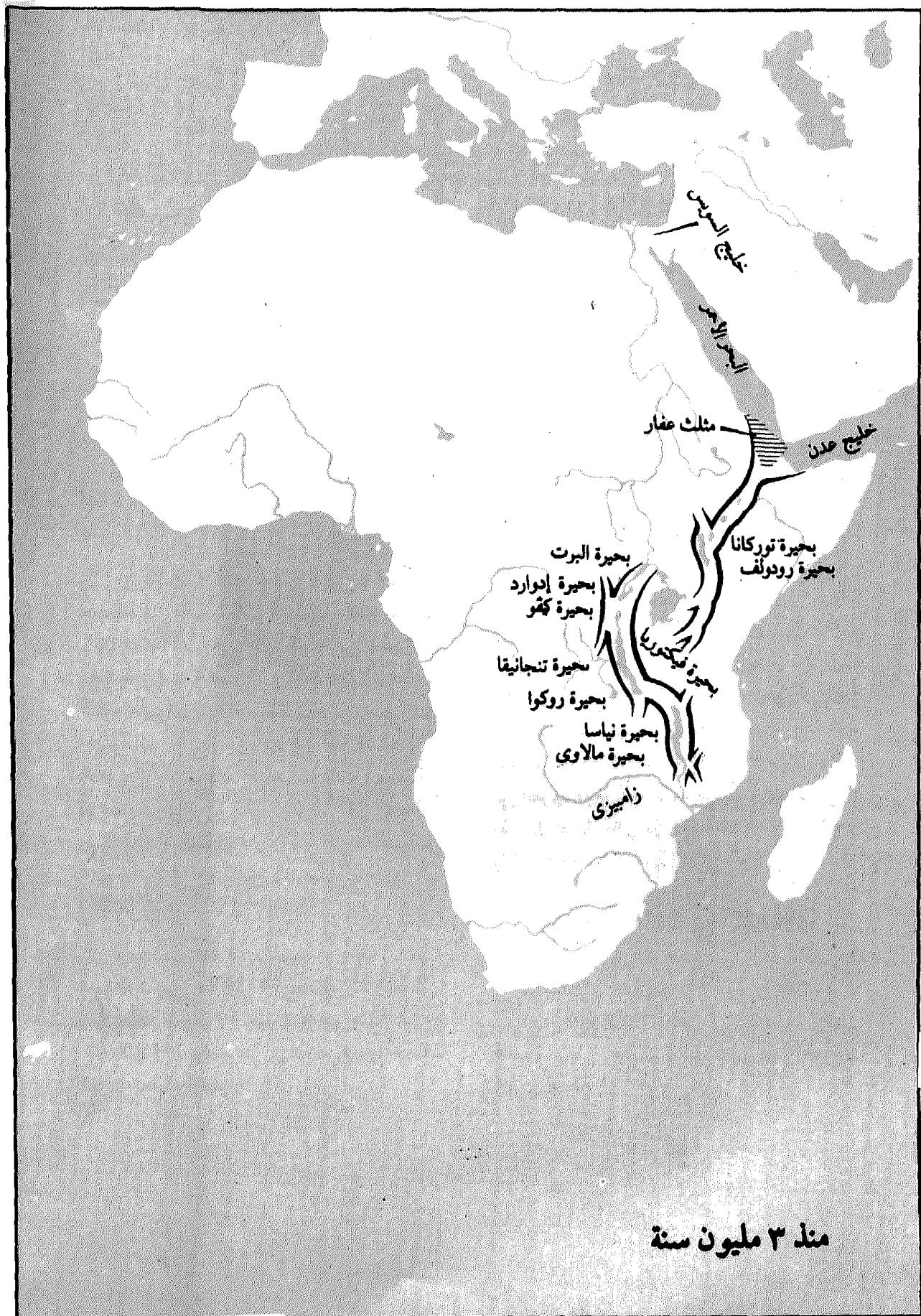
كان أول جزء انكسر وانفصل عن «بانجايا» هو الكتلة التي تتضمن قارة انتاركتيكا [ القطبية الجنوبية] وقارة استراليا . وكان ذلك منذ نحو ١٦٠ مليون سنة :

وقبل تباعد هاتين القارتين عن القارة العظمى الأم ، أخذتا معهما الحيوانات الجرالية أو ذوات الكيس Marsupials .

وطللت بقية القارة العظمى الأم متماشكة في كتلة واحدة لمدة ٥٠ مليون سنة [ رغم حدوث بوادر التشقق والانكسار ] .

وفي خلال تلك الفترة ظهرت مجموعة جديدة من الحيوانات الثديية ذات المشيمة Placentals . وهي أكثر كفاءة من الحيوانات الجرالية ذوات الكيس . ولذلك فقد استطاعت هذه الحيوانات ذات المشيمة أن تحمل محل الحيوانات الجرالية في معظم أنحاء العالم . وبطبيعة الحال فإن الثدييات ذات المشيمة لم تستطع الوصول إلى قارة استراليا التي انفصلت وتبعاً لذلك فما زالت بقائياً فصائل الحيوانات الجرالية تعيش في استراليا حتى الآن [ القنغر ] .

ومن أول فصائل الثدييات ذات المشيمة مجموعة تسمى «ما قبل القرديات» Prosimii . ومن هذه المجموعة البدائية خرجت القرود Monkeys ، وتطورت إلى أن خرج منها أسلاف القردة العليا والإنسان .



## منذ ٣ مليون سنة

أفريقيا ، ابتداء من منطقة القرن الأفريقي ، حتى مصب نهر زامبيزي ، وانفصال هذه الكتلة المائمة عن جسم القارة ، لتبسج في مكان ما بالحيط الهندي .

ولا شك أن تبع اتجاه كل من هذه التشققات والانكسارات الكبرى التي حدثت بشرق أفريقيا ، يحتاج إلى معرفة المزيد من المعلومات الجيولوجية . ومع ذلك فيمكن ملاحظة الأثر الذي أحدثه هذه الانكسارات بالنظر إلى أية خريطة مبسطة . فهناك تطابق تام ، بين سواحل البحر الأحمر الشرقي والغربي ، بحيث أنه إذا طبقت الساحلين على بعضهما لتطابق كل منها على الساحل الآخر . وذلك فيما عدا منطقة الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر ، وهي المنطقة المعروفة بثلث عفار Afar Triangle<sup>(١)</sup> . وقد تكون هذا المثلث نتيجة لنشاط بركان — حديث نسبيا — ملاً هذا الفراغ باللافات وترامكات الحمم البركانية . ولو لم يحدث ذلك لكان التطابق كاملاً .

أما مظاهر وجود الأخدودين الآخرين ، فتبدو في مجموعة البحيرات التي حدثت في قاع كل منها . وبالنسبة للأخدود الشرقي ، توجد سلسلة من البحيرات الصغيرة التي يمكن رؤيتها بالخرائط التفصيلية ، بالإضافة إلى بحيرة توركانا Turkana التي تبدو كبيرة نسبيا عند مقارنتها بالبحيرات الأخرى .

وبالنسبة إلى الأخدود الغربي ، فتبدو سلسلة البحيرات الكبيرة واضحة جلية ، متمثلة في

آخر الانكسارات والتشققات الكبرى في كتلة القارة الأفريقية ، حدثت منذ نحو خمسة ملايين من السنين ، حين حدثت ثلاثة انكسارات بالجانب الشرقي من القارة .

حدث الشق الأول فأزاح شبه الجزيرة العربية عن كتلة القارة ، وأدى إلى ظهور خليج عدن ، والبحر الأحمر ، وانتهى ببروز السويس Isthmus of Suez الذي يمثل الآن حلقة الوصل بين كتلتي آسيا وأفريقيا .

أما الشقان أو الانكساران الآخران فلم يكونا بهذا الطول أو الاتساع ، على الأقل حتى الآن . ويمكن مشاهدتها الآن في شكل الأخدودين العظيمين اللذين يتراوح اتساعهما إلى نحو ثلاثة ميلًا .

ويبدأ الأخدود الأول — الشرقي — من خليج عدن ويتجه جنوبا بغرب مخترقا هضبة الحبشة ، ثم ينحني نحو الجنوب ماراً بالحدود التي تفصل الآن دولتي أثيوبيا وكينيا بمنطقة شرق بحيرة فيكتوريا ، إلى أن يتلاشى نهائيا في منطقة شمال تنزانيا .

أما الأخدود الثاني — الغربي — فيبدأ من منطقة نهر زامبيزي الأدنى متوجهها نحو بحيرة فيكتوريا ؛ ولكنه ينحني غربا قبل الوصول إليها ، إلى أن يتلاشى في منطقة أوغندا .

ولولا هذا الانحراف الذي حدث في اتجاه كل من هذين الأخدودين يجعلها يلتقيان حول بحيرة فيكتوريا — شرقاً وغرباً — لتلاقي الأخدودان مع بعضهما ، الأمر الذي كان سيؤدي حتما إلى انكسار كل الجانب الشرقي لقارة

(١) بجمهورية جنوب الأن [المترجم]

شكل طبق مفلطح ، وهى البقعة التى تكونت فيها وشغلتها بحيرة فيكتوريا .

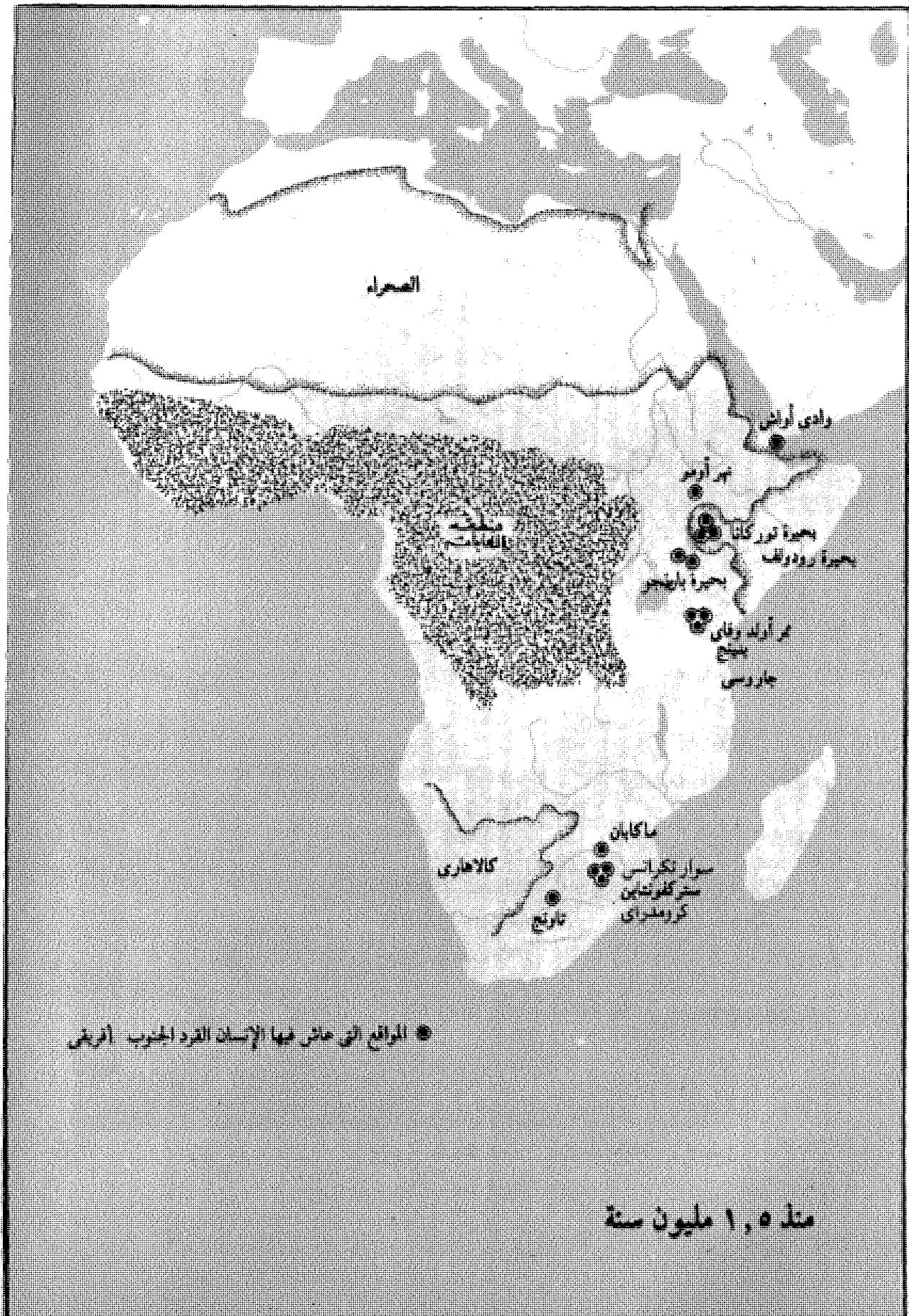
ولهذا فإن بحيرة فيكتوريا في حقيقة الأمر عبارة عن بركة كبيرة من المياه التى تجمعت فى هذا الطبق . وبصرف النظر عن مساحتها الهائلة – حيث تعتبر أكبر وأوسع بحيرة فى أفريقيا – فإنها أقل عمقاً من أية بحيرة أخرى من البحيرات التى تقع داخل الأخدودين .

بحيرات ألسيبرت ، وادوارد ، وكيفشو ، وتنجانيكا ، وروكوا ، ونياسا .

أما بحيرة فيكتوريا نفسها ، فتعتبر نتيجة غير مباشرة لحدوث هذين الأخدودين . فعند حدوث الأخدود ، يهبط قاعه وترتفع جوانبه ، وهذا عند ارتفاع الجزء الجنوبي الغربى من جانب الأخدود الشرقى ، وارتفاع الجزء الشمالى الشرقى من جانب الأخدود الغربى ، حدث أن تكونت فيها بينها بقعة هائلة من الأرض أخذت



تختة فنية من النحاس . يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر ، خاصة بأحد ملوك بنين القدماء .  
من معارض المتحف البريطاني بلندن .



## منذ مليون ونصف المليون سنة

وقد اعتمدت كل من هاتين الفصيلتين في حياتها على الأشجار . وبالرغم من ثقل وزن افراد الفصيلة الأولى The Apes إلا أنها اعتمدت في حياتها على أشجار الغابات ، مثلها في ذلك مثل الفصيلة الثانية The Monkeys .

ومع ذلك فقد انتقلت بعض أنواع من هاتين الفصيلتين لتعيش في المناطق العشبية . وعلى الأخص قرود البابون<sup>(٢)</sup> التي تعتبر أنجح تطور لفصيلة القرود Monkeys . أما القردة العليا فتعتبر أسلاف «الإنسان القرد – الجنوبي» Apes Australopithecines طبقاً لمفهوم «نظرية التطور» التي وضعها تشارلز داروين في القرن الماضي . والتي ترى أن «الإنسان القرد» هذا هو حلقة الوصل بين فصيلة القردة العليا والإنسان .

وطبقاً لمفهوم هذه النظرية ، فقد حدث التطور الذي أدى إلى ظهور «الإنسان القرد – الجنوبي» على مدى مراحل طويلة . ويمكن

(٢) البابون : نسناس كبير من جنس بابيو Papio يستوطن إفريقيا وببلاد العرب [ ويسمى أحياناً القرد الأفريقي أو القرد العربي ] . ووجهه خصوصاً الأنف والفكين . يشبه وجه الكلب . وله أنياب طويلة وأطراف قوية . وفي مؤخرته كتلة صلبة من اللحم . تحمل محل الردفين . وله ذيل قصير مقوس . ويستقل البابون في جماعات ، ويتنقل على العقارب والخشرات ويأكل أيضاً المواد النباتية . وأغلبه أصفر أو بني اللون ويدربه بعض الناس في مصر على تقليد بعض الأعمال . وكان قدماء المصريين يقدسونه ، ووُجدت الكثير من أنواعه محفوظة أو منقوشة بالرسوم خصوصاً نوع الميمون ونوع الشاكما . [ المترجم ] .

خلال معظم المليون سنة الماضيين ، غطى الجليد شمال أوروبا وكندا . وخلال هذه العصور الجليدية ساد جو بارد وجاف كل منطقة جنوب أوروبا والولايات المتحدة . أما في إفريقيا فلم يكن الجو أبرد مما هو عليه الآن ، وإن كان أكثر جفافاً . وأصبحت الصحراء الكبرى تمثل حاجزاً لا يمكن اجتيازه بالنسبة للحيوانات . بينما بقيت المنطقة الواقعة جنوب الصحراء حافلة بمناطق الغابات في نفس الحدود التي هي عليها الآن . أما في شرق وجنوب القارة ، فقد سادت المناطق العشبية المفتوحة ذات الأشجار المتباudeة .

ومن المحتمل أن منطقة الغابات قد تكونت منذ نحو خمسة ملايين من السنين . وهي نفس الفترة التي ظهرت بها فصائل وأنواع القرود<sup>(١)</sup> Monkeys And Apes .

(١) هناك فصيلتان أساسيتان للقرود : الفصيلة الأولى تسمى The Apes وهي قرود لا ذيول لها وتشمل الشوريلا Gorilla والشمبانزي Chimpzee . والأورانج أوتان Orang Utan والجبار Gibbon . والفصيلة الثانية تسمى The Monkeys ، وهي أقرب الحيوانات شبهها بالإنسان ، خصوصاً الأنواع الصغيرة منها الطويلة الذيل . وفي هذه القرود الشبيهة بالإنسان تطورت الأطراف [ الأرجل والأذرع والأقدام ] لتصبح قادرة على القبض والإمساك بالأشياء . كما تطور جهازها المصعد تطويراً عالياً . ويشمل هذا النوع من القرود : المارموست Marmosets [ وهي القرود الأمريكية المعروفة باسم القشة ] والبابون Baboons والمكاك Macaques .

[ المترجم ]

يديه في تسلیب بعض الأحجار الصلبة لاستخدامها كأدوات قاطعة . وكان هذا الاستخدام هو خطوة الإنسان الأولى في التطور وصنع الأدوات .

وتبين الخريطة الواقع التي عثر فيها على عظام «الإنسان القرد الجنوب - أفريقي» . ولم يعثر على مثيل تلك العظام أو البقايا في آية قارة أخرى غير إفريقيا . بل ولا في المناطق الأفريقية شمال الصحراء الكبرى .

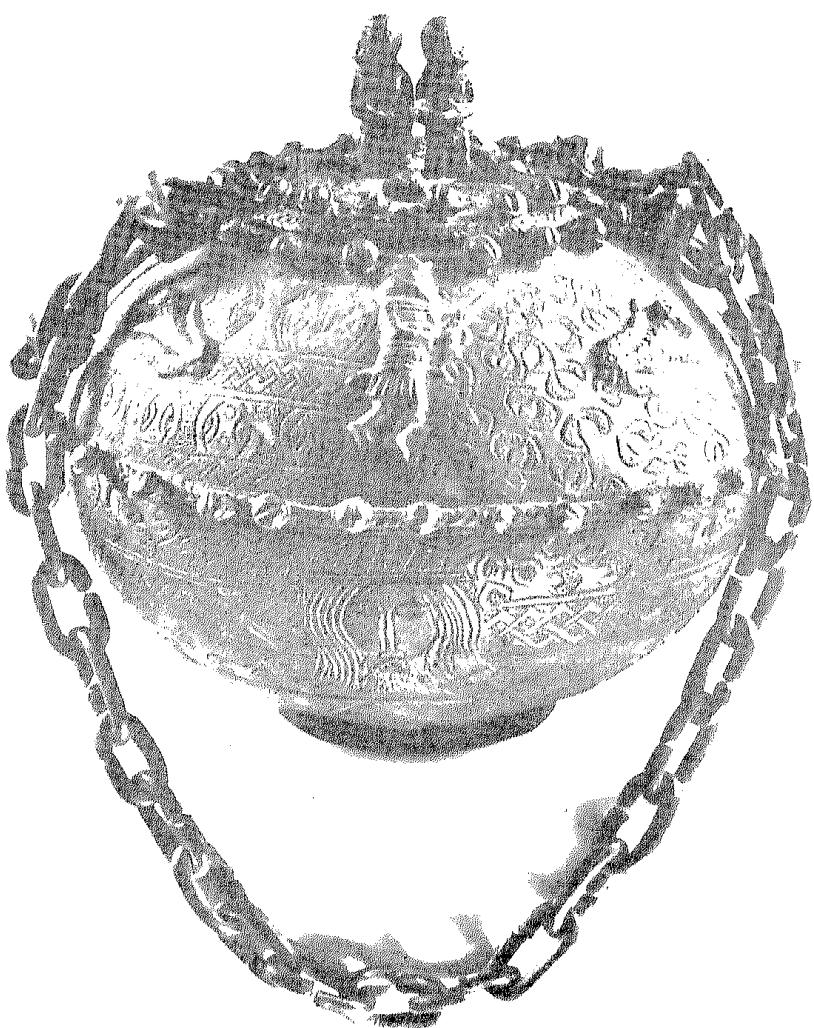
ومعنى هذا أنه بالرغم من تطور «الإنسان القرد الجنوب - أفريقي» فإنه لم يستطع احتياز الصحراء ، وظل على مدى مليون أو ثلاثة ملايين سنة ، مرتبطاً بالمناطق العشبية في قارة إفريقيا ، وهي المناطق التي نشأ فيها وتطور .

وصف هذا الإنسان بصفة عامة بأن جسمه جسم انسان ، ونحوه من قرد من فصيلة الإيب Ape.

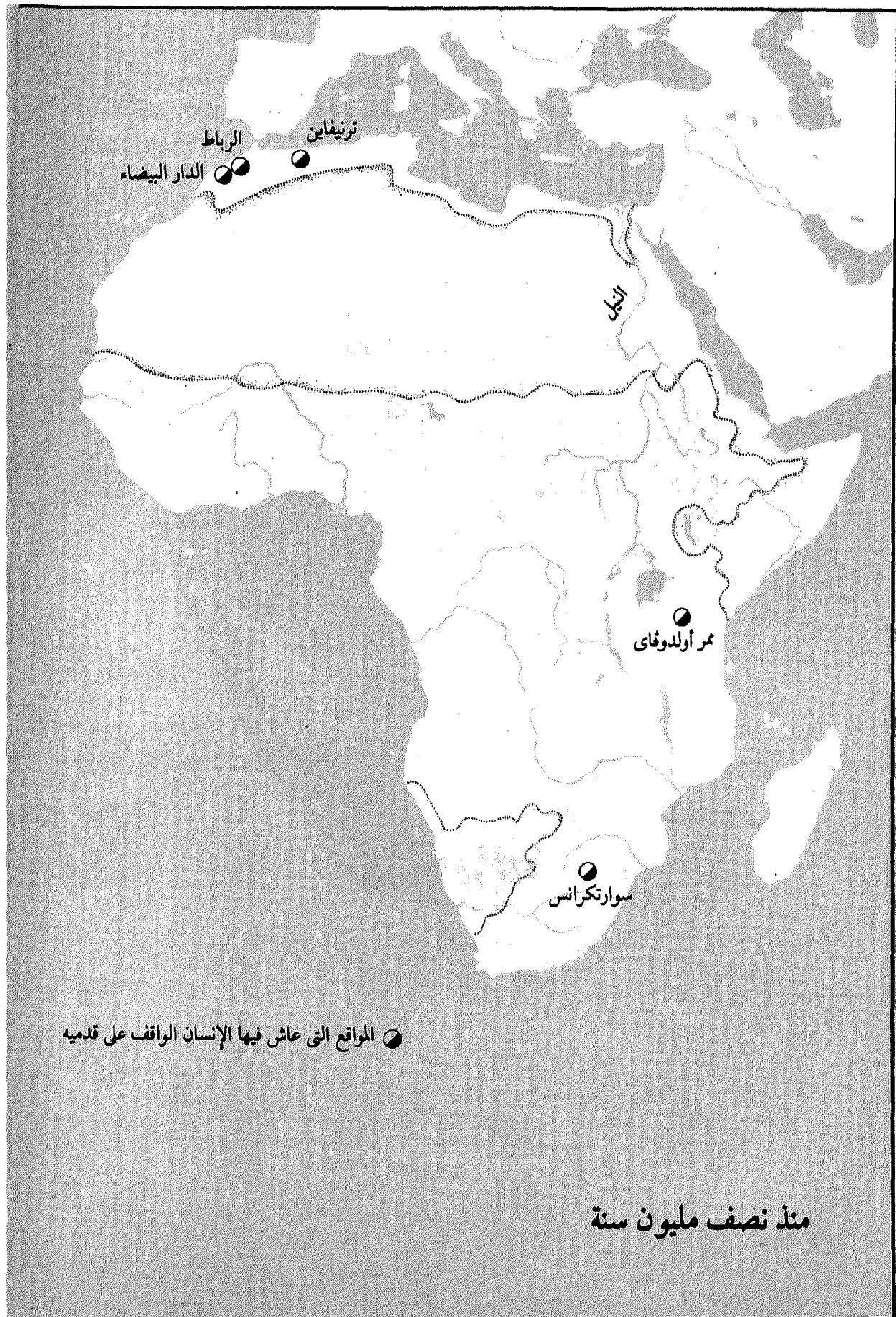
وقد اقتضت ظروف البيئة في المناطق العشبية حدوث تطور بكل من هاتين الفصيلتين . فقد ظلت القرود من فصيلة «المانكي» The Monk-eyes تسير على أربع . أما القرود من فصيلة «الإيب» The Apes فقد استقام جسمها وأخذت تسير معتمدة على رجليها الخلفيتين .

وكان من نتيجة هذا التطور أن أصبح «الإنسان القرد الجنوبي» يتمتع بذراعين حرتين استطاع أن يستخدمهما في أغراض شتى تعود عليه بالنفع وتسهل له سبل الحياة في البيئة التي يعيش فيها .

ولم تمض حقبة طويلة من الزمن ، حتى استطاع «الإنسان القرد الجنوبي» أن يستخدم



تمة ملوكية مصنوعة من النحاس كانت تستخدم في أغراض دينية .  
من معارض متحف الثقافات الشعبية برلين .



## منذ نصف مليون سنة

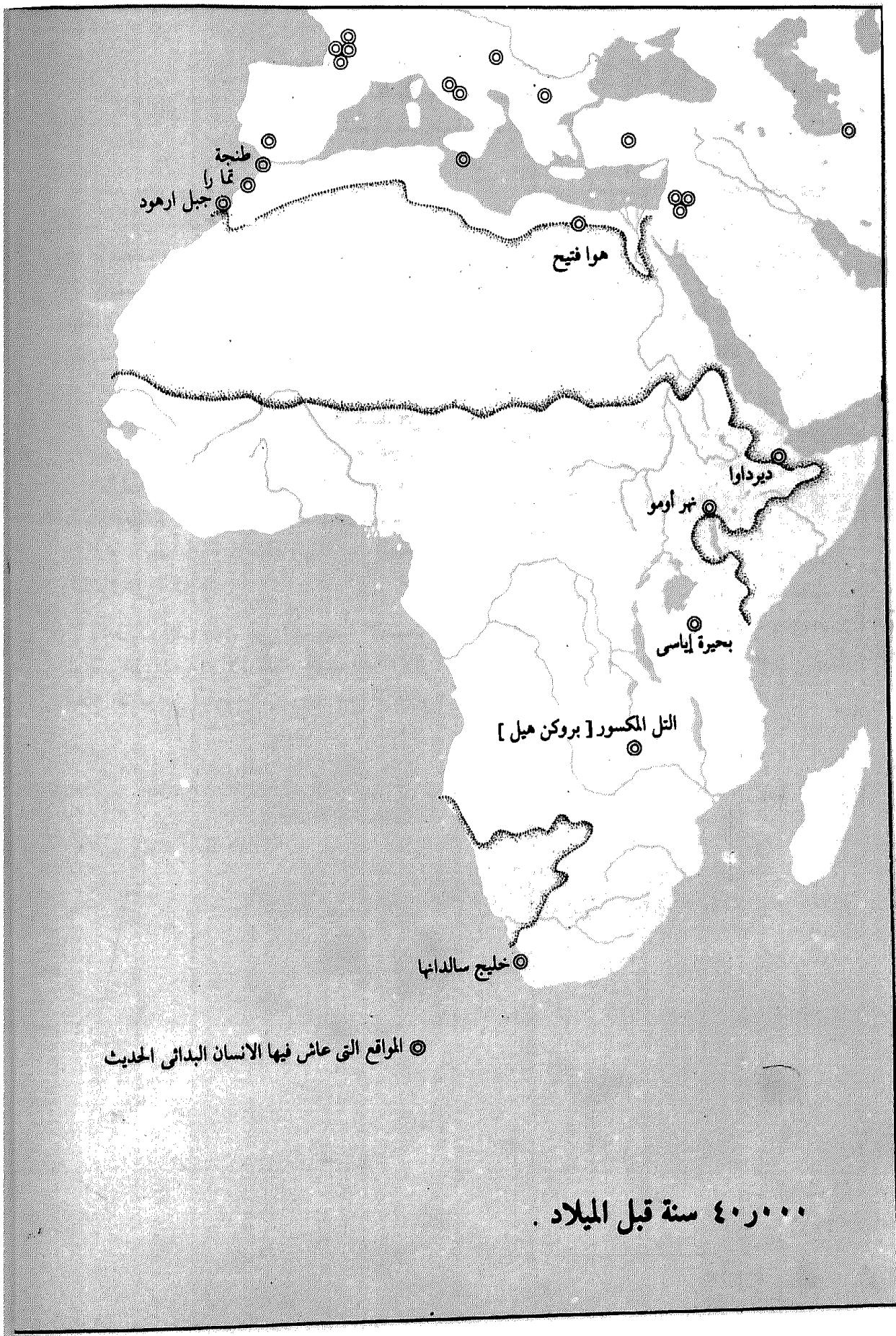
القرد الجنوبي فحسب ، بل أهلته أيضاً إلى التفوق عليه في ميادين المنافسة . ولم يمض وقت طويل حتى انقرض الإنسان القرد الجنوبي تماماً ، إما بسبب تعرضه للذابح وإبادة على يد الإنسان الواقف على قدميه ، أو لأن هذا الإنسان الأخير قد أزاحه بعيداً إلى مناطق وبيئات لم يستطع أن يواصل الحياة فيها .

وقد أثبتت هذا الإنسان قدرة فائقة على الحركة والهجرة ، فكسر حاجز الصحراء ، رجأ عن طريق وادي النيل ، واستطاع أن يتشرى في مختلف أنحاء العالم القديم . فقد عثر على عظامه في أوروبا [قرب هايدلبرج] وفي الصين [قرب بكين] وفي إندونيسيا [في جاوه] كما عثر عليه أيضاً في شمال إفريقيا [في الدار البيضاء والرباط وترنيفابن] . ولكنه لم يستطع الوصول إلى الأمريكتين ولا جزر المحيط الهادئ .

منذ نحو مليون سنة ، تطور «الإنسان القرد» الذي كان يعيش جنوب الصحراء ، وخرج منه نوع من «الإنسان الواقف على قدميه» أو «الإنسان المنتصب القامة» Homo Erectus . وكان له مخ يزيد مرة ونصف بالمقارنة بمخ «الإنسان القرد الجنوبي» .

وقد استطاع هذا النوع الجديد من الإنسان ، أن يشعل النار ، وأن يصنع أدوات من الفطران [الصوان] متماثلة في الشكل صنعها بحق ومهارة . ومن المؤكد أنه كان يستطيع الكلام ، نظراً لوجود صلة وثيقة بين المهارة والقدرة على الكلام .

وهذه القدرات التي اكتسبها الإنسان الواقف على قدميه أو الإنسان المنتصب القامة ، لم يجعله مختلفاً من الناحية البيولوجية مع الإنسان



## منذ ٢٠٠٤ سنة قبل الميلاد

نياندرتال الذي عثر عليه في أوروبا في بعض المعالم البسيطة.

وبطبيعة الحال ، فإن وجود بعض الاختلافات بين إنسان روبيسيانا وإنسان نياندرتال هو أمر متوقع ومحتمل ، رغم أن العثور على جمجمة واحدة لإنسان روبيسيانا لا يكفي للحكم بالتعييم ووضعه في تصنيف منفصل عن إنسان نياندرتال الذي عثر عليه في أوروبا .

وبعد مرور نحو عشرين سنة على العثور على جمجمة إنسان روبيسيانا ، عثر علماء الأنثروبولوجيا [ علم الإنسان ] على جمجمة أخرى لهذا الإنسان في منطقة خليج سالدانها - Sal danha Bay قرب كيب تاون بجنوب أفريقيا . ولسوء الحظ فقد كانت تلك الجماجم التي عثر عليها في أماكن أخرى جنوب الصحراء مهشمة ومشكوك في أمرها بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد خريطة سليمة دقيقة مقنعة ، تبين توزيع هذا الإنسان بمناطق جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا . ومع ذلك فإن هذه الموجودات تبدو كافية لتأكيد أن «إنسان نياندرتال» الذي عثر عليه في جنوب الصحراء الكبرى ، من جنس متميز عن إنسان نياندرتال الذي كان يعيش في بعض مناطق أوروبا وفي بعض المناطق الأفريقية شمال الصحراء الكبرى .

غير أن هذه التبيجة لا تثير الدهشة ، فمن الحقائق المسلم بها أن أصناف الإنسان تختلف فيما بينها طبقاً لاختلاف الجو والظروف المناخية . وبطبيعة الحال فقد كانت هناك اختلافات كبيرة في هذه الظروف المناخية بين قارق أوروبا وأفريقيا في أثناء العصر الجليدي الأخير .

عندما وصل العصر الجليدي الأخير إلى أقصى ذراه ، عاش نوع من الإنسان في المناطق التي كانت مأهولة في ذلك الوقت في أوروبا وأسيا وأفريقيا ، وهو الإنسان الذي اصطلح على تسميته بالأنسان البدائي الحديث . *Homo Sapiens*

وهذا الإنسان شديد الشبه بالأنسان المعاصر الذي يعيش في عالم اليوم ، وإن كان مختلف عنه من عدة نواحٍ مثل كثافة شعر الحواجب ، وكبر الفكين وصغر عظام الذقن . أما حجم مخ فهو مماثل تماماً لحجم مخ الإنسان المعاصر . ولهذا يمكن اعتبار هذا الإنسان ضرباً أو نوعاً من الإنسان المعاصر ، بدلاً من ادراجه في تصنيف منفصل .

وقد أطلق أيضاً على هذا الإنسان إسم آخر هو «إنسان نياندرتال» Neanderthalers وذلك نسبة إلى مكان العثور عليه في المانيا ، حيث عثر على أول جمجمة له هناك في سنة ١٨٥٦ م .

وفي سنة ١٩٢١ ، عثر على أول جمجمة لهذا الإنسان في منطقة جنوب الصحراء الكبرى بأفريقيا ، وذلك أثناء حفر منجم في منطقة تسمى التل المكسور Broken Hill في زامبيا . ولذلك فقد أطلق عليه اسم «إنسان روبيسيانا» لأن زامبيا كانت معروفة في ذلك الزمن باسم روبيسيانا الشمالية .

هذا ويختلف إنسان نياندرتال الذي عثر عليه في جنوب الصحراء الأفريقية عن إنسان

وليس متمثلاً في البحر المتوسط . ويؤكد ذلك أن بقايا انسان نياندرتال التي عثر عليها بمنطقة هولنديخ بشمال افريقيا ماثلة تماماً لبقايا انسان نياندرتال الأوروبي . و مختلفة عن بقايا انسان روبيسيا التي عثر عليها بجنوب الصحراء الكبرى .

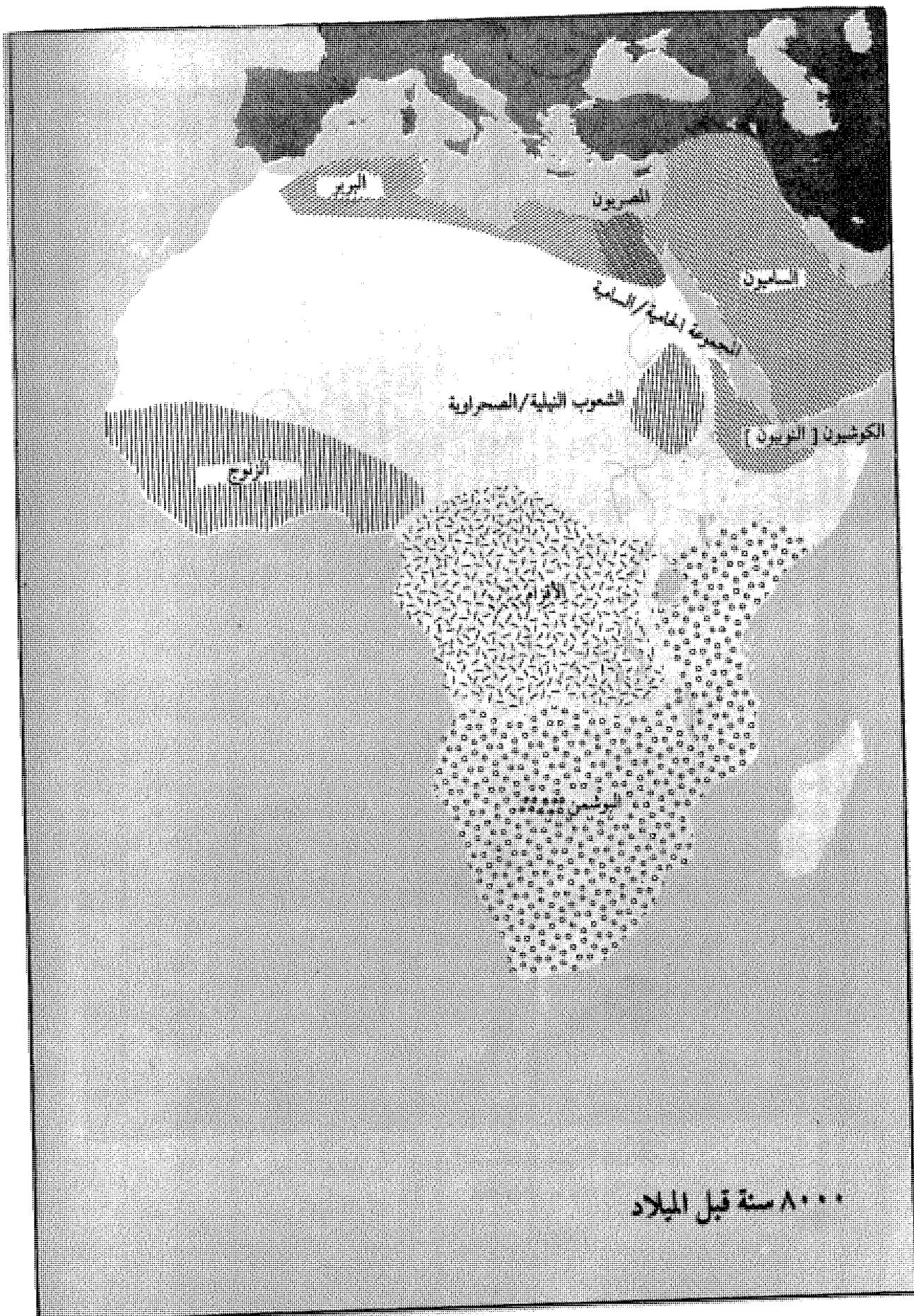
والقول بأن البحر المتوسط لم يكن يشكل مانعاً أو فاصلاً بين هذين النوعين ، إنما يرجع بصفة أساسية إلى أن تجمد مياه البحار في اثناء العصر الجليدي الأخير قد جعل البحر المتوسط أقل عمقاً بكثير مما هو عليه الآن .

وعلى ذلك فيمكنا أن نفترض بحق أن «إنسان روبيسي» كان داكناً البشرة إذا قورن بانسان نياندرتال الذي كان يعيش في أوروبا . وذلك لأن المادة الملونة في انسجة البشرة تحميها من الآثار المدمرة لضوء الشمس . كما نفترض أيضاً ان انسان روبيسي كان قليلاً الشعر الذي يغطي جسمه باعتبار أن الشعر يؤدي إلى احتفاظ الجسم بالحرارة ، وإلى فقدان هذه الحرارة بطريقة أبطأ .

كذلك فإن الفاصل الحقيقي الذي كان يفصل انسان نياندرتال الأوروبي عن انسان روبيسي ، كان متمثلاً في الصحراء الكبرى



نَحْفَةٌ فِيَّةٌ مِنَ النَّحْسِ ، تَمْثِيلٌ مُقْعَدٌ كَانَ يُسْتَخْدَمُ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ السُّحْرِيَّةِ  
مِنْ مَعْرُوفَاتِ مَوْلَى التَّقَافَاتِ الشَّعْبِيَّةِ بِرْلِينَ .



## سنة ٨٠٠ قبل الميلاد

بالضخامة وسود البشرة أيضاً ، ولكن أجسامهم ووجوههم أنحف من أجسام ووجوه الزنوج . ومن المحتمل أنهم كانوا يعيشون في ذلك الزمن في مناطق الثلث الأوسط من وادي النيل وما يحيط بها مباشرة .

أما مناطق إفريقيا جنوب الصحراء ، فقد كانت مقسمة بين الأفراز والبوشمن .

وقد استوطن الأفراز منطقة الغابات الممطرة بحوض الكونغو [ زائير ] . وهم قصار القامة بشكل ملحوظ ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو أربعة أقدام وست بوصات [ ١٣٧ سم ] ويشترتهم بنية تميل إلى السواد وانوفهم عريضة وشعرهم قليل .

أما البوشمن فهم أطول قليلاً من الأفراز ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو خمسة أقدام وبوصتين [ ١٥٧ سم ] ويشترتهم تميل إلى اللون الأصفر أكثر منه إلى اللون البني أو الأسود ، وشعرهم مقلقل . وهم يعيشون الآن في منطقة صحراء كالاهارى في جنوب غرب القارة . أما في ذلك الزمن موضع البحث فقد كانوا متشرذين في كل مناطق شرق وجنوب إفريقيا .

أما المناطق الإفريقية شمالي الصحراء الكبرى ، فكان الوضع فيها مختلفاً إلى حد كبير . فقد كانت مأهولة باجناس يضاء تسمى إلى الساميين في شبه الجزيرة العربية ، وينقسمون إلى جماعات تختلف فيما بينها لغويًا ، ويطلق عليهم بصفة عامة اسم «الحاميين» . ففي الغرب [ مراكش والجزائر وتونس ] كان يعيش البربر .

جاء تحول كل من انسان نياندرتال وانسان وديسيما إلى الانسان المعاصر الذي يعيش في عالم ليوم ، نتيجة لتكوين بعض چينات الوراثة الجديدة . وبصرف النظر عن المكان الذي ظهرت فيه هذه چينات لأول مرة ، فإنها تنتشرت بين جميع افراد الجماعات الانسانية التي ظانت تعيش في العالم ، وذلك قبل انتهاء العصر الجليدي الأخير .

وقد اختفت من إفريقيا كلها السمات الخاصة بنقل الحواجب وتنوع الجبهة ، كما اختفت بهذه السمات من الانسان الذي كان يعيش في وريا وأسيا . وبصفة عامة يمكن القول بأن كل نوع في ملامح وصفات الانسان المعاصر ، كان موجوداً ايضاً في ملامح وصفات ذلك الانسان القديم المعروف باسم *Homo Sapiens* . ولكن هذا لا يعني ان كل الناس كانوا متشابهين . لكل قارة كانت تختلف عن القرارات الأخرى من ناحية الأجناس البشرية التي كانت تعيش فيها .

وبالنسبة لقارة إفريقيا ، فقد عاشت فيها نحو خمسة أجناس متمايزة . بل وأن أربعة من هذه الأجناس لا يوجد لها مثيل في أية قارة أخرى غير إفريقيا . وهذه الأجناس هي : الزنوج ، والشعوب النيلية الصحراوية ، والأفراز ، والبوشمن .

وقد استوطن الزنوج مناطق الغابات والمناطق العشبية بغرب إفريقيا . وهم يتميزون بضخامة الأجسام وسود البشرة والأنوف العريضة .

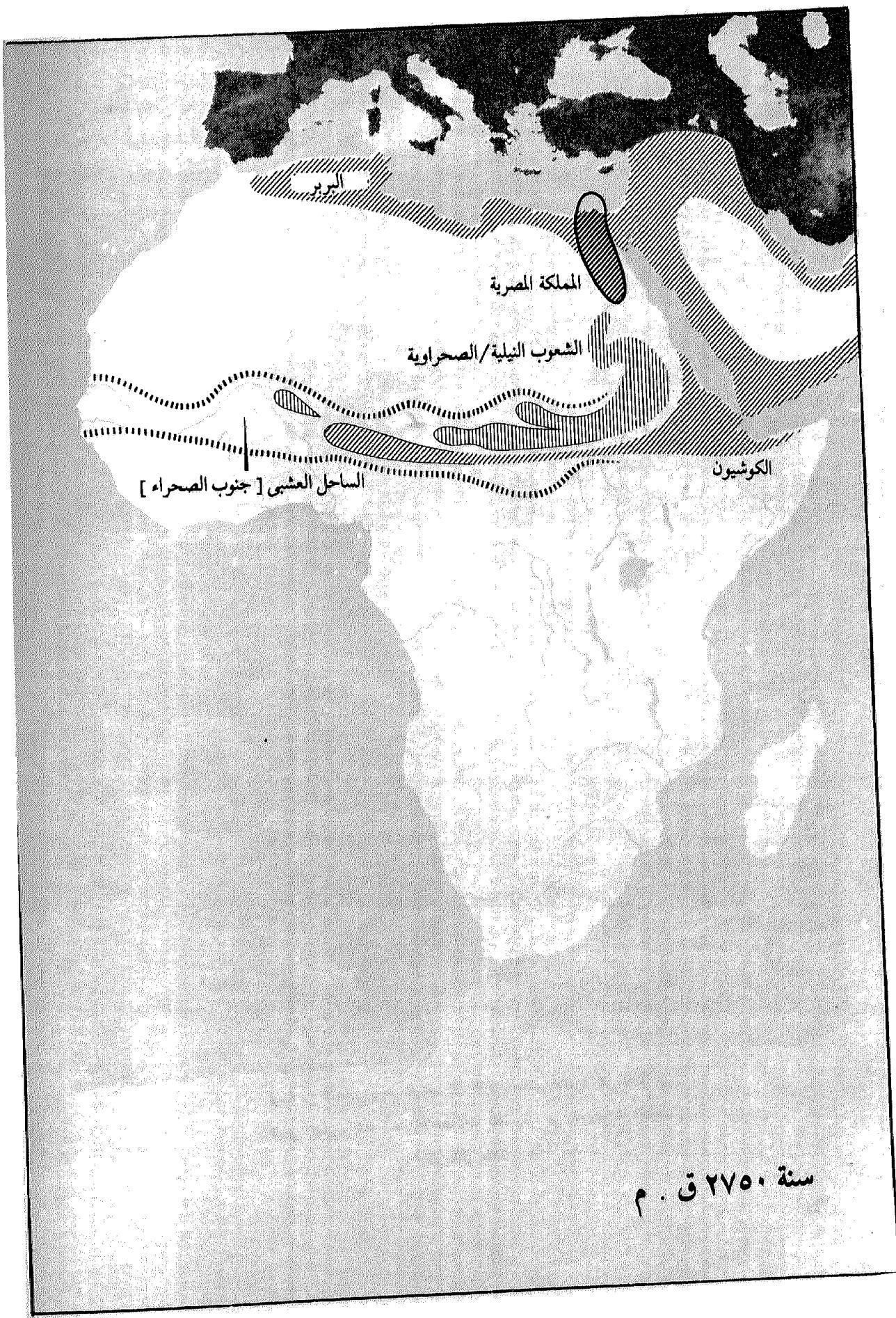
اما الشعوب النيلية الصحراوية ، فيتميزون

بشرة النوبين إلى سبب جوهرى هو وجودهم في المناطق الجنوبية ، الأمر الذى هيا للاختيار الطبيعي أن يؤدى دوره في تلوين بشرتهم باللون الأسمر ، بالإضافة إلى وفر الجينات السوداء نتيجة اختلاطهم بجيранهم السود .

وفي الشرق [ وادى النيل ] كان يعيش المصريون . وفي جنوب الصحراء الشرقية المطلة على البحر الأحمر ، كان يعيش الكوشيون [ النوبيون ] ، وهم ذوو بشرة داكنة وأكثر سمرة من البربر والمصريين . ويرجع هذا التميز في لون



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، تمثل ثلاثة من قارعي الطيور أثناء أحد الاحتفالات الطقسية. من معارضات المتحف البريطاني بلندن.



## سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد

وهكذا ظهر التمايز الجوهرى بين البدوى والفالح . أى بين سكان المناطق العشبية «الاستبس» Steppes التى لا تصلح لأى شىء سوى رعى القطعان ، وبين الفلاحين الذين يعيشون مستقرين بالقرى ، ويؤهلون أنفسهم لحياة حضرية جديدة ، ازدادت فيها المعدلات السكانية .

ولم تلعب افريقيا أى دور على الاطلاق في هذه التطورات ، بل وظلت بعيدة عن التأثير بهذا التطور حتى حوالي سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، حيث انتقل هذا الأسلوب الجديد للزراعة من وادى الأردن إلى وادى النيل ، أى من فلسطين إلى مصر<sup>(١)</sup> .

ثم انتقل هذا الأسلوب من مصر ببطء إلى السواحل الافريقية الشمالية المطلة على البحر المتوسط [تونس والجزائر والمغرب] . كما انتقل جنوباً إلى السودان [نحو سنة ٣٠٠٠ ق . م] .

وكمراحلة أخرى ، كما هو مبين بالخريطة ، تدفقت موجات الفلاحين والرعاة من السودان متوجهة نحو الغرب عبر الساحل [وهو الحزام العشبي الذى يقع جنوبي الصحراء الكبرى مباشرة] .

ورغم أن ثورة الاستقرار الزراعى فى العصر الحجرى الحديث قد وصلت إلى أفريقيا متأخرة ،

في خلال العصر الباليوليتic Palaeolithic العصر الحجرى القديم ] والعصر الميسوليتic Mesolithic [ العصر الحجرى الوسيط ] ، كان الإنسان يعتمد في حياته على جمع الطعام كصيد لحيوانات والأسماك وقطف الشمار وحفر الأرض لمبحث عن الجذور .

اما السمة الأساسية التي تميز بها العصر لنيوليتic Neolithic [ العصر الحجرى الحديث ] فهي انتقال الإنسان من عملية جمع لطعام إلى عملية انتاج الطعام المتمثلة في زرع البذور وجني المحاصيل الصالحة للطعام وفي تربية الحيوانات المستأنسة ورعى القطعان .

وقد حدث هذا التحول في منطقة الشرق الأدنى ، خلال الألف السابع قبل الميلاد ، حيثتمكن الإنسان من زرع القمح والشعير واستئناس الأغنام والماعز والخفافيش والمواشي . وقد أدت هذه العملية التحولية الجديدة إلى زيادة أعداد الإنسان . وقد بدأت هذه الزيادة بمعدل بطيء في البداية ، ثم ارتفع معدل الزيادة بمرور الوقت .

وكانت معظم المجتمعات الإنسانية التي انتهت الزراعة واستئناس الحيوانات كأسلوب جديد للحياة ، تعيش مستقرة في أماكن محددة أخذت شكل القرى التي تحيط بها الأسوار أحياناً رغم هذا الزمن الضارب في القدم .

اما المجتمعات الإنسانية التي اعتمدت على رعى القطعان فقد عاشت حياة التنقل حيث كانت ترحل باستمرار ومعها قطعانها إلى حيث توجد الماء الصالحة حسب فصول السنة .

(١) أرجو أن يتناول القارئ رأى المؤلف في هذا الشأن بشيء من التحفظ فهذه النظرية محل خلاف ، والرأى الراجح هو ظهور الزراعة بصر أولاً .  
[المترجم] .

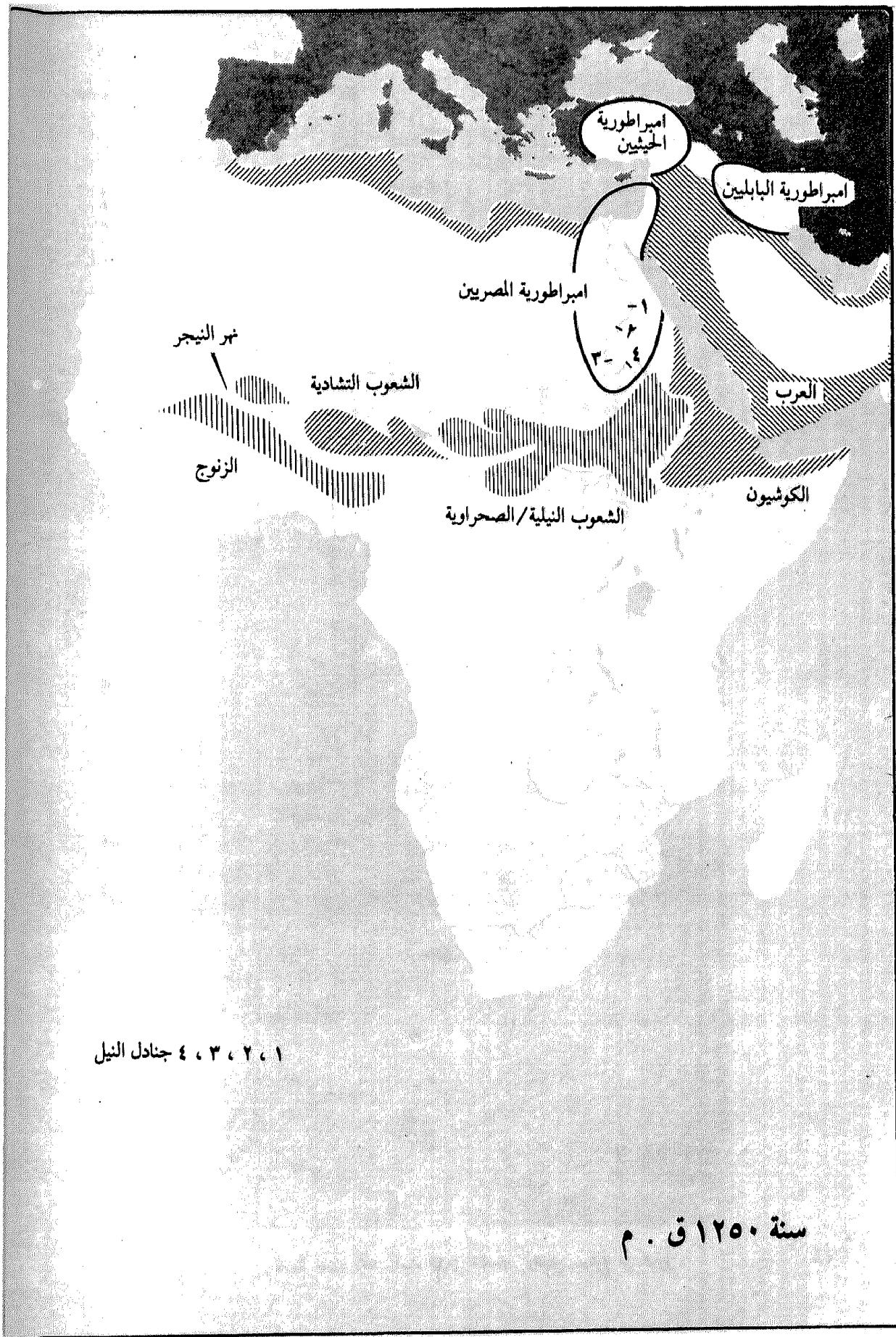
وبهذه الخلفية الاقتصادية ، حققت افريقيا أول الانتصارات الحضارية بين القارات الأخرى ، حيث استطاع المصريون أن ينشروا نظام «الدولة» حين قام الملك مينا [ سنة ٣٠٠٠ ق . م على وجه التقريب ] بتوحيد مصر العليا «الوجه القبلي» مع مصر السفلية «الوجه البحري» في دولة واحدة ، هي بلا أدنى شك أول وأقدم دولة في العالم .

وتطورت بعد ذلك ببطء ، إلا أنها أحرزت نجاحاً بالغاً في نقطة دخولها ، أي في مصر . فقد تعلم المصريون بسرعة كيف يستفيدون من الفيضانات الموسمية لنهر النيل في رى محاصيلهم ، وبالتالي فقد أصبحت مصر - أو بالتحديد الأجزاء المأهولة منها - أكثر البلاد تكثساً بالسكان في العالم في ذلك الزمن .



٤١

قلادة خاصة بأحد رؤساء القبائل القداماء . والقناع مصنوع من البرونز .



## سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد

المصري لبلاد النوبة حتى منطقة الجندي الرابع . وهي المنطقة التي تعتبر العتبة المؤدية إلى عالم جنوب الصحراء الكبرى .

في تلك المنطقة توقف المصريون القدماء عن التقدم نحو الجنوب ، لأن هذه المناطق الجنوبية كانت فقيرة للغاية ، بل وأفقر من أن تستحق تكاليف الاستمرار في اقتحامها ، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات بينها وبين مصر .

أما القبائل التي كانت تعيش جنوب الحدود المصرية مباشرة ، فقد كانت من الشعوب النيلية الصحراوية التي تستوطن منطقة واسعة تمتد غرباً عبر « الساحل » العشبي حتى بحيرة تشاد .

وفي المنطقة المتعدة من بحيرة تشاد حتى وسط نهر النيل ، كانت تعيش الشعوب التشادية Chadic . وهي قبائل كانت تنتمي في الأصل إلى الكوشيين ، ولكنها كانت قد انفصلت عن أصولها منذ زمن طويل ، واكتسبت سمات مستقلة من خلال انتماها إلى المجموعات الناطقة باللغات الحامية . Hamitic Language . Group .

أما الزوج الذين كانوا يعيشون بالمناطق الواقعة جنوب غرب الناطق التي تعيش فيها الشعوب التشادية ، فقد دخلوا بدورهم إلى نطاق التأثير بالثورة التي أحدثتها العصر الحجري الحديث . فإلى جانب حرف الرعن تعليموا حرف الزراعة ، وأصبحوا يتبعون محاصيل زراعية أهمها حبوب السorghum المعروفة بالذرة السكرية .

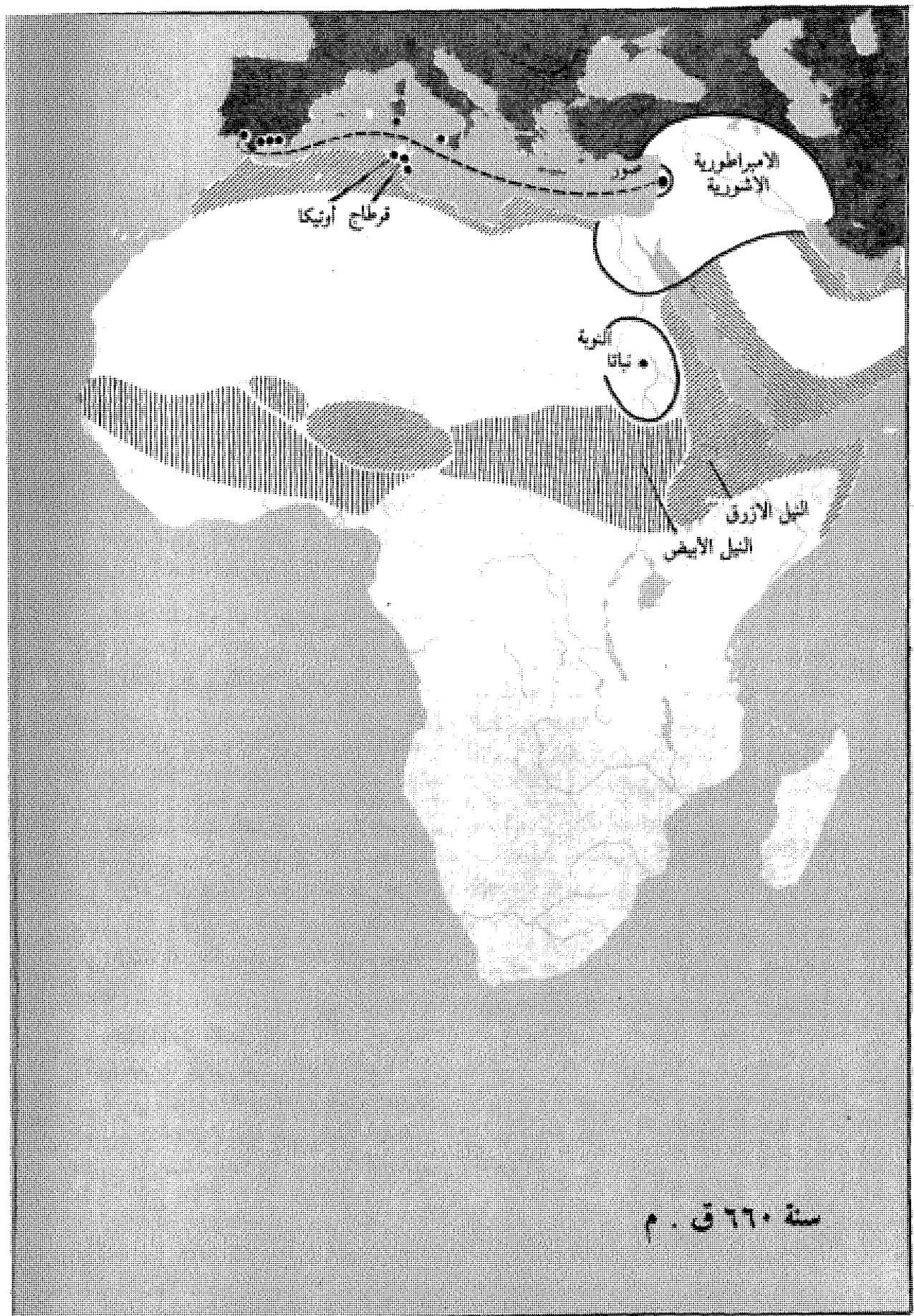
ظلت المملكة المصرية أهم مملكة في العالم لحقبات طويلة من الزمن ، ولم تتنافسها في الوجود أية مملكة أخرى حتى سنة ٢٣٠٠ ق . م حين قام سرجون الأكبر بتوحيد ميزوريوتاميا Mesopotamia [ بلاد ما بين النهرين - العراق حالياً ] .

وبعد نحو ألف سنة أخرى ، لم يكن في العالم سوى دول ثلاث كبيرة هي : الامبراطورية المصرية [ التي ضمت المناطق الفلسطينية ] والامبراطورية البابلية [ التي خلفت سرجون في بلاد ما بين النهرين ] وامبراطورية الحيثين [ التي تركزت في النصف الشرقي من تركيا ] .

وما لا شك فيه أن الامبراطورية المصرية كانت الامبراطورية الأكثر رسوحاً والأكثر قدرة على البقاء من جميع هذه الامبراطوريات . فقد بدت مصر وكأنها وجدت لتبقى إلى الأبد ، وهو أمر لم تستطع بلوغه أية امبراطورية أو مملكة أخرى .

وقد وضع قدماء المصريين حدود بلادهم من ناحية الجنوب ، عند النقطة التي لا يصبح فيها النيل صالحًا للملاحة ، حيث تتعرض بحيراه صخور متباشرة صلبة يصعب اجتيازها ملاحياً . وهي النقطة المعروفة باسم الجندي الأول بمنطقة أسوان .

وابتداء من الجندي الأول ، تمتد جنوباً المنطقة المعروفة بأرض كوش Cush [ النوبة ] . وفي حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م ، قامت القوات المصرية باحتلال النوبة حتى منطقة الجندي الثاني . وفي سنة ١٥٠٠ ق . م امتد الاحتلال



ستة . ٦٦ ق . م

## سنة ٦٦٠ قبل الميلاد

الفينيقية . فقد كانت مدينة تجارية تتمتع بموقع حصين عبارة عن جزيرة صغيرة قرب الشاطئ اللبناني ، كما كانت تمتلك أقوى اسطول في منطقة البحر المتوسط . ولذلك فقد عجزت جيوش الآشوريين عن اقتحامها .

أما القوة الاقتصادية التي ساندت الفينيقيين في صور ، فترجع إلى اكتشافهم أسرار مناجم الفضة في إسبانيا . الأمر الذي أدى إلى قيامهم بتأمين وحماية الطريق البحري الذي يربط بين مدينتهم وبين السواحل الإسبانية ، فأنشأوا مجموعة من التحصينات في شكل مستعمرات في منطقة المير البحري المنحصر بين سواحل تونس وسواحل جزيرة صقلية ، وذلك لضمان الدفاع عن هذا الطريق البحري ضد أية دولة تفكر في المنافسة أو في استخدام هذا الطريق .

وفي الزمن محل بحث هذه الخريطة ، أصبحت بعض المستعمرات التي أنشأها الفينيقيون بسواحل تونس – خصوصاً في قرطاج وأوتيكا – مدنًا غنية وقوية ، بل ونافست في قوتها وغناها مدينة صور نفسها .

وتظهر أهمية هاتين المدينتين في التاريخ الأفريقي في أنها أدخلتا الحضارة إلى مناطق شمال أفريقيا . فعن طريقهما عرفت تلك المناطق حرف الزراعة والتعدين وفنون الكتابة ، كما استطاع القرطاجيون أخيراً الاستقلال عن صور ، وانشأوا لأنفسهم أمبراطورية مستقلة في شمال أفريقيا .

هذا وتعتبر المهارات التعدينية أبسط المعايير لتحديد مدى التقدم التكنولوجي في

فقد المصريون سيطرتهم على بلاد النوبة حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م . ولم يليست لدينا أية سجلات تاريخية تدلنا عنها حدث بتلك البلاد في خلال القرنين التاليين .

وفي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد ، ظهرت النوبة من جديد على خريطة العالم باعتبارها دولة مستقلة ، على رأسها ملوك أقوىاء استطاعوا أن يحتلوا الوجه القبلي [ المصري ] في عهد بعض الفراعنة الضعاف من الأسرة الرابعة والعشرين .

وفي نفس الوقت امتدت حدود المملكة النوبية جنوباً حتى وصلت إلى ما بعد النقاء النيلين [ الأزرق والأبيض ] . وقد بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها ، في عهد الملك بعنخي [ ٧٥٦ - ٧١٦ ق . م ] الذي استطاع أن ينضم الوجه البحري [ المصري ] أيضاً ويكون بذلك أول فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين .

ولكن هذه الأسرة لم تستمر في حكم مصر طويلاً ، فقد ارتکب أحد أبناء الملك بعنخي وهو الملك طهرقا [ ٦٨٨ - ٦٦٣ ق . م ] حماقة أغضاب الآشوريين الذين كانوا يعتبرون في ذلك الوقت سادة معظم أنحاء الشرق الأدنى . فأرسل الآشوريون جيشاً إلى مصر اكتسح النوبيين وطردتهم من مصر بسهولة . ومنذ ذلك الوقت لزم النوبيون حدوء بلادهم الأصلية ، ولم يظهروا مرة أخرى شمال الجندل الثاني .

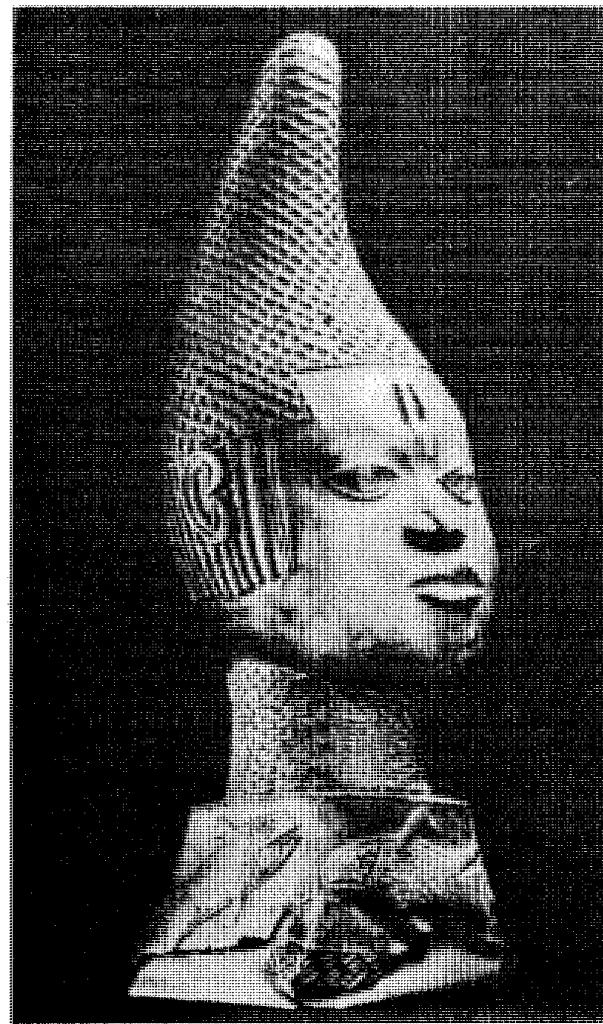
وقد سيطر الآشوريون تماماً على معظم دول دوبيلات الشرق الأدنى ما عدا مدينة « صور »

أدخلت الدولة الآشورية الحديد إلى إفريقيا .

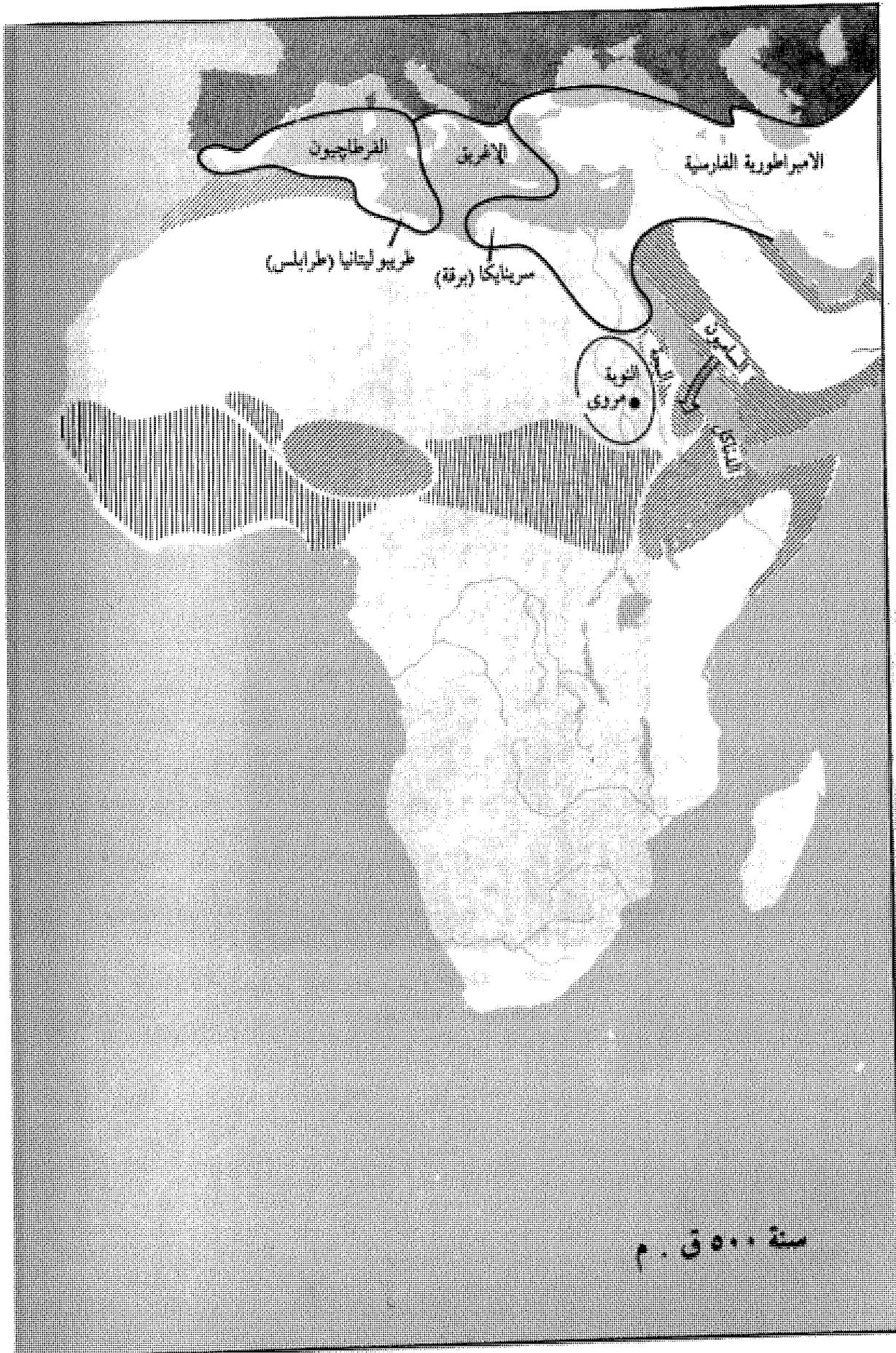
و هذه الخريطة توضح لنا انتهاء عصر البرونز المحدود ، و بداية دخول القارة إلى عصر الحديد ، كما تبين لنا أهمية التغيرات التي حدثت في مناطق القارة التي كانت مازالت تعيش في العصر الحجري . ففي مرتفعات الحبشة وفي مناطق غرب القارة عاشت المجتمعات الإنسانية المنتجة للطعام جنباً إلى جنب مع المجتمعات الإنسانية الجامحة للطعام . و يدأت هاتان المنطقتان بالتالي ، تدخلاً في مرحلة النمو السكاني المرتبط بهذا التحول الحضاري .

المجتمعات الإنسانية ، الأمر الذي دعا علماء الآثار إلى تقسيم الأزمنة والعصور الحضارية على أساس علاقة المجتمعات الإنسانية بالمعادن المختلفة ، وعلى ذلك فقد قالوا بوجود العصر الحجري ، ثم عصر البرونز ، ثم عصر الحديد ، وذلك طبقاً للتعاقب الزمني .

ولا يلعب عصر البرونز دوراً ذا أهمية في إفريقيا سوى في مصر التي عرفت هذا العصر ودخلت إليه في سنة ٣٠٠٠ ق . م . وبلاد النوبة التي دخلته في سنة ١٥٠٠ ق . م . أما بقية أنحاء القارة فلم تزل تعيش في العصر الحجري إلى أن



تمثال من النحاس يمثل رأس أم أحد ملوك بنين القدماه . من معارضات  
متحف الثقافات الشعيبة برلين .



ستة و٥٠٠ ق. م

## سنة ٥٠٠ قبل الميلاد

ولم يستطع المستعمرون الفرس أو الفينيقيون ، ولا سكان المدن والمستوطنات التي انشأوها على سواحل شمال افريقيا ، أن يتغلبوا إلى داخل القارة ، أو يقيموا أية علاقة مع المجتمعات الانسانية البدائية التي تقيم بالداخل .

ولهذا فقد ظل الطابع الذي يميز مناطق شمال افريقيا [ غرب مصر ] هو الانفصال التام بين الحضريين الذين يمارسون الزراعة ويعيشون في مدن الشاطئ ومستوطناته ، وبين البدائيين الذين يعيشون على الفطرة في داخل الأراضي الافريقية جنوب تلك المدن والمستوطنات .

ولم يكن القرطاجيون هم الساميون الوحديين الذين استعمرروا بعض مناطق افريقيا ، فقرابة زمن هذه الخريطة هاجرت بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة وعبرت البحر الأحمر واستوطنت منطقة إريتريا ، وسرعان ما جعلت لنفسها السيادة على الشعوب والقبائل الكوشية [ النوبية ] التي كانت تعيش على السواحل الغربية للبحر الأحمر . بل وفصلت تماماً بين مجتمعتين أساسيتين من القبائل النوبية هما : **البجة Beja** في الشمال والدناكل **Danakil** في الجنوب .

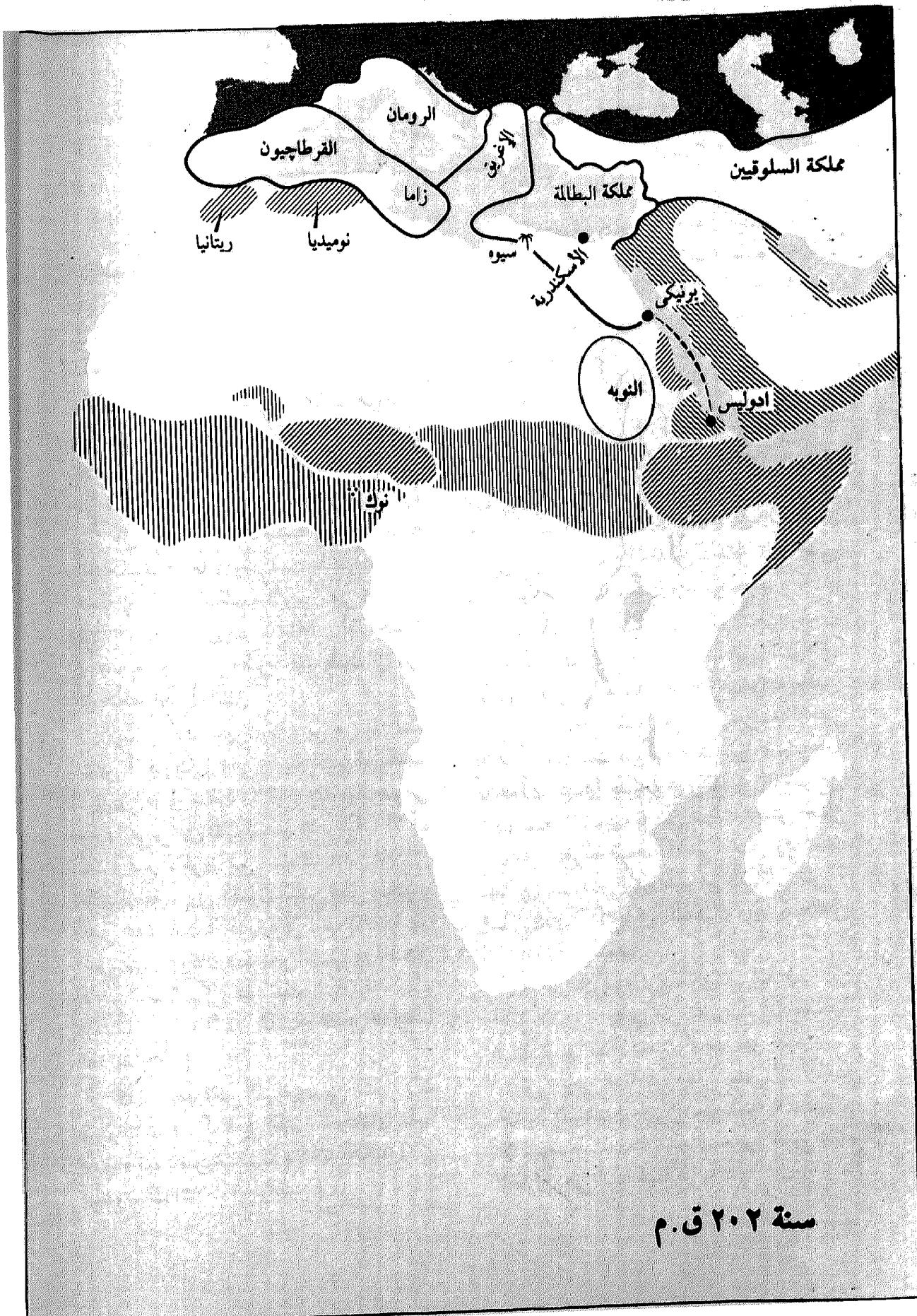
ثم سرعان ما تغلبت القبائل العربية إلى داخل القارة . وليس من الغريب أن هضبة الحبشة نفسها قد استمدت اسمها من اسم قبيلة « حبس » وهي قبيلة عربية . بل إن اللغة الحبشية السائدة والتي تسمى لغة « الجيز » قد استمدت تسميتها من اسم قبيلة Geez الأجازى وهى أيضاً قبيلة عربية .

دالت امبراطورية الأشوريين وحلت محلها مبراطورية أخرى أكبر وأوسع نطاقاً ، هي امبراطورية الفارسية التي ضمت جميع مناطق لشرق الأدنى ، وأمتد نطاقها عبر مساحة شاسعة بدأ من حدود أوروبا حتى الهند .

أما الجزء الافريقي من تلك الامبراطورية ، فقد انضم إليها في سنة ٥٢٥ ق . م حين قام الملك نصف الجنون قمبيز بالاستيلاء على مصر وعلى سيرينيابقا Cyrenaica [ برقة ] . وقد عزم قمبيز على فتح وضم بلاد النوبة ، ولكن حملته نشلت فشلاً ذريعاً ، ومع ذلك فقد أدت هذه الحملة إلى انتقال عاصمة النوبين من « نباتا » Napata إلى « مروي » Meroe . أما الحدود الفاصلة ما بين مصر والنوبة فقد ظلت كما هي عند منطقة الجندل الثاني .

وينسب اسم سيرينيابقا [ برقة ] إلى اسم سيرين أو قورينه ، وهى مدينة اغريقية أنشأها الاغريق حوالي سنة ٦٢٥ ق . م . وبالرغم من سيادة الفرس على تلك المنطقة الافريقية ، إلا أن ذلك لم يمنع الاغريق من إنشاء المزيد من المدن في تلك المنطقة . وفي القرن الثامن قبل الميلاد ، وصل عدد المدن الاغريقية في تلك المنطقة إلى خمس مدن . وكان هذا هو السبب في اطلاق الاسم الكلاسيكي على تلك المنطقة ، وهو « بنتابوليس » [ المدن الليبية الخمس Libyan Pentapolis ] .

كذلك فقدتمكن الفينيقيون من إنشاء ثلاث مستوطنات على الساحل الليبي ، وأطلقوا عليها اسم « تريلوليتانيا Tripolitania » أي المستوطنات الثلاث [ طرابلس ] .



سنة ٢٠٢ ق.م

## سنة ٢٠٢ قبل الميلاد

غرب البحر المتوسط ، نشب بين روما وقرطاج من أجل محاولة السيطرة والهيمنة على العالم الكلاسيكي القديم .

وفي سنة ٢٠٢ ق . م ، انتهى هذا الصراع في موقعة زاما Zama بتونس ، حيث استطاع فيلقان من جيوش الرومان بمساعدة فرسان نوميديا<sup>(١)</sup> Numidia القضاء على جيش القرطاجيين بالرغم من أن هذا الجيش الأخير كان يستخدم في المعركة ثمانين فيلاً مدرباً على خوض الحروب .

وكان الهنود هم أول من استخدم الأفياض في المعارك الخربية . وقد واجه الاسكندر هذه الأفياض الخربية لأول مرة عند غزوه للبنغال . ولكن يبدو أن الاسكندر لم يكن مقتنعاً بفاعليّة هذه الأفياض وكيفية إداتها في المعارك الخربية ، فلم يتم باستخدامها ، ذلك على عكس الحال بالنسبة لسلوكس الذي جلب نحو خمسين ألفيأسيوى من أفغانستان . أما البطالمة فقد ردوا على ذلك باستخدام الفيلة الأفريقية التي استجلبواها

(١) نوميديا : إقليم في شمال غرب إفريقيا [ مكان الجزائر تقريباً ] كانت في البداية جزءاً من إمبراطورية القرطاجيين ، إلى أن انضمت لساندة الرومان في الحرب اليونانية الثانية في سنة ٢٠٦ ق . م ، ومنحت حق الاستقلال في سنة ٢٠١ ق . م . ثم ناصرت المملكة القائد الرومان بومي ضد قيصر سنة ٤٧ ق . م . وبعد انتصار قيصر عزلت الأسرة المالكة لنوميديا واعتبرت ولاية رومانية باسم إفريقيا الجديدة . ثم غزاها الشاندال في القرن الخامس الميلادي ، وغزاها العرب في القرن الثامن الميلادي . [ الترجم ] .

في الفترة ما بين سنة ٣٣٤ ق . م وسنة ٣٢ ق . م ، قام ملك مقدونيا الاسكندر أكبر بالاستيلاء على إمبراطورية الفرس . وقد سقطت العاصمة الفارسية التي كانت تحتل مصر بيوش الاسكندر دون مقاومة .

وقد أقام الاسكندر الأكبر فترة قصيرة بمصر شتاء ٣٣٢ / ٣٣١ ق . م [ ولكنها كانت كافية لاختيار موقع عاصمة جديدة هي مدينة الاسكندرية ] ، وذلك في موقع فريد قرب مصب فرع الكانوبى Canopic لنهر النيل ، كما اجتاز الاسكندر أيضاً الصحراe الليبية لزيارة قدس لاقداس بعبد الإله زيوس — آمون المقام بواحة سيوه . حيث أخبره الإله بأنه يباركه كابن له ، هو أمر صادف هوئيًّا كبيراً في نفس الاسكندر الذي نفذ وصية الإله على خير وجه .

وبعد موت الاسكندر في سنة ٣٢٣ ق . م يقسم إمبراطوريته بين كبار قادة جيشه ، صارت مصر من نصيب أحد هؤلاء القادة بطليموس Ptolemy الذي أسس المملكة بطلمية في مصر . كما أن معظم إمبراطورية الاسكندر قد أصبحت من نصيب قائد آخر هو سلوكس Seleucus الذي أسس مملكة السلوقيين .

وقد استمرت هاتان المملكةان في الحكم فترة طويلة دخلتا فيها معارك وصراعات عديدة وإن كانت غير حاسمة ، من أجل أن تسيطر إحداهما على فلسطين .

ولى جانب هذا الصراع الممرين في شرق البحر المتوسط ، كان هناك صراع ممرين آخر في

ذلك فقد هزم هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخه العسكري الطويل ، وذلك في موقعة « زاما » .

ولم يقم الرومان بضم قرطاج بعد تلك الهزيمة ، ولكنهم وسعوا رقعة مملكة البربر الجديدة في نوميديا على حساب القرطاجيين .

وفي تلك الفترة ظهرت مملكة أخرى للبربر ، وهي مملكة موريطانيا التي كان يقع مركزها في مملكة المغرب الحالية .

أما في المناطق الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى ، فلم تتع تطورات ذات أهمية ، سوى ظهور بعض المجتمعات الإنسانية التي تختلف صناعة تعدين الحديد [ حضارة قبائل النوك Nok بأواسط نيجيريا ] . وقد عرفت هذه القبائل أسرار تلك الصناعة بعد أن انتقلت إليها من مصر عن طريق بلاد النوبة وعبر الساحل العشبي . وهذا هو الرأي الراجح ، لاستحالة انتقال هذه الصناعة إلى قبائل النوك من مناطق شمال أفريقيا لعدم وجود وسائل اختراع الصحراء في ذلك الزمن . وكذلك لاستحالة احتمال أن تكون هذه الصناعة قد نشأت محلياً في تلك المنطقة .

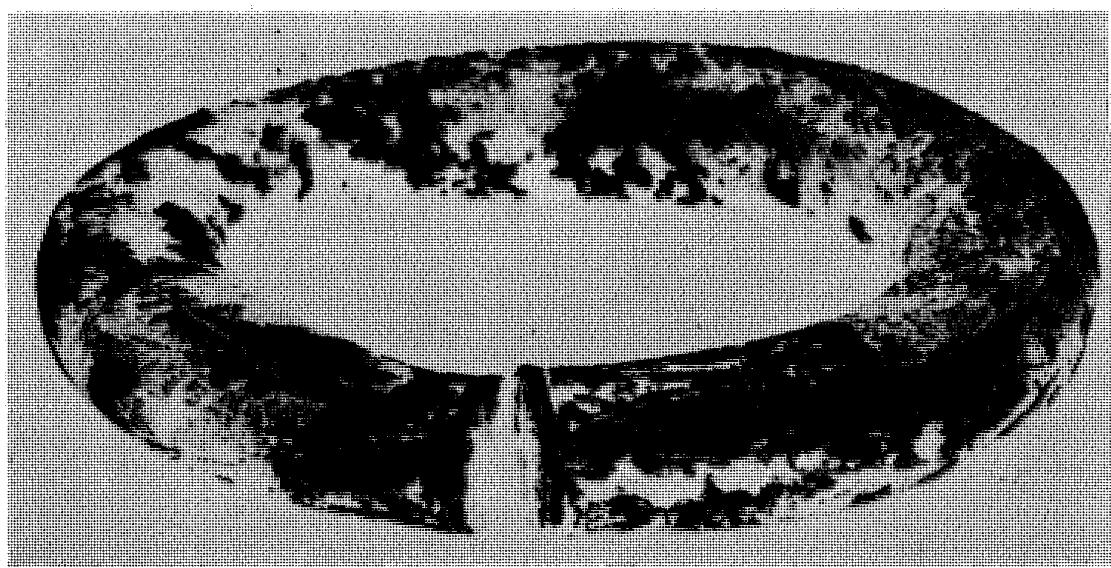
من بلاد النوبة ومن المناطق الواقعة بين مينائي برنيكى وأدوليس [ عدلى<sup>(١)</sup> بالبحر الأحمر [ منطقة اوينتريا ] . وكانت هذه الأفياں الأفريقية صغيرة الحجم وأسهل استئناساً وتدريبًا بالمقارنة بالأفياں الضخمة الأخرى في المناطق الأكثر تطرفا نحو الجنوب .

أما الأفياں التي استخدمها القرطاجيون في معاركهم فكانت أفيالاً محلية المنشأ كانت موجودة ببعض مناطق شمال إفريقيا ، ولكنها انقرضت تماماً نتيجة لكثافة صيدها في العصر الرومان .

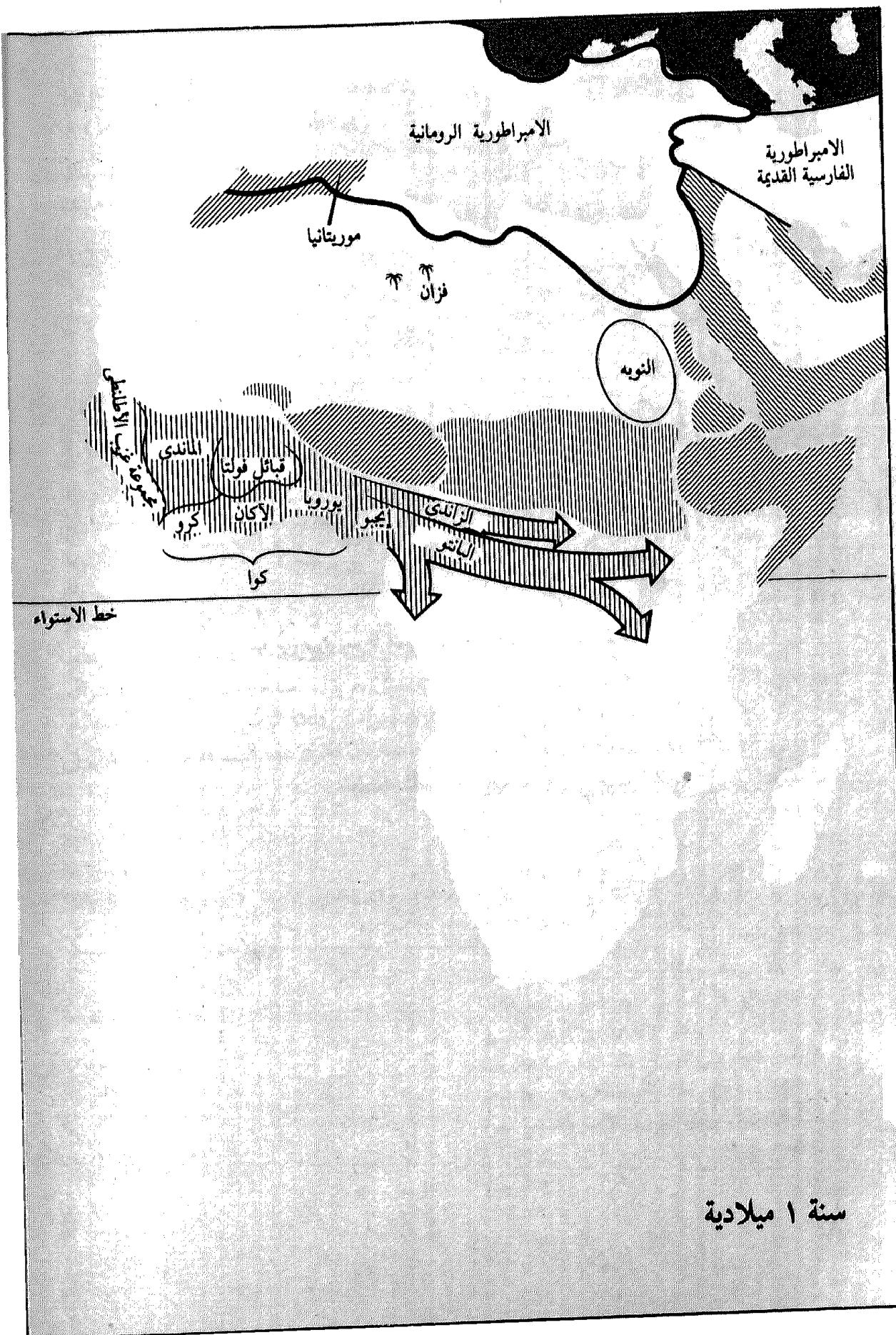
ويعتبر القائد القرطاجي هانيبال أشهر القادة العسكريين الذين استخدمو الأفياں في المعارك الحربية . ويدرك التاريخ انه اصطحب معه خلال محاولته غزو إيطاليا مجموعة كبيرة من الأفياں ليستعين بها في معارك الحرب الثانية بين روما وقرطاج [ سنة ٢١٨ ق . م ] . ولكنه فقد الكثير من تلك الأفياں أثناء اجتيازه جبال الألب ، كما أن الأفياں المتبقية لم تساعداه كثيراً في معاركه هناك . وبعد عودة هانيبال إلى إفريقيا ، جمع عدداً آخر من الأفياں وضمها إلى جيشه . ومع

(١) أدوليس : وتسمى الآن « عدال » أو « عدلى » وهي ميناء قديم على الساحل الغربي جنوب البحر الأحمر قرب مصوع . ويعتبر بدأة لطريق القوافل الرئيسية الذي ينبعق قلب إفريقيا . وقد استخدم البطالة هذا الميناء لصيد واستجلاب الفيلة الأفريقية . وظل ميناء تجاريًا على درجة كبيرة في الأهمية لأفريقيا لفترة طويلة .

[ المترجم ]



سوار من البرونز يرجع تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد، من معارضات متحف  
بنين القومني.



سنة ١ ميلادية

## سنة « ١ » ميلادية

أرسلت حملتان تأديبيتان إحداها إلى واحات فزان والأخرى إلى نباتا في بلاد النوبة . وأوضحت الحملتان أنه لا جدوى من التوسيع جنوباً في المناطق الأفريقية حيث لا يوجد إلا أعداد قليلة من الناس الفقراء ، ومناطق شاسعة مجدهبة لا نفع ولا كسب وراءها ، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات بينها وبين روما .

ومما يدل على صحة نظرة أغسطس إلى حدود الامبراطورية الرومانية ، أن هذه الحدود قد ظلت قائمة - مع تعديلات بسيطة - على مدى ٤٠٠ سنة تالية .

وبالرغم من وضوح الأهمية التاريخية لانشاء الحكم الروماني في مناطق شمال افريقيا ، إلا أن هذه الأهمية تتضاءل أمام حدث يعتبر أهم الأحداث في تاريخ القارة الأفريقية ، وهو تدفق هجرات قبائل الزنوج من غرب القارة إلى وسطها . وقد تدفقت هذه الهجرات في تيارات متوازية هما هجرات قبائل الزاندي Zande وهجرات قبائل البانتو Bantu .

وقد بدأت هذه الهجرات من منطقة جبال الكاميرون التي تعتبر الحدود الشرقية الأصلية للقبائل الزنوجية ، واحتارت حوض نهر زائر متوجهة إلى منابع النيل الأبيض .

وهكذا بينما كان الامبراطور الروماني أغسطس يضع اللمسات الأخيرة لحدود الامبراطورية الرومانية ، كانت قبائل الزاندي وبقبائل البانتو تفتح افريقيا الاستوائية . وبينما كانت مصالح الرومان تتلاشى في الأرضي الصحراوية المجدهبة ، استطاعت قبائل البانتو أن

نشبت الحرب الثالثة والأخيرة بين روما وقرطاج في الفترة ما بين سنة ١٤٩ ق . م وسنة ١٤٦ ق . م . وانتهت بانتصار الرومان الذين خربوا المدينة وضموا أراضيها ، مما اعطاهن اقلية تعادل مساحتها نصف مساحة تونس الحالية .

وعلى مدى القرنين التاليين استولى الرومان على كل الشمال الأفريقي : استولوا على سيرينايكا [ برقة ] سنة ٧٤ ق . م ، وعلى نوميديا في قضتين سنة ٤٦ ق . م وسنة ٢٥ ق . م ، وعلى مصر في قضمة واحدة سنة ٣٠ ق . م .

أما مملكة موريتانيا فقد ظلت مستقلة ، ولكن لا الملك جوبا الثاني الذي كان يحكم موريتانيا في زمن هذه الخريطة ، ولا الامبراطور الروماني أغسطس الذي أجلس هذا الملك على عرش بلاده ، كانا يعتبران استقلال موريتانيا استقلالاً تاماً من كافة الوجوه ، فلم تكن موريتانيا بالفعل سوى ولاية رومانية تتمتع باستقلال محدود ، ولم يكن ملكها سوى قائمقام القنصل .

وقد اهتم أغسطس يجعل حدود الامبراطورية الرومانية حدوداً طبيعية ، ففي أوربا اختار نهر الراين والدانوب ، وفي آسيا امتدت حدود الامبراطورية إلى نهر الفرات ، وفي أفريقيا امتدت الحدود إلى حواف الصحراء .

وربما وضع أغسطس احتمالات توسيع حدود الامبراطورية لتشمل مناطق أخرى وراء هذه الحدود . ولكن في افريقيا اتضح انه ليس هناك احتمال لأى توسيع في المستقبل ، فقد

وكما يظهر على الخريطة فإن الساحل الافريقي الغربي كان مأهولاً بقبائل تتكلم لغات ولهجات تتبع إلى عائلة غرب الاطلنطي اللغوية [ وشهرها الآن لغة الولوف Wolof ولغة الفولان Fulani ] .

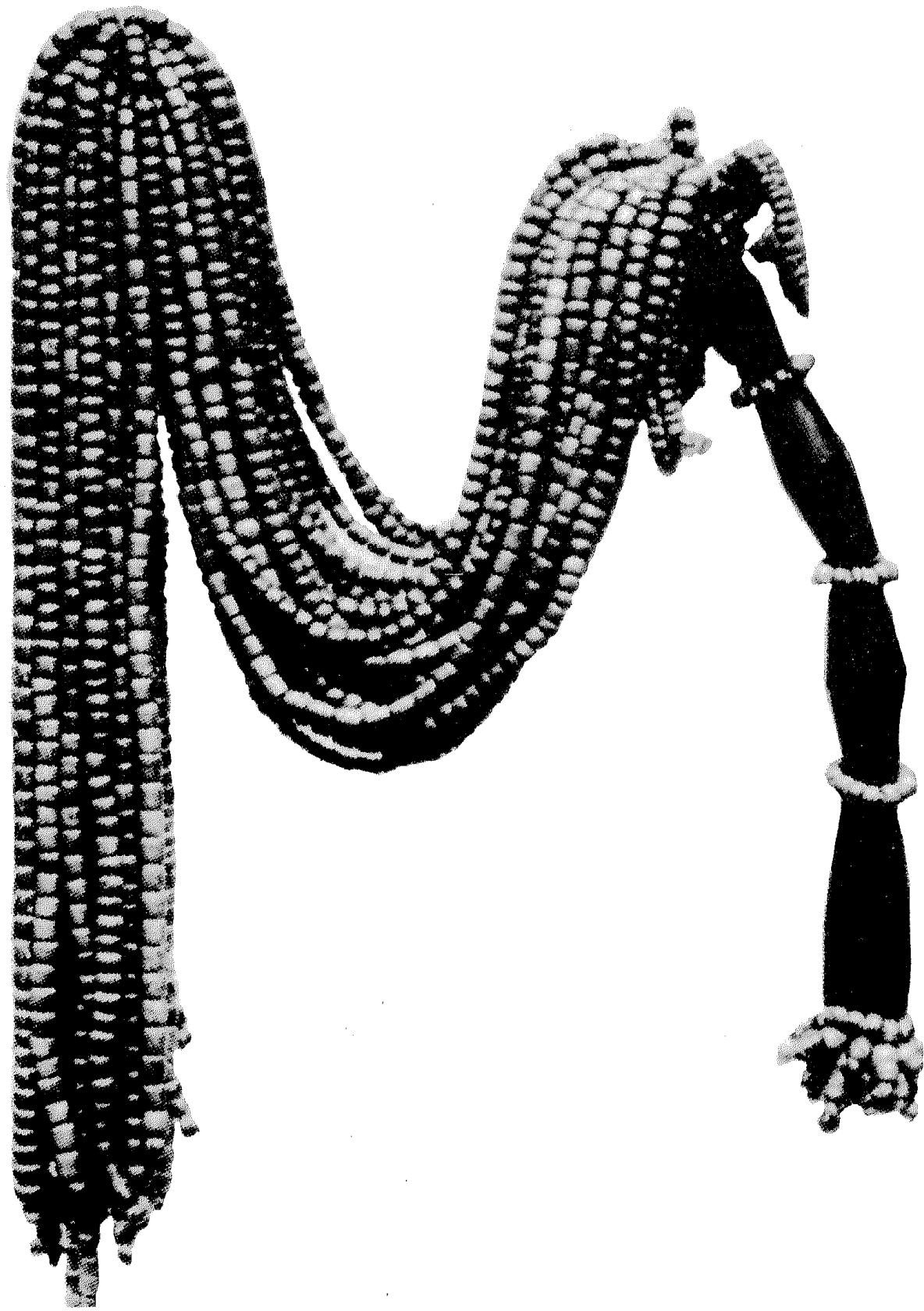
أما الساحل الجنوبي فقد كان مأهولاً بالقبائل التي تتكلم لغات تتبع إلى عائلة الكوا Kwa [ وشهرها لغات الكرو Kru والأكان Akan ] واللغات السائدة في مناطق جنوب نيجيريا وهي لغة اليوروبا Yoruba ولغة الإيجبو Igbo .

أما مناطق أعلى السنغال وأعلى النiger ، فقد كانت مأهولة بالقبائل المتكلمة بلغة الماندي [ وهي قبائل المالينكي Malinke والسوينيكي Bambara و البامبارا Soninke ] .

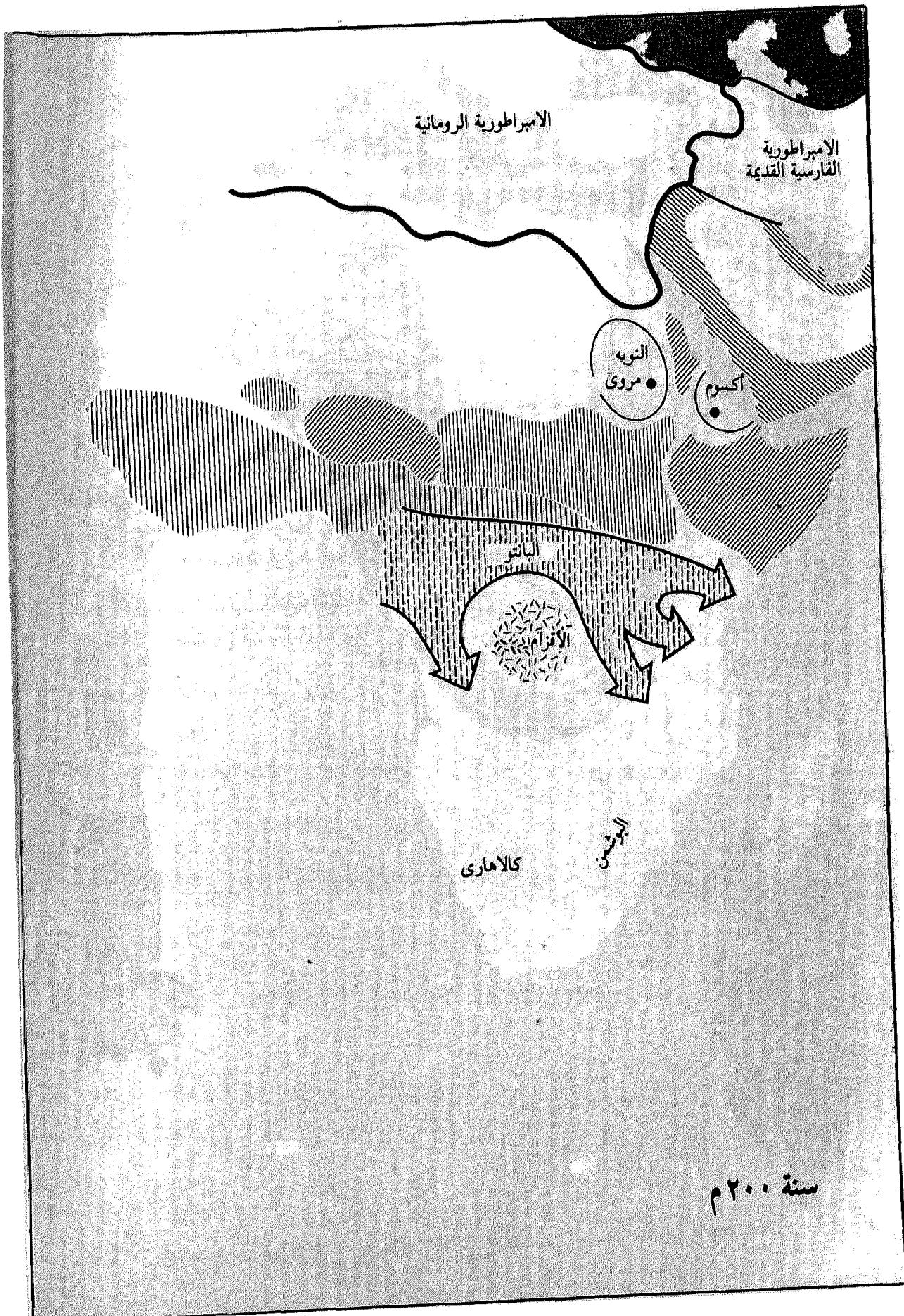
أما منطقة قولنا العليا فكانت مأهولة بالقبائل التي تتكلم اللغة الفولية [ وشهرها قبائل موسى Mossi ] .

تصل إلى الأراضي الخصبة بمناطق الأخدود الغربي والأقاليم المحاطة ببحيرة فيكتوريا . وهناك استطاعت هذه القبائل أن تستقر وتتكاثر وتزداد قوة ، استعداداً للمزيد من التوسيع في هجرات تالية .

أما اللغات التي كانت تتكلمتها القبائل والشعوب الزنجية في زمن هذه الخريطة ، فتتبع كلها إلى عائلة لغوية واحدة هي عائلة «النيجر/ الكونغو» . وتنقسم هذه العائلة اللغوية إلى ستة أقسام : قسمان منها وهما الراندي والبانتو كانا نتيجة للهجرات التي تمت خلال عصر الحديد . أما الأقسام الأربع الأخرى وهي : «مجموعة غرب الاطلنطي» ، والكوا Kwa والماندية Mande والفوولية Voltaic ، فقد ظلت قاصرة على غرب أفريقيا في زمن هذه الخريطة ، بحيث يمكن القول بأن كل قسم منها ظل سائداً بنفس المنطقة التي ظهر فيها من مناطق غرب أفريقيا .



عقد مصنوع من خرز المرجان . خاص بأحد ملوك بنين القدماء . من معارض المتحف البريطاني بلندن .



## سنة ٢٠٠ ميلادية

ولكن الأهالى المحلين فى افريقيا كانوا أسعد حظاً من الأهالى المحلين فى الأمريكتين . فقد تعلم الأقزام كيف يتعايشون مع قبائل البانتو التى احاطت بهم من جميع النواحي ، وهم اليوم يتكلمون لغات البانتو .

أما قبائل البوشمن فقد طردت من معظم مواطنها ، ولكنها ظلت تحفظ بصحراء كالاهارى ، كما ظلت محتفظة بصفاتها العرقية ، ولغاتها الشبيهة بالقرقة Clicks .

وفي شمال افريقيا ، تقلصت دولة موريتانيا إلى ولاية إقليمية تابعة للروماني سنة ٤٢ م . وواصل الرومان توسيع امبراطوريتهم في مناطق الشمال الافريقي .

ولم يتطلب احتلال الرومان هذه المناطق الدخول في معارك أو عمليات حربية بالمعنى المعروف ، فقد تولت القيام بالمهمة تجريدية عسكرية صغيرة ، تضم فيلقين أو ثلاثة ، من الفيالق الثلاثين التي كانت تكون منها الجيوش الرومانية .

ومع ذلك فقد كانت تلك المناطق ذات أهمية حيوية من الناحية الاقتصادية للأمبراطورية الرومانية . فقد كانت تمثل الأرضيات الزراعية المخصصة لانتاج القمح الذي تعتمد عليه روما . ففي كل ربيع كانت الاساطيل الرومانية تخرج من مصر حملة بمحاصيل القمح الذي يكفى استهلاك روما لاثني عشر شهراً تالية . وكانت صوامع المدينة تمثل ، عن آخرها يخزنون القمح المصري . أما إذا حصل عجز أو تأخير في توريد القمح المصري ، فقد كانت روما تتطلع إلى

تبين هذه الخريطة كيف استغلت قبائل البانتو في القرنين الأول والثان بعد الميلاد ، الوضع الجيد الذى خلقوه لأنفسهم خلال القرنين السابقين على الميلاد . ففى البداية تدفقت هجراتهم من المناطق التى استوطنوا فيها حول بحيرة فيكتوريا وزحفوا إلى السواحل الافريقية المطلة على المحيط الهندي . وهذا يعني أنهم ضمنوا أن جميع المناطق التى تقع جنوباً ، ستصبح يوماً تحت سيطرتهم .

ومن المفترض كذلك أنهم احتلوا هذه المناطق زاحفين مع نهر زائير . وفي نفس الوقت واصلوا زحفهم نحو السواحل الشرقية عن طريق الأخدود الغربى .

وبينما كانت قبائل البانتو تواصل زحفها ، كانت قبائل الأقزام Pygmies وقبائل البوشمن Bushmen تتفهرون أمام هذا الزحف ، فتفهرون الأقزام إلى أعماق غاباتهم الكثيفة . وتتفهرون البوشمن نحو الجنوب . ولم تكن هناك فرصة أمام كل من الأقزام والبوشمن الذين كانوا قليل العدد ويدائيين مازالوا يعيشون في العصر الحجرى ويعتمدون على جمع الطعام ، لكنه يقاوموا قبائل البانتو التي كانت أكثر منهم عدداً وأعلى حضارة . فقد كانوا يزرعون حبوب الذرة ، ويرعون قطعان الماشية ، ويستخدمون أسلحة مصنوعة من الحديد ولم يطبقات مخارق مما جعلهم أشبه بالفالقين Conquistadors الذين تغلبوا إلى داخل العالم الجديد بعد اكتشاف الأمريكتين ، وكانوا أعلى مستوى من الناحية الحضارية من الأهالى المحلين .

أكسوم مركزاً للاحتفالات والطقوس الدينية ، وانشت بها العديد من المسالات الشبيهة بالمسالات المصرية . وفي مرحلة تالية من مراحل التطور ظهرت بهذه المنطقة دولة الحبشة ، وأصبح الأقليم الساحلي المسمى اريتريا مجرد أقليم متاخم قليل الأهمية .

المناطق التي احتلتها بشمال افريقيا لتعويض هذا العجز فوراً .

أما أهم الاحداث لمعاصرة لتاريخ هذه الخريطة في منطقة القرن الافريقي ، فهي ظهور دولة أكسوم Axum التي تعتبر سلفاً لدولة الحبشة . وقد نشأت هذه الدولة على الحد الشمالي لمنطقة المضبة ومرتفعاتها . وقد اعتبرت



لوحة من زواج فن بين يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر وتمثل عاربين  
قدماء . من معارضات متحف ليزيج للثقافات الشعبية بألمانيا الشرقية .

١ مليون نسمة

التوزيع السكاني  
سنة ٢٠٠٣م



## التوزيع السكاني سنة ٢٠٠ م

لعدد السكان في مصر . الأمر الذي أدى إلى تحقيق قدر من التوازن السكاني منذ ذلك الحين بين منطقتي شمال شرق إفريقيا وشمال غربها . وفي هاتين المنطقتين كان يعيش نصف سكان القارة كلها في ذلك الوقت .

ولكن هذه النسبة بين عدد سكان المناطق الأفريقية شمال الصحراء الكبرى ، وعددهم جنوب الصحراء ، أخذت تتآكل بعد أن ظلت سارية لفترة طويلة ، فقد لحقتها التغيرات فيها تلي ذلك من عصور . وأصبحت إفريقيا السوداء تعان الآن من مشاكل الانفجار السكاني .

وقد بدأ معدل النمو السكاني الأفريقي جنوب الصحراء يميل نحو الارتفاع بظهور المجتمعات الأفريقية التي دخلت إلى عصر الحديد ، وذلك في مناطق شمال السودان [النوبة] وبصفة خاصة في مناطق غرب إفريقيا حيث كانت تعيش قبائل البانتو التي أدى نموها وازدهارها وارتفاع تعدادها ، إلى دخول بقية مناطق القارة جنوبي الصحراء إلى حيز ارتفاع معدل النمو السكاني .

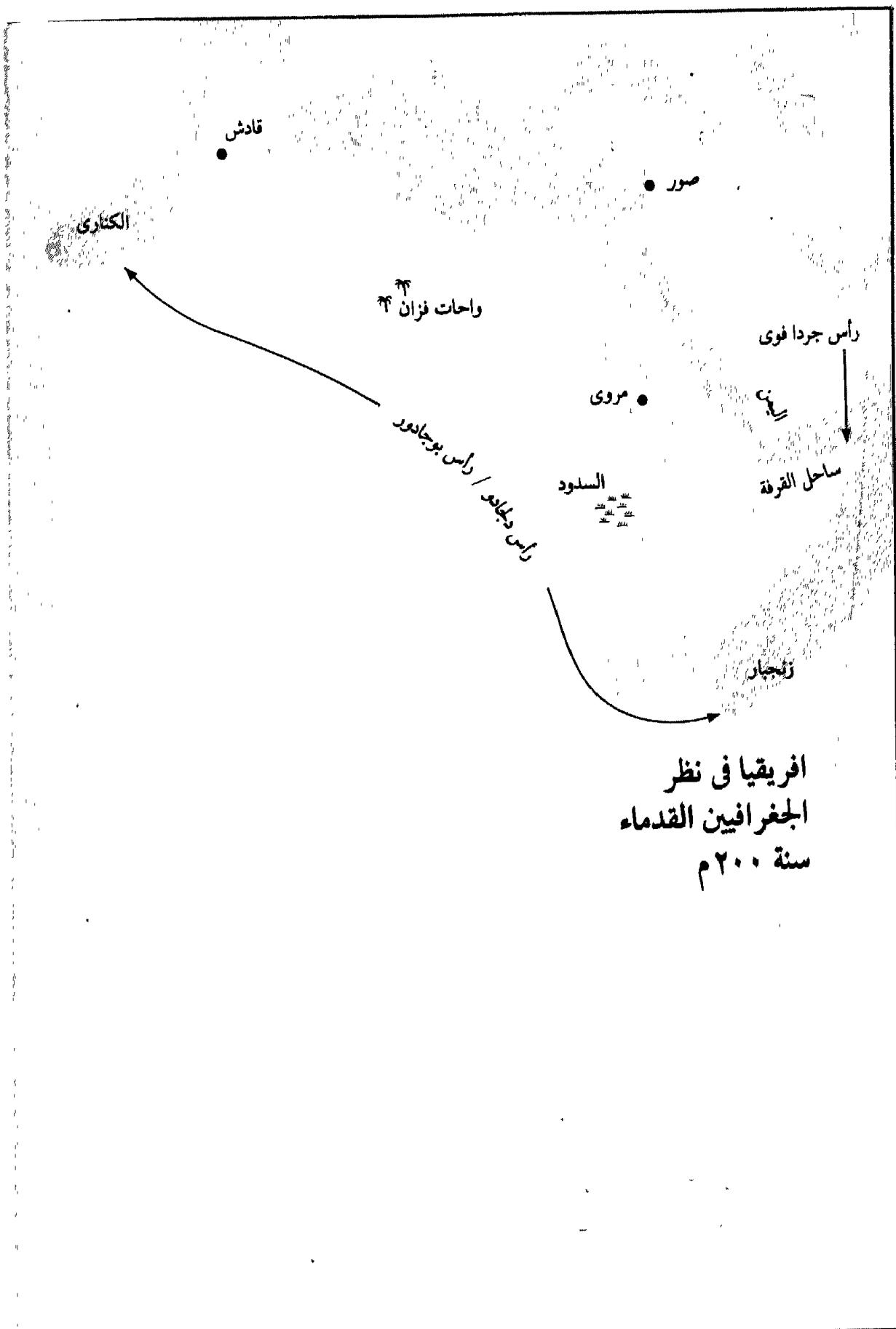
أما معدل تعداد الأقزام والبوشمن فقد ظل منخفضاً لا يتعدي ٢٠٠،٠٠٠ نسمة لكل منها . ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه القبائل ظلت تعيش حياة العصر الحجري الوسيط . Mesolithic

كان عدد سكان العالم كله في العصر الحجري القديم قليلاً للغاية ، إذ لم يكن يتعدى خمسة ملايين نسمة . وكان عدد سكان قارة إفريقيا لا يتجاوز مليون نسمة من هذه الملايين الخمسة .

وفي سنة ٥٠٠ ق . م حين دخلت القارة حركة الزراعة ، بدأ معدل النمو السكاني في الصعود . وذلك بالرغم من أن حركة الزراعة كانت قاصرة على مصر وحدها لفترة طويلة .

وهذا السبب فإن معدل النمو السكاني في قارة إفريقيا كان يبدو غير متوازن . فقد ارتفع عدد المصريين من نحو ١٠٠،٠٠٠ نسمة في سنة ٥٠٠ ق . م إلى نحو مليون نسمة في سنة ٢٠٠ ق . م . ومعنى ذلك أن عدد السكان قد تضاعف في مصر عشرين مرة خلال تلك الفترة ، بينما لم يتضاعف عدد السكان في بقية أنحاء القارة كلها سوى مرة واحدة خلال نفس الفترة . ومعنى ذلك أن مصر وحدها كان يعيش فيها أكثر من نصف عدد السكان الذين يعيشون في كل إفريقيا .

وخلال الألف سنة الأولى قبل الميلاد ، ويسبب تعاقب دخول الفينيقيين والرومان إلى مناطق الشمال الأفريقي ، دخلت هذه المناطق في عالم البحر المتوسط ، وارتفع وبالتالي معدل النمو السكاني في منطقة المغرب إلى حد كبير ، حتى أصبح عدد السكان في تلك المنطقة مساوياً



## افريقيا سنة ٢٠٠ م في نظر الجغرافيين القدماء

اجتازت سفن الفينيقيين أعمدة هرقل [ مضيق جبل طارق ] ، واسسوا مدينة جادش Cadiz باسبانيا . وهذا قد يعني أيضاً أنهم استطاعوا مسافة مئاتة على سواحل المغرب المطلة على المحيط الأطلسي .

وبالمثل فإن العرب قد أبحروا في ذلك الوقت إلى الشاطيء الجنوبي لخليج عدن الذي كان في ذلك الوقت امتداداً للصومال . ثم عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم ساحل القرفة .

ولكن إلى أي مدى استطاع بحارة العالم القديم أن يبحروا حول السواحل الأفريقية خلاف هذه المناطق ؟

بالنسبة للسواحل الأفريقية المطلة على المحيط الأطلسي ، لم يصل بحارة العالم القديم إلى أبعد من مستوى جزر الكناري Canaries أو «الجزر السعيدة» . فقد اكتشفت تلك الجزر لأول مرة سفن الصياديون القادمة من جادش باسبانيا . وذلك في القرن الأول الميلادي . ثم تم اكتشافها نهائياً بمعرفة بعثة أرسلها الملك چوبا ملك موريتانيا Juba .

ولم تكن تلك الجزر مأهولة في ذلك الوقت ، ولم يستعمرها أحد من الشعوب القرية . ولكن بعد فترة قصيرة تالية ، تسلل إليها شعب من البربر يعرف باسم Guanches يتبع إلى العصر الحجري قادماً من القارة الأم .

كل المعلومات التي كانت معروفة عن افريقيا في العالم القديم ، كانت نتيجة للاكتشافات التي قام بها شعبان آسيويان هما الفينيقيون والعرب . ففي حوالي سنة ٢٢٥٠ ق . م كانت سفن الفينيقيين تبحر باستمرار إلى السواحل المصرية وهي عمالة بالأخشاب المستجلبة من غابات لبنان . وكان العرب يحضرون إلى مصر وهم محملين بالبخور واللبان والمر من بلاد اليمن السعيدة [اليمن الحالية] .

وليس هناك سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين - في ذلك الوقت - كانوا يعرفون أية معلومات عن افريقيا تتجاوز منطقة دلتا النيل . أما العرب فقد توفر لديهم بالطبع قدر من المعلومات عن شواطئ البحر الأحمر . ومن المحتمل أن يكونوا قد رسموا في أذهانهم - على الأقل - ملامح خريطة تبين امتداد بعض السواحل الأفريقية .

أما الفينيقيون من أهالي صور ، فقد قاموا باستكشاف سواحل الشمال الأفريقي المطلة على البحر المتوسط . وقد بدأوا هذه المهمة وانتهوا منها - طبقاً لحساباتهم - في غضون القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ولا أحد يشك الآن في هذه الحقيقة التي يؤيدتها احتكار تجار صور للتجارة مع إسبانيا في القرون التالية ، وإن كان من المعتقد أن تاريخ هذا الانجاز يرجع إلى زمن أقرب ، ربما كان في القرن الثامن قبل الميلاد أكثر منه في القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ففي القرن الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير ،

وذلك فيها عدابعثة الاستكشافية التي أرسلها الإمبراطور نيرون وعين على رأسها اثنين من قادة المائة Centurions بالجيش الروماني بقصد استكشاف مناطق النوبة لمعرفة مدى المغامن التي يمكن أن تعود على روما إذا فكرت في غزوها .

وقررت البعثة أنها مناطق فقيرة ولافائدة فيها . وقالت إن النيل [الأبيض] يتبع من مستعمرات شاسعة لا يمكن اختراقها . وهذا صحيح وربما يكون استنادا إلى ما شاهدته البعثة - أو ربما سمعته - عن منطقة السود Sudd التي ظلت عصية على الاستكشاف حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

وفي منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، رسم «بطلميوس الجغرافي» خريطة للعالم القديم الذي كان معروفا في أيامه ، واستطاع فيها أن يتبع عرqi النيل جنوب منطقة السود . وتبين الخريطة أن النهر ينبع من سلسلة جبال تقع في شرق إفريقيا ، وأن فروع النهر التي تخرج من هذه السلسلة تتجمع كلها في بحيرتين كبيرتين قبل أن يخرج المجرى الرئيسي للنهر متوجهًا نحو الشمال .

ومن المحتمل أن المعلومات التي استند إليها بطلميوس الجغرافي في تقرير ذلك قد انتقلت إليه سماعاً عن طريق العرب الذين كانوا يعيشون في جزيرة زنجبار ، وقد ترجمها هذا العالم رسمياً على خريطة .

ومع ذلك يبقى سؤال هام دون إجابة قاطعة : هل استطاع ملاحو العالم القديم الدوران حول إفريقيا؟ .. بعض العلماء يقولون باستحالة ذلك ، وبعضهم يقولون بامكانية حدوثه ، وأخرون يقولون بأن ذلك قد حدث

وقد ظلت تلك الجزر على مدى قرون طويلاً فيها بعد ، تعتبر أقصى الغرب بالنسبة للعالم المعروف . وبالتالي أقصى منطقة وصلت إليها الرحلات البحرية التي قام بها ملاحو العالم القديم .

أما بالنسبة للسواحل الإفريقية المطلة على خليج عدن والمحيط الهندي فقد حقق الملاحون العرب نجاحاً أكبر . حيث استطاعوا الدوران حول رأس العطور [رأس جاردافو Gardafui] وتجاوزوها جنوباً في ابحار استمر ثلاثة وعشرين يوماً حتى وصلوا إلى نقطة اسموها «ربطة» Rhapta . وهناك انشأ العرب مركزاً تجارياً لجمع واستجلاب العاج ، الذي من أجله كانت هذه الرحلة الطويلة تستحق متابعتها .

وربما تكون هذه النقطة في موقع قريب من جزيرة زنجبار Zanzibar ، وربما تكون في الجزيرة نفسها ، التي استمرت منذ ذلك الحين مركزاً للتجميع وتصدير العاج .

وهناك أنباء عن وصول إحدى السفن العربية إلى رأس براسوم [رأس ديجادو] على الساحل الإفريقي . وهذه أبعد نقطة ربما يكون العرب قد وصلوا إليها . وعلى أية حال فإذا افترضنا أن القدماء قد عرفوا من إفريقيا ما يدخل في خط يمتد بين رأس بوجادور Bojador على المحيط الأطلنطي ورأس ديجادو Delgado على المحيط الهندي ، كما هو مبين بالخريطة ، فقد يكون في هذا التصور بعض المبالغة في معرفة القدماء للقاربة الإفريقية .

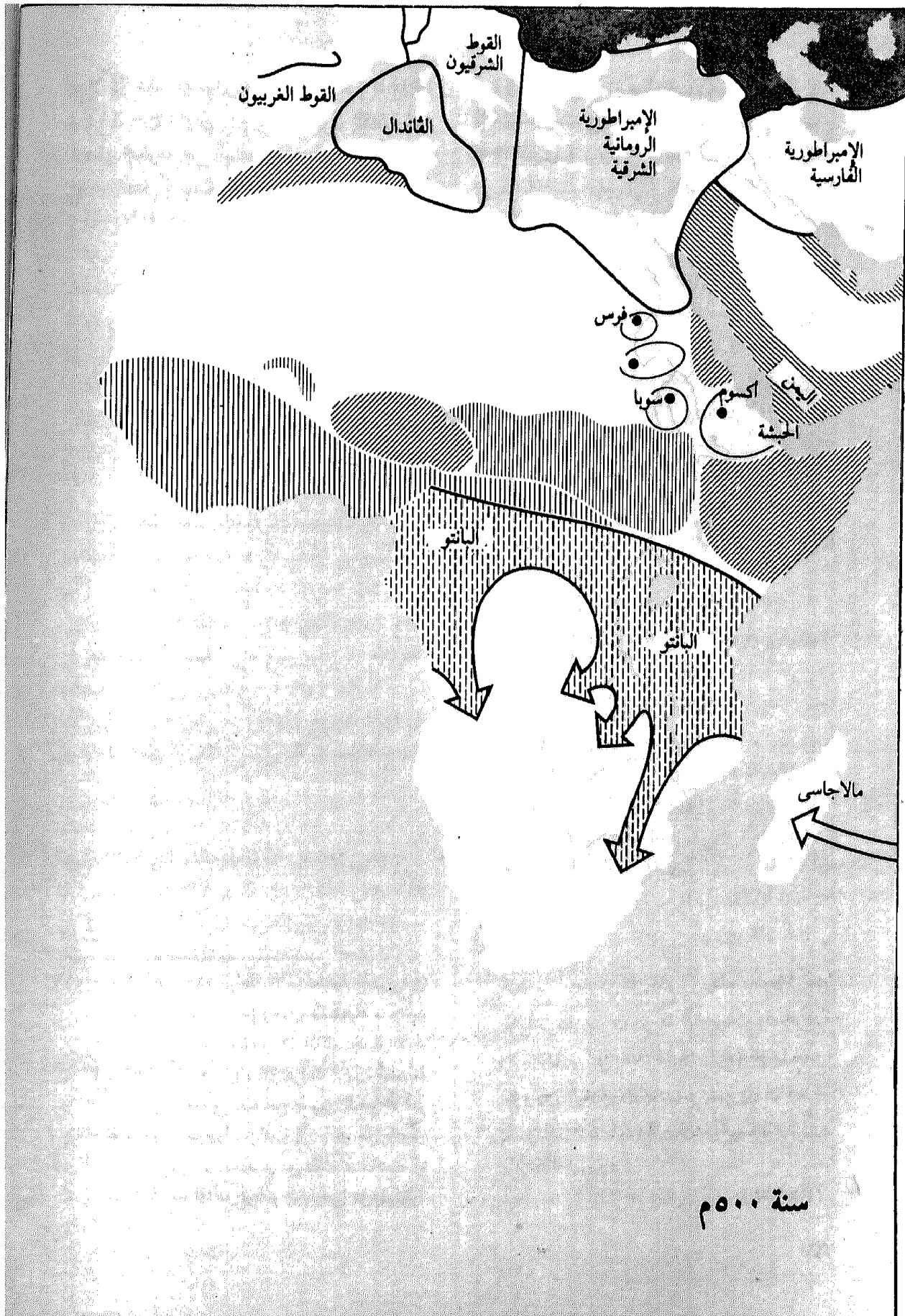
أما بالنسبة للداخل القارة ، فلم يعرف شيء أبعد من جنوب واحات فزان Fezzan ، ولا أبعد من مدينة مروى تصعيراً في نهر النيل .

جنوباً حتى ظهرت مرة أخرى بعد إبحار ملدة  
ثلاث سنوات في منطقة اعمدة هرقل [ مضيق  
جبل طارق ] . ولكن هذه الحكاية ليست أكثر  
من قصة خيالية غير قابلة للتصديق .<sup>(١)</sup>

لأنه في عهد فرعون مصر الملك نخاو Necho  
610 - 594 ق . م ] . وتقول القصة أنه  
رسل مجموعة من السفن التي يقودها ملاحون  
نيقيون ، أبحرت من البحر الأحمر ، واتجهت

تحيط بها البحار من كل جانب . وهذه المعلومة في حد  
ذاتها تؤكد حدوث الرحلة البحرية حول إفريقيا  
ولا تنفيها .. بل وهناك أبحاث تاريخية قام بها بعض  
المؤرخين المحدثين الأجانب ، تشير إلى أن قدماء  
المصريين قد قاموا برحلات بحرية إلى بيرلاندا  
وأمريكا الجنوبية .  
[ المترجم ] .

١) وردت أخبار هذه الرحلة الاستكشافية المصرية في  
كتابات العديد من المؤرخين القدماء – ومنهم  
هيرودوت – حيث ذكروا أن الملك نخاو الأول  
[ ٥٩٤ - ٦٠٩ ق م ] ، ثان فراعنة الأسرة السادسة  
والعشرين قد أرسل بعثة عن طريق البحر الأحمر  
طافت حول إفريقيا وعادت إلى مصر عن طريق  
مضيق جبل طارق . ويفهم من ذلك أن القدماء قد  
توصلوا إلى معرفة أن إفريقيا عبارة عن جزيرة كبيرة



أما بالنسبة لمناطق شمال إفريقيا التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية ، فقد انفصلت عن الإمبراطورية في مطلع القرن الثالث الميلادي ، أي قبل انقضاض القبائل الجرمانية على الإمبراطورية . وربما كان ذلك نتيجة لتغير الأحوال في تلك المناطق ، حيث تغيرت الحرفة الأساسية للسكان في أوائل القرن الثالث الميلادي من حرفة الزراعة إلى حرفة الرعي .

وبينما كانت شمس الإمبراطورية الرومانية تؤذن بالغيب ، خرجت الحبشه إلى حيز الضوء . فقد قام ملوك أكسوم بتوسيع حدود دولتهم ومدتها إلى مناطق جديدة اخضعواها لسيطرتهم ، كما مارسوا نوعاً من السيادة والسيطرة على عرب اليمن . وعندما استقر لهم النوييون ، انقض ملوك أكسوم على مملكة مروي وضربوها ضربة شديدة انقضت على أثرها تلك المملكة إلى ثلاثة ولايات صغيرة كما هو موضح بالخريطة .

كذلك فقد اعتنق ملوك أكسوم الديانة المسيحية ، وكانوا بذلك أول أسرة مالكة مسيحية تستقل وتخرج عن ولاية الرئاسة المسيحية برومـا .

أما أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ هذه الخريطة في مناطق جنوب القارة ، فتمثل في استمرار قبائل الباكتون في الزحف إلى المناطق الجنوبيـة . كما تتمثل في استعمار جزيرة مدغشقر Madagascar . فقد وفدت إلى تلك الجزيرة بعض السفن التي كانت تحمل جماعات من الشعوب الاندونيسية المتكلمة بلغة الملاجاسي واستقرت بالجزيرة .

في القرن الثالث الميلادي تعرضت الإمبراطورية الرومانية إلى محنة رهيبة ، فقد انقضت عليها مجموعات من قبائل البرابرة Barbarian التي اجتازت الحدودقادمة من قارق أوروبا وأسيا .

ولم تمض سوى سنوات قليلة على هذا الانقضاض حتى بدت الإمبراطورية الرومانية على وشك الانهيار . ولكنها اجتازت المحنة في النهاية بعد أن حدثت فيها عدة تغيرات جوهرية ، فقد تقلصت الحدود قليلاً ، واعتنقت الإمبراطورية المسيحية كدين رسمي للدولة . ثم انقسمت الإمبراطورية إلى إمبراطوريتين : الإمبراطورية الرومانية الغربية والإمبراطورية الرومانية الشرقية . وهكذا أصبحت أوروبا أصغر وأفقر مما كانت عليه .

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي ، حدث الانقضاض الثاني من قبائل البرابرة . وفي هذه المرة خرجت الإمبراطورية الرومانية الشرقية سليمة من تلك المحنة الجديدة . أما الإمبراطورية الرومانية الغربية فقد انهارت تماماً ، ووُقعت العاصمة رومـا تحت سيطرة القوط Goths سنة ٤١٠ م . ثم أصبحت تحت سيطرة الق Vandals سنة ٤٥٥ م . أما معظم الأقاليم الغربية التي كانت تابعة لتلك الإمبراطورية ، فقد انقسمت إلى مالك جلس على عروشها ملوك من القوط والقـandalis وغيرـها من القبائل الجرمانية الأخرى .

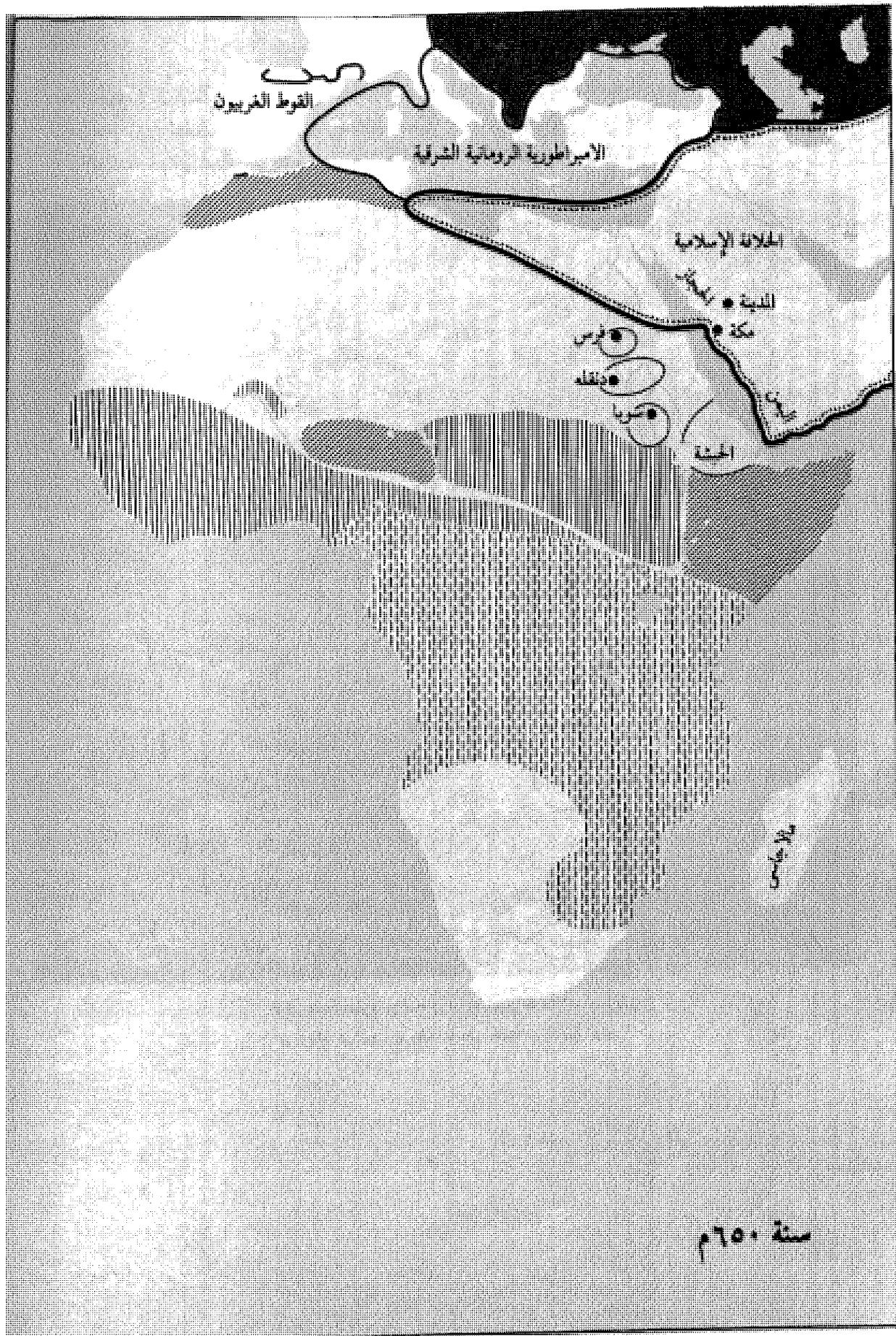
كذلك فقد أصبحت بعض الأقاليم الغربية الأخرى تحت حكمرؤساء المحليـن ، مثل بريطانيا وموريـتانيا .

الجماعية العشوائية التي كانت تستهدف الاستيطان في أي مكان يصادفها دون خطط مسبقة . وبهذه الطريقة العشوائية انتشرت الشعوب التي كانت تسكن جزر البولينيز Polynesia [ وهي مجموعة من جزر المحيط الهادى تتضمن نيوزيلاندا ، وهواى ، وساموا ] في كل مناطق وجزر المحيط الهادى .

ومن المؤكد أن هذه الجماعات الواقفة قد انقطعت صلاتها بموطنها الأصلى [ ر بما جزيرة سومطره ] فلم تصلها أية امدادات أو تعزيزات من هذا الوطن ، ولم تند إليها جماعات أخرى من نفس الوطن سواء بالاتفاق والتدبیر أو عن طريق المصادقة . وقد انتشر هذا النوع من الرحلات البحرية



قرص مقعد مصنوع من النحاس مزخرف برموز لها دلالات سحرية .  
من رواحة فن بنين المعروضة بمتحف الثقافات الشعبية برلين .



أثارت دهشة العرب حتى سموا العام الذي ظهر فيه هذا الفيل بـ«عام الفيل» وهو العام الذي ولد فيه النبي محمد ﷺ.

وقد تعرض النبي محمد مثل كل الأنبياء الآخرين إلى الأضطهاد والنكران من جانب قومه في مكة، فهاجر إلى المدينة في عام ٦٢٢ م. وبدأ هناك عهداً جديداً انتشر فيه دين الإسلام في معظم أنحاء شبه الجزيرة. وعندما مات عليه الصلاة والسلام بعد المиграة بنحو عشر سنوات، كانت كل الجزيرة العربية تدين بالإسلام، وموحدة تحت قيادة واحدة.

وتولى الخلفاء الراشدون بعده موافقة الدعوة إلى الدين الجديد وأقرار النظام الإسلامي الذي وضع الرسول أسسه، وتنمية الجيوش التي بدأ الرسول تكوينها لحماية الدين الجديد ونشره. هذه الجيوش التي أدهشت انتصاراتها العالم القديم، وذلك عندما سحقت الإمبراطورية الفارسية، وقوضت أركان الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

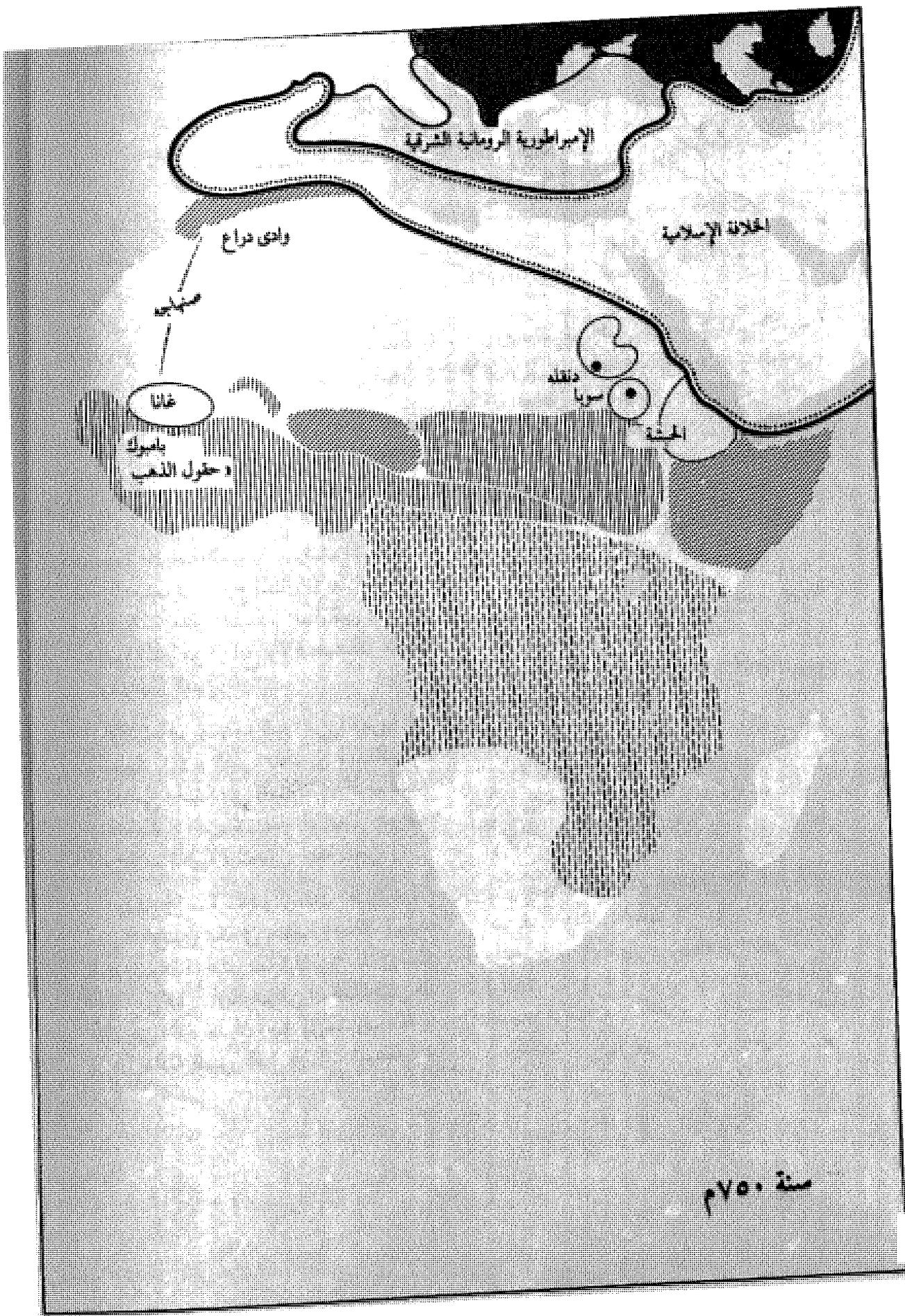
وقد دخلت هذه الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا. وفتحت مصر [٦٤٠ - ٦٤٢ م]. وفتحت سيرينياكا وتريپوليانيا «برقه وطرابلس» [٦٤٢ - ٦٤٧ م]. وفي أواخر عام ٦٥٠ م، أصبح الإسلام بالفعل، واحداً من أهم الديانات السماوية التي دانت بها البشرية.

كان القرن السادس قرناً طيباً بالنسبة للإمبراطورية الرومانية الشرقية، فقد استطاع الإمبراطور چوستينيان أن يهز القائد والقوط الشرقيين، وأعاد تونس وإيطاليا مرة أخرى لسيطرة الإمبراطورية الرومانية. كما استعاد نفوذ الإمبراطورية على معظم المناطق المطلة على البحر المتوسط.

أما البعثات التبشيرية التي أوفدتها الرومان إلى المناطق الأخرى، فلم تصادف الكثير من النجاح فيها عدا اعتناق بعض الإمارات النوبية الصغيرة لليهودية المسيحية. وكان المسيحيون الذين يعيشون خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية، يعدون أنفسهم محظوظين، إذا لم يتعرضوا للكثير من المذابح والأضطهادات بسبب تمسكهم بهذا الدين.

وقد تعرض مسيحيو شبه الجزيرة العربية إلى الأضطهاد، الأمر الذي دعاهم إلى طلب النجدة من نجاشي الحبشة التي كانت مملكته أقرب مملكة مسيحية لشبه الجزيرة. فقام الأحباش بتوجيه عدة حملات تأديبية لم تتجاوز منطقة اليمن.

ولكن في سنة ٥٧٠ م أرسلت الحبشة جيشاً لمحاربة الوثنيين بمكة في منطقة الحجاز، وقد اصطحب هذا الجيش معه فيلاً لم ير مثله في تلك المنطقة من قبل. وبالرغم من أن هذا الجيش قد هلك عن آخره بعد أن وصل إلى مشارف مكة، إلا أن حادثة ظهور الفيل في تلك المنطقة قد



پیغمبر

طريقها بعدها تجاه الجنوب حتى تصل إلى صنفاف نهر السنغال . وهناك كانت تقاييس الملح بالذهب مع الأهالي المحليين على أساس أن كل وزنة من الملح تقابلها وزنة مماثلة من الذهب . وهي صفات كانت متكافئة للطرفين ، مقابل العداء الشديد الذي كان يواجه تجار الملح الصخري أثناء نقله عبر الطرق الوعرة بالصحراء ، وال الحاجة الشديدة للأهالي لهذا الملح الذي كان يعتبر سلعة حيوية تساعدهم على البقاء .

وقد تمكنت صنفاجه من اختراق الصحراء والوصول إلى نهر السنغال بفضل المهارة التي اكتسبتها في قيادة قوافل الجمال . ولم تكن الجمال في الأصل أفريقية الوطن ، وإنما كان موطنها الأصلي في قارة آسيا ، وأدخلوها الفرس إلى أفريقيا عند قيامهم بغزو مصر في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم وصلت إلى مناطق المغرب لأول مرة في عهد يوليوس قيصر في القرن الأول قبل الميلاد . ومع ذلك لم تصبح شائعة الاستعمال والاستخدام إلا في العصر الروماني المتأخر في القرن الرابع الميلادي .

ويبدو أنه كانت هناك صعوبات اكتفت عملية تأقلم الجمال في البيئة الصحراوية الأفريقية ، لأن عملية تربية الجمال وتكون قطاعها على نطاق واسع قد سارت ببطء غير معتمد . واستغرقت فترة طويلة من الزمن . ومن الواضح أن قبائل صنفاجه كانت أول من نجح في استغلال الجمال واستخدامها كسفن تجتاز فيافي الصحراء الأفريقية .

وعن طريق هؤلاء التجار البربر الذين كانوا

بدأت محاولات العرب فتح بلاد المغرب فيما بين عامي ٦٨٣/٦٧٠ م . ولكن لم تسفر هذه المحاولات عن فتح نهائى لتلك البلاد إلا بعد المحاولة الثانية التي تمت في عام ٦٩٤ م ، حيث نجح العرب في طرد البيزنطيين [ الرومان الشرقيين ] من جميع المدن الساحلية بشمال إفريقيا ، كما خضعت لهم قبائل البربر التي كانت تسكن المناطق الداخلية واحدة بعد أخرى . وما أن حل عام ٧٠٥ م حتى أصبحت جميع المناطق الغربية بشمال إفريقيا جزءاً من العالم الإسلامي .

ومن المغرب الأقصى بدأ الفاتحون العرب في الاتجاه شمالاً إلى إسبانيا ، وجنوباً إلى بلاد بربير صنفاجه . وقد استسلمت مملكة إسبانيا على الفور في عام ٧١١ م . أما قبائل صنفاجه فقد خضعت للعرب تدريجياً وبعد معارك وحملات ضارية .

ولم يكن فتح المناطق الجنوبيّة التي كانت تعيش فيها قبائل صنفاجه يقل في الأهمية بالنسبة للإسلام ، عن فتح المناطق الشمالية في إسبانيا . وكانت صنفاجه قد عرفت خباباً المسالك بالصحراء الغربية ، واكتشفت الطريق الموصى إلى «بلاد السودان» وهو الاسم الذي كان يطلق أيامئذ على المناطق التي يعيش فيها السود .

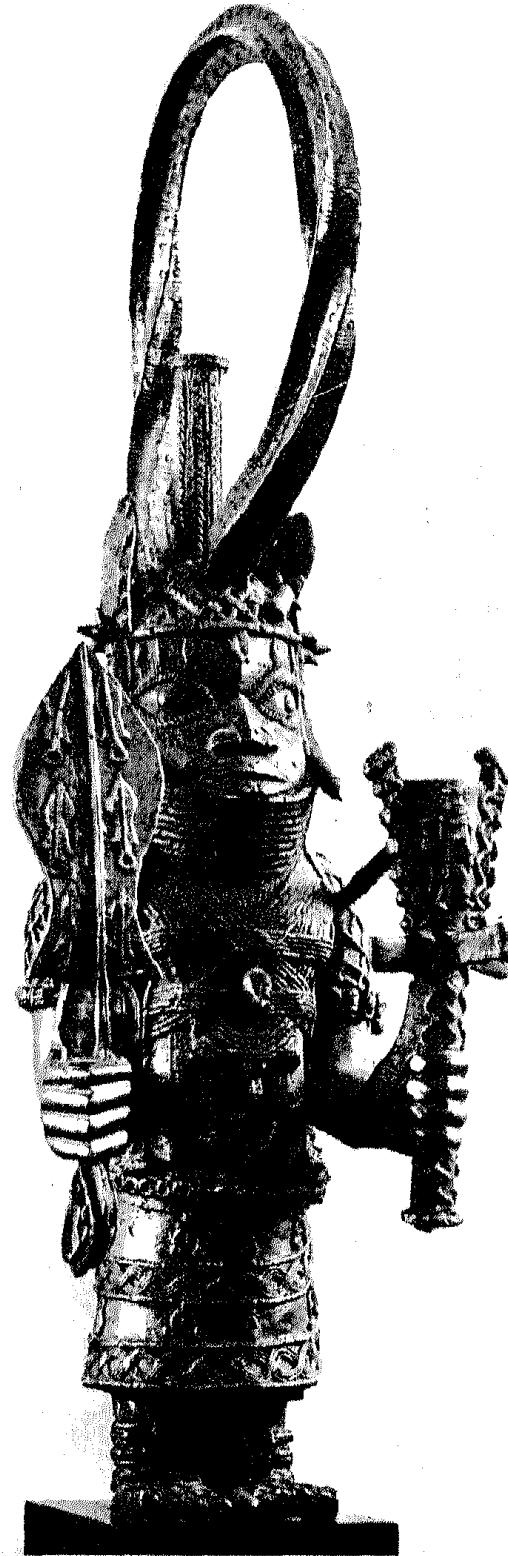
وكانت صنفاجه تبدأ رحلة اختراق الصحراء انطلاقاً من وادي دراع حتى تصل إلى مناجم الملح الصخري التي اكتشفتها خلال تجولاتها ببر نوع الصحراء . ومن تلك المناجم كانت تشحن ظهور جمالها بكتل الملح الصخري ، وتواصل

الاحباش ضد العرب ، حيث قاموا بأعمال سلب ونهب وقرصنة بلغت قمتها بالهجوم على جدة – التي تعتبر ميناء مكة – ونهبها في سنة ٧٠٢ . وقد أدى هذا الهجوم إلى انتقام العرب باحتلال سواحل إريتريا وطردوا الاحباش إلى موطنهم الأصلي في المرتفعات الداخلية .

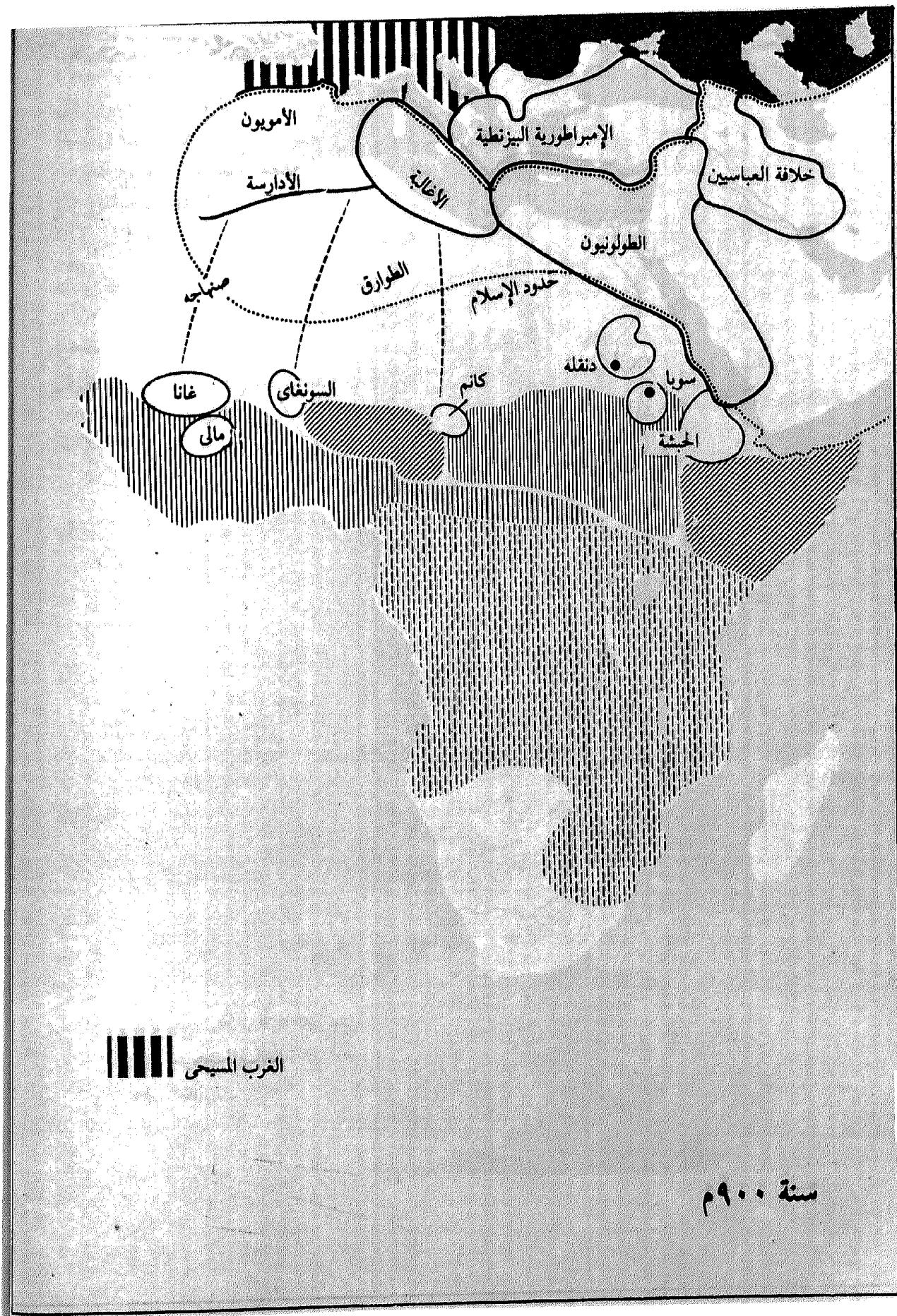
وبهذا انقطعت صلة الدولتين المسيحيتين في تلك المنطقة ، وما دلتا الاحباش والتويبيين ، عن مسيحيي أوروبا وأسيا الصغرى . وعندما قامت إمارة دنقلا بابتلاع إمارة فرس المسيحية في أوائل القرن الثامن الميلادي ، انخفض عدد المالك المسيحية في إفريقيا من أربع إلى ثلاثة فقط .

يزورون منطقة الساحل العشى جنوبي الصحراء ، عرفت لأول مرة أخبار الدولة الزنجية التي أمستها قبائل السونينكي Soninke وهي « مملكة غانا » . وكانت هذه المملكة تقع شمال منطقة حقول الذهب في بامبوك Bambuk التي تقع جنوب نهر السنغال الأعلى . وقد احتكرت مملكة غانا عمليات بيع الذهب للبربر والعرب الذين أطلقوا على مملكة غانا اسم « أرض الذهب » .

أما بالنسبة إلى أهم الأحداث التي وقعت في مناطق شرق إفريقيا المطلة على سواحل البحر الأحمر في تلك الفترة ، فتتمثل في تلك الاستفزازات التي تسمى بالغباء ، والتي قام بها



تمثال يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر  
يتمثل أحد ملوك بين القداماء أثناء أدائه  
بعض الطقوس . .



الأساطير أو الحكايات الشعبية الموراثة ، هو إضفاء المظهر الإسلامي على تلك المالك ، واضفاء المزيد من الاحترام والتجليل لهذه الأسر المالكة . فمما لا شك فيه أن الشعوب والقبائل التي كانت تتألف منها هذه المالك ، وكذلك الملوك الذين جلسوا على عروشها بعد الملوك المؤسسين ، كانوا جميعاً من الجنس الأسود ، أو بالأخرى من الزنوج .

وفي كل من مملكتي غانا ومالى كان الشعب يتتألف من مجموعة قبائل الماندي Mande الزنجية ، التي انقسمت إلى مجموعتين : الأولى قبائل السونينكي Soninke [التي تألف منها شعب غانا] . والثانية قبائل الماليينكي Malinke [أو قبائل الماندينجو Mandingo] التي تألف منها شعب مالي .

أما مملكة كانم فقد كانت تتألف من قبائل الكانوري Kanuri ، وهي من الشعوب البيلية الصحراوية ، مثلها في ذلك مثل قبائل السونغاي .

وفي تاريخ هذه الخريطة كانت الدولة الإسلامية لا تدار من شبه الجزيرة العربية [عصر الخلافة العباسية في بغداد] . وبالرغم من أن معظم العالم الإسلامي كان يعترف بالسيادة الروحية لخلفاء بغداد ، إلا أن حكام الولايات التي كانت من قبل جزءاً من الامبراطورية الإسلامية الموحدة ، أصبحوا يستقلون بمالكمهم ويورثون الحكم لأبنائهم .

وفي منطقة شمال أفريقيا ، كانت هناك أسرتان حاكمتان من هذا النوع هما : الأغالبة في

لم تختكر قبائل صنهاجه عملية اختراق الصحراء لفترة طويلة ، وبعد نحو خمسين سنة من أول اتصال بين المغرب ومناطق غرب السودان ، ظهر طريقان آخران ينتقدان الصحراء من الشمال إلى الجنوب بصفة منتظمة . الطريق الأول يبدأ من غرب الجزائر ويتهيئ إلى النiger الأوسط . والطريق الثاني يبدأ من طرابلس ويتهيئ إلى بحيرة تشاد .

وكل من هذين الطريقين كان ينترق الصحراء خلال مناطق وأقاليم خاصة لقبائل الطوارق التي تعتبر في الأصل فرعاً من فروع قبائل صنهاجه ، ثم استعمرت مناطق وسط الصحراء الكبرى .

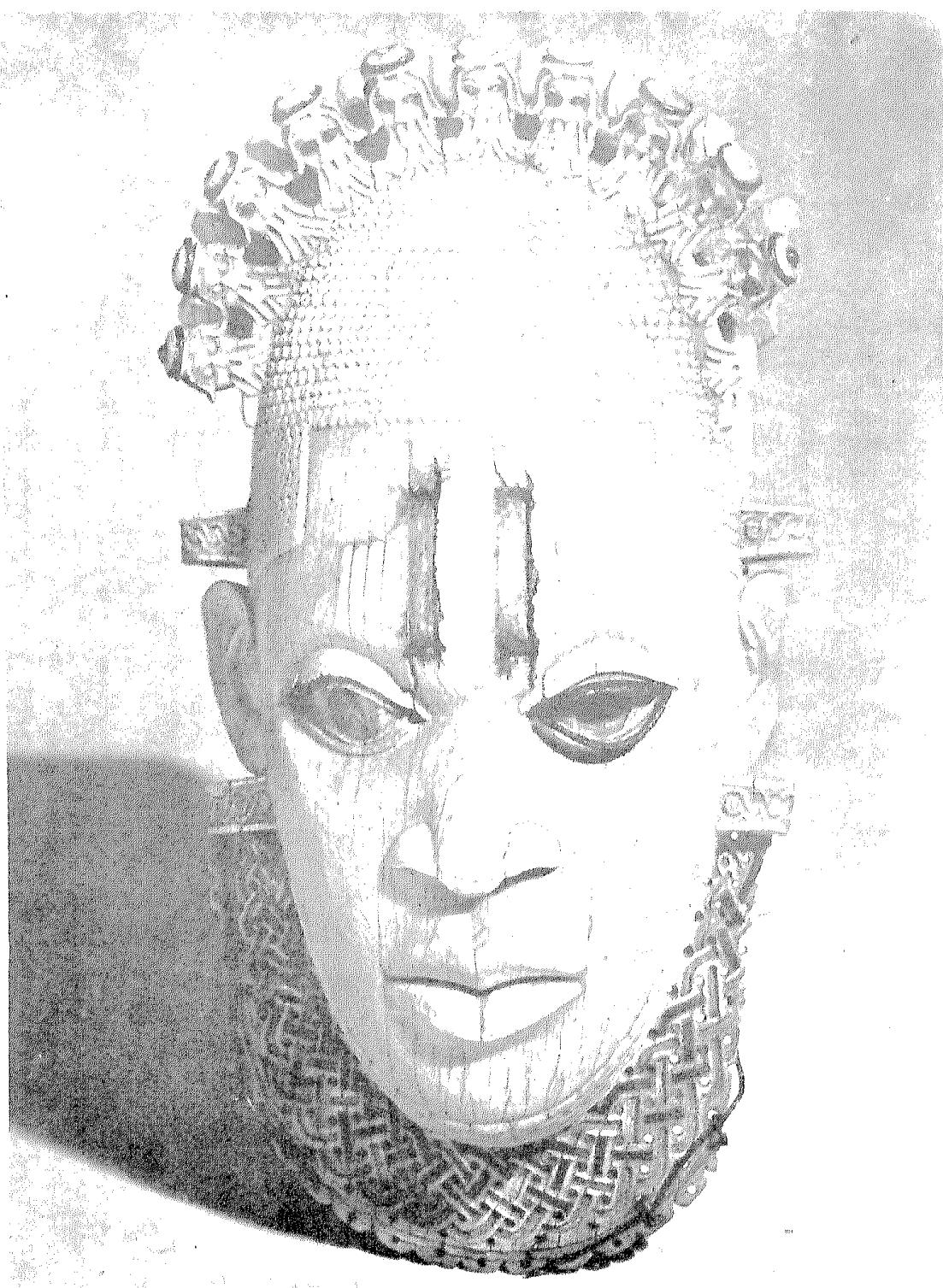
وعن طريق الاتصالات التي قت عبر هذين الطريقين ، عرف العالم لأول مرة أخبار الشعوب والممالك السودانية التي ظهرت في التخوم الجنوبي للصحراء الكبرى : مثل مملكة كانم Kanem التي كانت تقع على الجانب الشرقي من بحيرة تشاد ، ومملكة السونغاي Songhay التي كانت تقع بالنيجر الأوسط ، ومملكة مالي Mali التي كانت تقع بغرب القارة جنوب مملكة غانا [القديمة] .

ومعظم المدونات التاريخية ، أو الأساطير والحكايات الشعبية الموراثة التي نقلت أخبار تلك المالك ، كانت تؤكد أن الأسر المالكة التي قامت بتأسيس تلك المالك ، كانت من الجنس الأبيض ، الأمر الذي يعني أنها كانت تنتمي إلى البربر أو إلى العرب . وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن الأرجح أن هذا الرأي ليس صحيحاً على إطلاقه . وربما كانقصد من وراء ظهور تلك

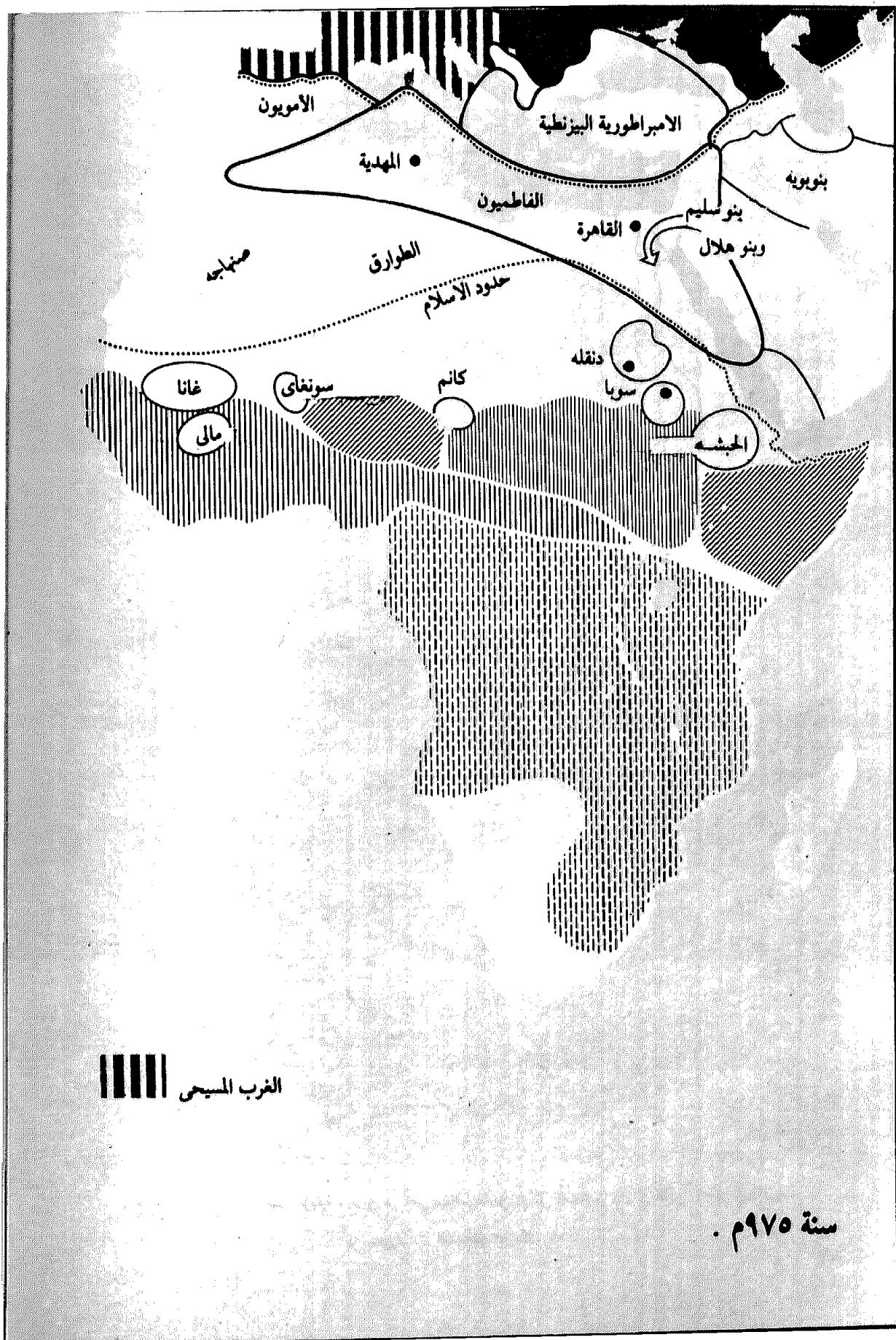
تونس ، والطولانيون في مصر .

وفي مناطق المغرب الإسلامي كانت هناك  
أسرتان حاكمتان أخريان هما : الأدارسة في

مراكش والأمويون في إسبانيا . وهؤلاء وأولئك  
كانوا لا يعترفون بأية سلطة سياسية أو روحية  
لخلفاء بغداد بأي شكل كان .



قناع من العاج يمثل رأس ملكة افريقية ، مزین من أعلى بجموعة من رؤوس البرتغاليين الأوائل الذين وصلوا إلى افريقيا .  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



سنة م ٩٧٥ .

ومن القاهرة سيطر الفاطميين على فلسطين والشام والاجزاء القريبة من شبه الجزيرة العربية .

وترك الفاطميين طرابلس وتونس والجزائر تحت حكم اسرة حاكمة شبه مستقلة تعرف باسم «الزيريين» الذين كانوا فرعاً من قبائل صنهاجه ، ساندوا الفاطميين في أوقاتهم الحرجة . وقد قام الزيريون بالاستيلاء على مراكش . وبهذا اكملوا السيطرة الفاطمية على كل مناطق شمال افريقيا .

ومن الاعيب السياسة ، ما ادعاه الفاطميين فور استقرارهم في القاهرة ، من انهم قاموا باستدعاء قبيلتين كاملتين من شبه الجزيرة العربية هما : قبيلة بني سليم وقبيلة بني هلال ، وتمكينهما من الاستيطان بصعيد مصر انتقاماً من بعض القبائل العربية الأخرى التي كانت تعيش بالصعيد وتعارض حكم الفاطميين .

وفي حقيقة الأمر يبدو هذا الادعاء خالياً من الصحة ، إذ تدل الشواهد على حدوث ارتفاع في المعدل السكاني لقبائل البدو التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية ، الأمر الذي دفع بعض القبائل إلى الشروع في الهجرة غرباً نحو مصر والمغرب . وقد تدفقت هجرات هاتين القبيلتين واستوطنتها صعيد مصر ، بطريقة تؤكد عدم تدخل الفاطميين في ذلك ، بل وتوارد أن الفاطميين كانوا لا يستطيعون إيقاف تدفق هذه المجرات إذا كانوا يرغبون في ذلك .

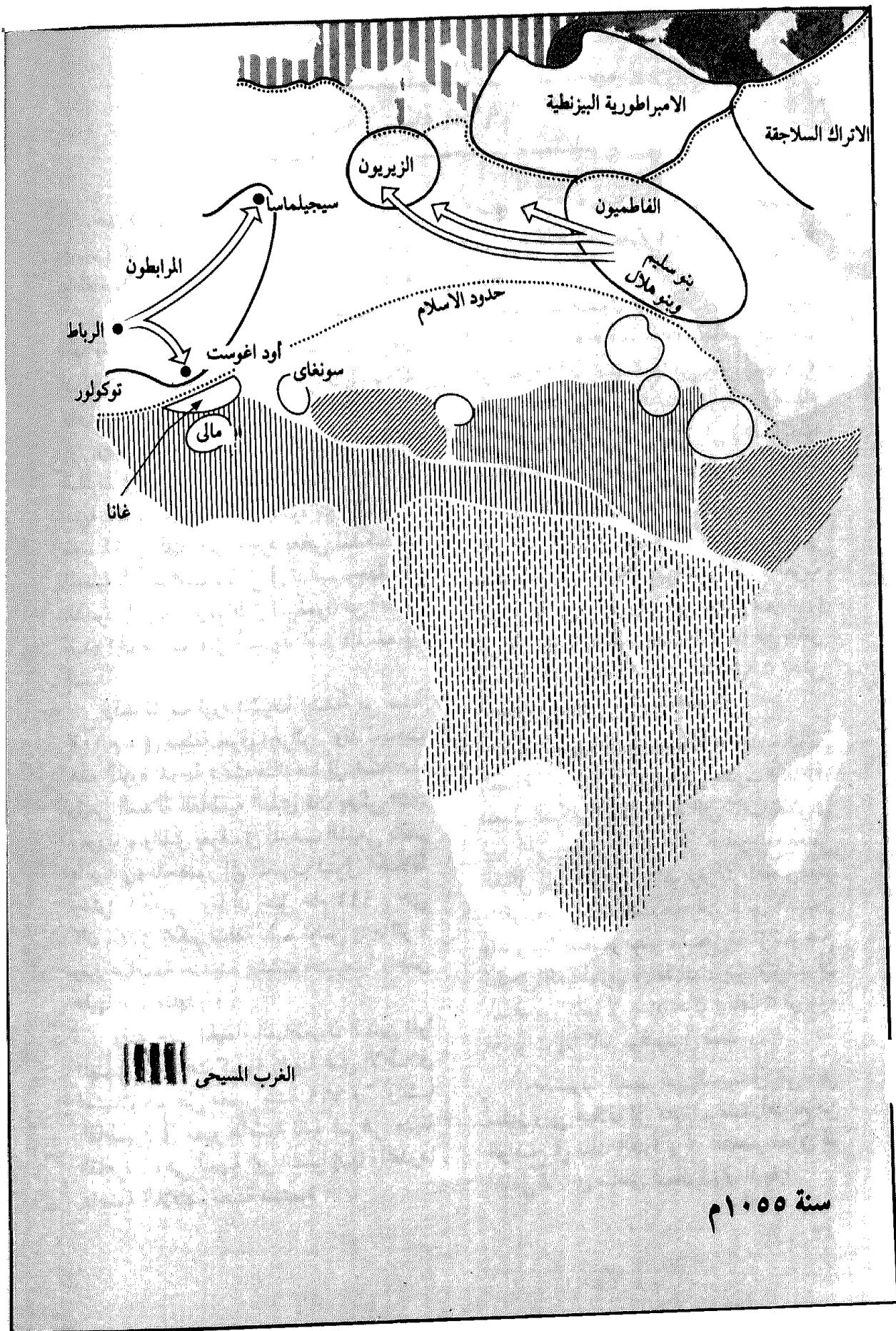
ويصرف النظر عن السبب في بغيء بني سليم وبني هلال إلى مصر ، فقد أصبح من الواضح في تلك الفترة ، أن العنصر العربي قد تغلغل تماماً في مناطق شمال شرق افريقيا .

حتى في أزهى أيام الخلافة العباسية في بغداد ، كان هناك بعض المسلمين لا يعترون بخلافه ببغداد ، بل ولا يعتبرون هؤلاء الخلفاء أكثر من منتخبين للسلطة من أصحاب الخلافة الأصلين . وكان هؤلاء المسلمين يرون أن الخلافة الشرعية لا بد أن تؤول إلى سلاة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ .

ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادي ، انتشرت في معظم أنحاء العالم الإسلامي جمعيات سرية للدعوة لهذا المذهب ونشره بين الناس ، معتمدة في ذلك على وجود بعض المشكلات المحلية التي ساهمت بالفعل في تدعيم وجهة نظر الدعوة الجديدة . وقد أطلق المسلمون من اعضاء هذه الجمعيات على أنفسهم اسم «المسلمين الشيعة» .

وقد نشبت ثورة الشيعة ابتدأه من سنة ٩٠٢ م ، في منطقة شرق الجزائر . وقد نجحت هذه الثورة للدرجة دعت قائدتها إلى استدعاء رئيس السلالة الفاطمية الذي كان يعيش آنذاك بسوريا ، والذي يعرف في المذهب الشيعي باسم «المهدي» للحضور إلى المغرب ليتولى الخلافة وشؤون الحكم . وما أن حل عام ٩١٢ م حتى كان المهدي يحكم منطقة تضم تونس والجزائر ، ومن عاصمة جديدة انشئت خصيصاً وأطلق عليها اسم «المهدية» .

وقد حق الخلفاء الفاطميون الذين تلوا المهدي منجزات كبيرة أهمها على الاطلاق استيلاؤهم على مصر سنة ٩٦٩ م . وأنشأ الفاطميون في مصر عاصمة ثانية لمم هي مدينة القاهرة . وهي المدينة التي انتقلوا إليها وأخذوها عاصمة لخلافتهم بصفة مستمرة .



الاسم الذى عرفت به عند المؤرخين الغربين .  
ويدعى هذا المذهب إلى فرض التعاليم الدينية  
الأصلية ولو بالقوة العسكرية . وكانت طائفة  
المرابطين «ترابط» في مكان سرى عرف باسم  
«الرباط» . ومن المحتمل أن يكون هذا المكان في  
إحدى جزر تيدرا Tidra المواجهة للساحل  
المورitan .

وقد نجحت دعوة المرابطين إلى هذا المذهب  
الجديد في منطقة غرب إفريقيا . وفي مطلع عقد  
الخمسينات بعد الألف الميلادية الأولى كانت  
معظم قبائل صنهاجه قد اعتنقت هذا المذهب  
وأصبحت من أشد دعاته .

وازداد المرابطون قوة عندما نجحوا في  
السيطرة على المديتين اللتين تقعان في بداية ونهاية  
الطريق التجارى الغربى الذى يخترق غرب  
الصحراء . وهما مدينة «سيچيلماسا» في  
الشمال ، ومدينة «أوداجوست» في الجنوب .

كذلك فقد نجح المرابطون في عقد تحالف  
مع قبيلة توكلور Tokolor الزنجية التي كانت  
تستوطن مناطق النيجر الأوسط ، والتي كانت قد  
اعتنقت الإسلام منذ جيل سابق ، فاعتبرت  
بذلك أول قبيلة زنجية اعتنقت الدين  
الإسلامي .

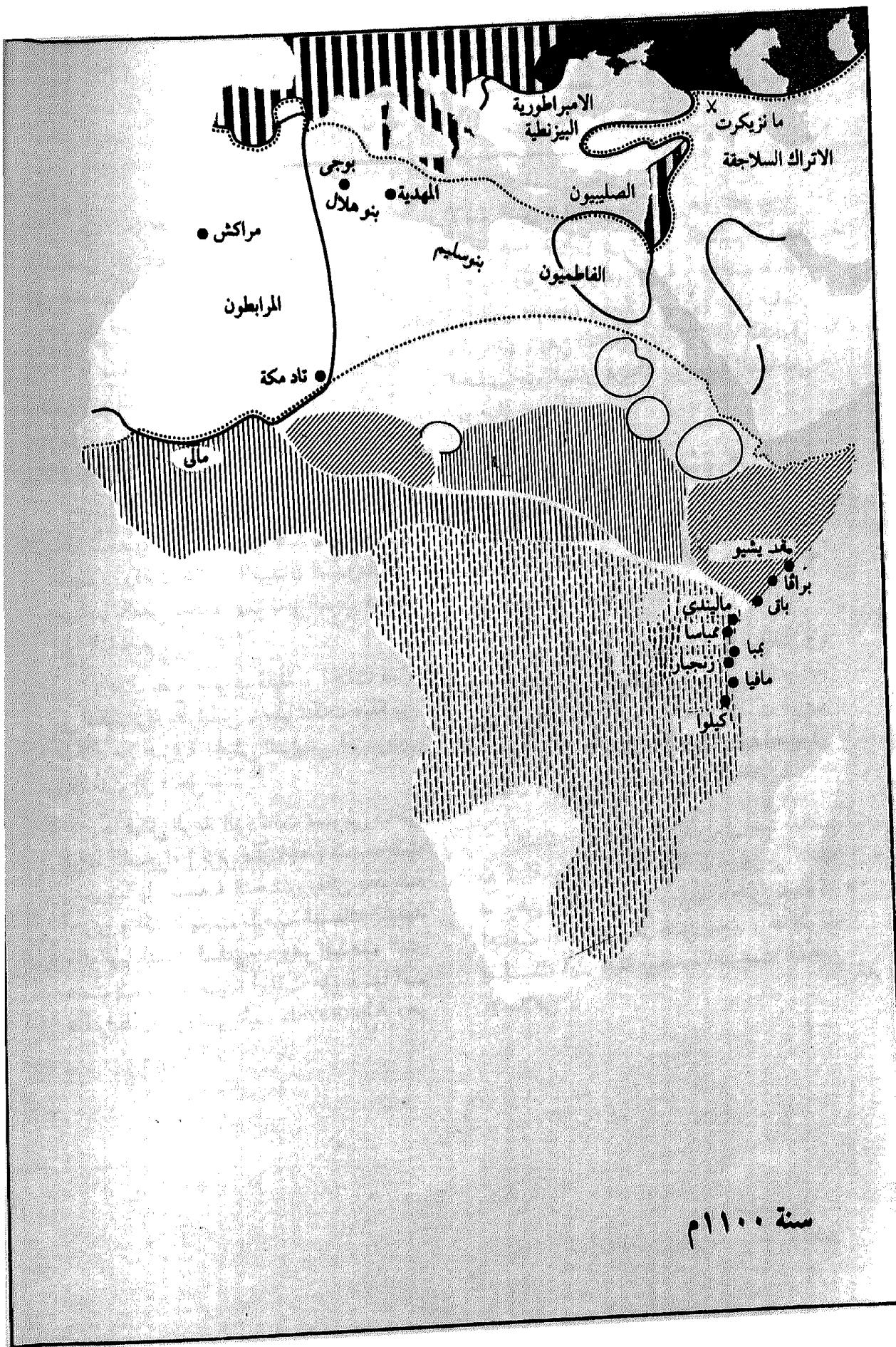
بعد نحو خمس وسبعين سنة من انتقال  
الفاطميين إلى القاهرة ، تقلصت إمبراطوريتهم  
في شمال إفريقيا وانحصرت حدودها حتى  
أصبحت قاصرة على مصر وحدها .

في سنة ٩٨٠ م افلتت مراكش ، وفي سنة  
١٠١٤ م انفصلت الإمارات الزيرية بشرق  
الجزائر ، وفي سنة ١٠٤٩ م انفصلت تونس  
وطرابلس .

وقد انتقم الفاطميون من تخلى الزيريين عنهم  
بأن شجعوا بني سليم وبني هلال بالمجرم  
عليهم . وكانت هاتان القبيلتان البدويتان في  
طريقهما بالفعل لمعادرة مصر نحو الغرب فرجحتا  
بهذا التشجيع .

وخلال بضع سنوات قليلة ، احتلت قبيلة  
بني سليم برقة وطرابلس ، بينما تكانت قبيلة بني  
هلال من هزيمة الجيش الرئيسي للزيريين  
وتغلغلت إلى داخل تونس .

أما قبائل الرعاعة التي كانت تستوطن مناطق  
غرب الصحراء [ ببر صنهاجه ] فقد دخلت  
بدورها إلى معمعة التحدى ولكن بطريقة  
أخرى ، فقد انتهت مذهب التمسك الشديد  
بتعاليم الدينية السلفية ، وهو المذهب الذي  
دعت إليه طائفة جديدة أطلقت على نفسها اسم  
«المرابطين» أو «الموراقيد» Almoravids وهو



سنة ١١٠٠ م

## ١١٠٠ سنة

السويس ، فاحتلت العراق والقوقاز وسوريا وفلسطين والمحاجز .

كذلك فقد كسرت تلك القبائل جود المدنية التربصية بين المسلمين والبيزنطيين ، والتي ظلت قائمة بين الفريقين على مدى ٤٠٠ سنة . وذلك عندما قامت بسحق جيش البيزنطيين في موقعة Manzikert سنة ١٠٧١ م . الأمر الذي دعا البيزنطيين إلى الإنقام ، فقاموا بتجهيز «الحملة الصليبية الأولى» التي حققت بعض النجاح في سوريا وفلسطين ، ولكنها لم تحقق أي نجاح في هضبة الاناضول ، حيث أن الأتراك كانوا قد احتلوا تركيا ليبقوا بها .

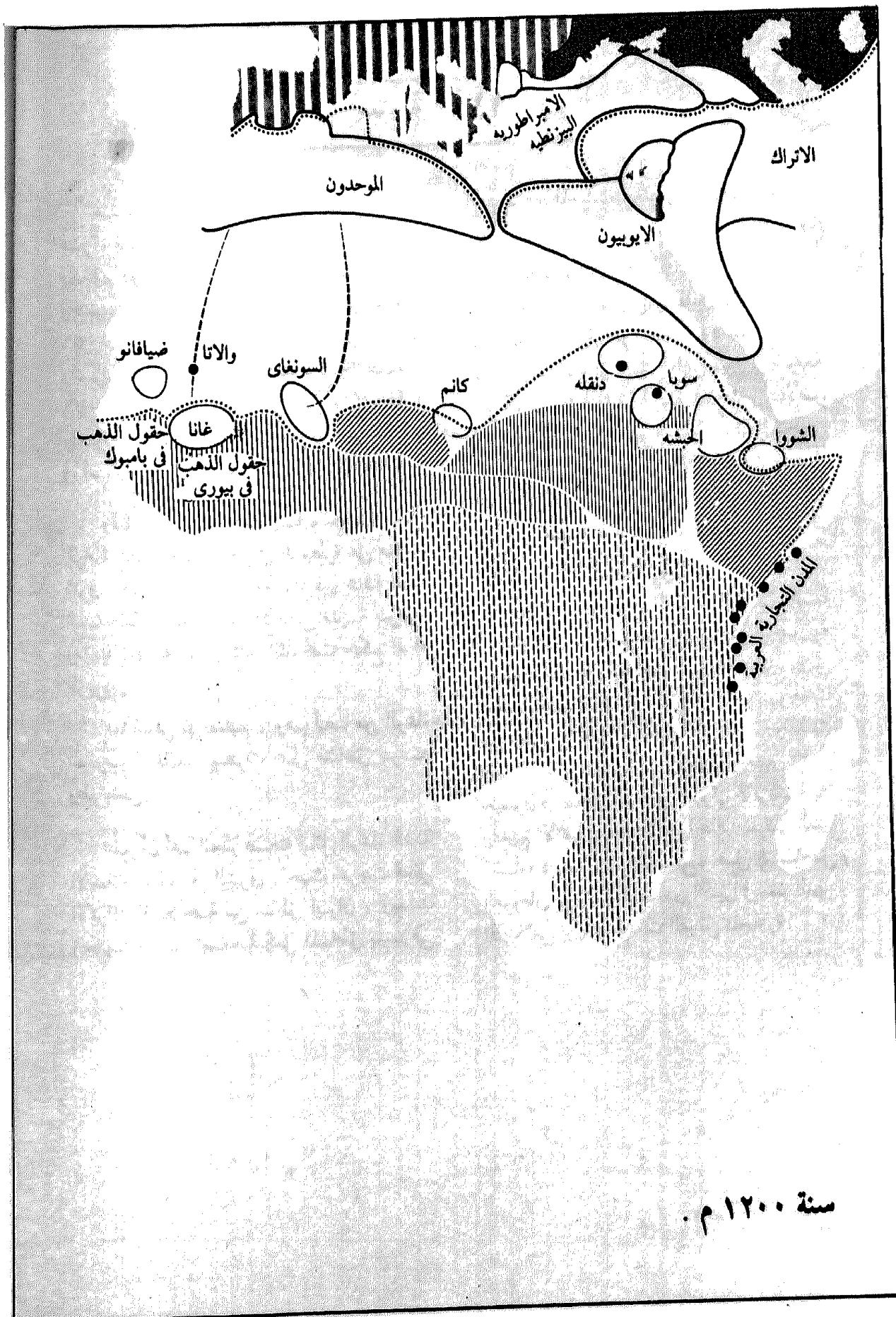
وفي خلال القرن العاشر الميلادي أنشأ التجار العرب مجموعة من المراكز التجارية والمستوطنات على سواحل شرق أفريقيا . ومن المحتمل أنهم قد أنشأوا تلك المراكز والمستوطنات على الجزر المتاخفة للساحل الأفريقي . ولذلك فقد كان تأثير العرب على الأهل المحلين الذين يعيشون في مناطق الساحل الشرقي لافريقيا قليلاً وعديم الأهمية . وذلك فيما عدا المركز الذي أنشأوه في مدينة مقديشيو على الساحل الصومالي ، والذي لعب دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي بين مجموعات القبائل المجاورة .

منذ سنة ١٠٥٠ م حتى نهاية القرن الحادى عشر ، قامت قبائل الرعاعة بنشر الدعوة الإسلامية وتدعيم دولة المرابطين في مناطق غرب أفريقيا وجنوب إسبانيا . ففي الفترة بين عامي ١٠٥٦ - ١٠٨٢ م استولى المرابطون على المغرب وغرب الجزائر . وفي الفترة بين عامي ١٠٧٦ - ١٠٨٣ م ، استولوا على مملكتي غانا والسنغال ، كما ضم المرابطون المناطق المسلمة في إسبانيا إلى دولتهم قبل حلول عام ١١٠٠ م .

وقبل حلول هذا العام أيضاً ، نجحت قبائل الرعاعة العرب [الهلالية] في السيطرة على مناطق شرق الجزائر وتونس . وذلك فيما عدا المدن الساحلية القليلة وعلى الأخص مدينة بوجي ومدينة المهدية اللتين كانتا آنذا تحت حكم أمراء الزيبرين .

أما قبائل بني سليم ، وهم أيضاً من الرعاة العرب ، فقد سيطرت على مناطق برقة وطرابلس .

غير أن أهم إنجاز صنعته قبائل الرعاعة لخدمة الإسلام ، كان في الشرق . حيث خرجت قبائل الأتراك السلágقة من مناطق ايران ، وبدأت زحفها الكبير متحاكمة كل المناطق بشرقى



بحقول الذهب التقليدية بمنطقة بامبوك . وكان من نتيجة ذلك أن انتقل النشاط الاقتصادي من نهر السنغال إلى نهر النيل . كما فقدت مدينة أوداجوست أهميتها بعد أن هجرتها القوافل التي كانت تخترق غرب الصحراء من الشمال إلى الجنوب ، وأصبحت تتجه مباشرة إلى مدينة والاتا Walata التي تبعد شرقاً عن مدينة أوداجوست بنحو ٢٤٠ ميلاً<sup>(١)</sup> .

وبالرغم من سقوط مملكة مالي ، إلا أن الإسلام ظل محتفظاً ببنفوذه في تلك المنطقة بظهور بعض المالك الإسلامية الجديدة في مناطق السودان الأوسط . وذلك مثل مملكة كائم منطقة بحيرة تشاد ، والتي تحول ملوكها الذين يتمسون إلى قبيلة سيفاوا إلى الإسلام . كما ظهرت إمارة إسلامية أخرى هي إمارة شوا Shoa في الجانب الشرقي من مرتفعات الحبشة ، كمنافس للمملكة المسيحية التي كانت ت控股 الجانب الغربي من هذه المرتفعات . كذلك انتشر الدين الإسلامي بين جميع القبائل الصومالية التي كانت تعيش في القرن الأفريقي .

وفي مصر قامت دولة الأيوبيين التي أسسها صلاح الدين بعد أن استولى على الحكم من آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١١٧١ م . واتخذ صلاح الدين من مصر قاعدة للانطلاق في معارك حربية متعددة وناجحة ضد الصليبيين في فلسطين .

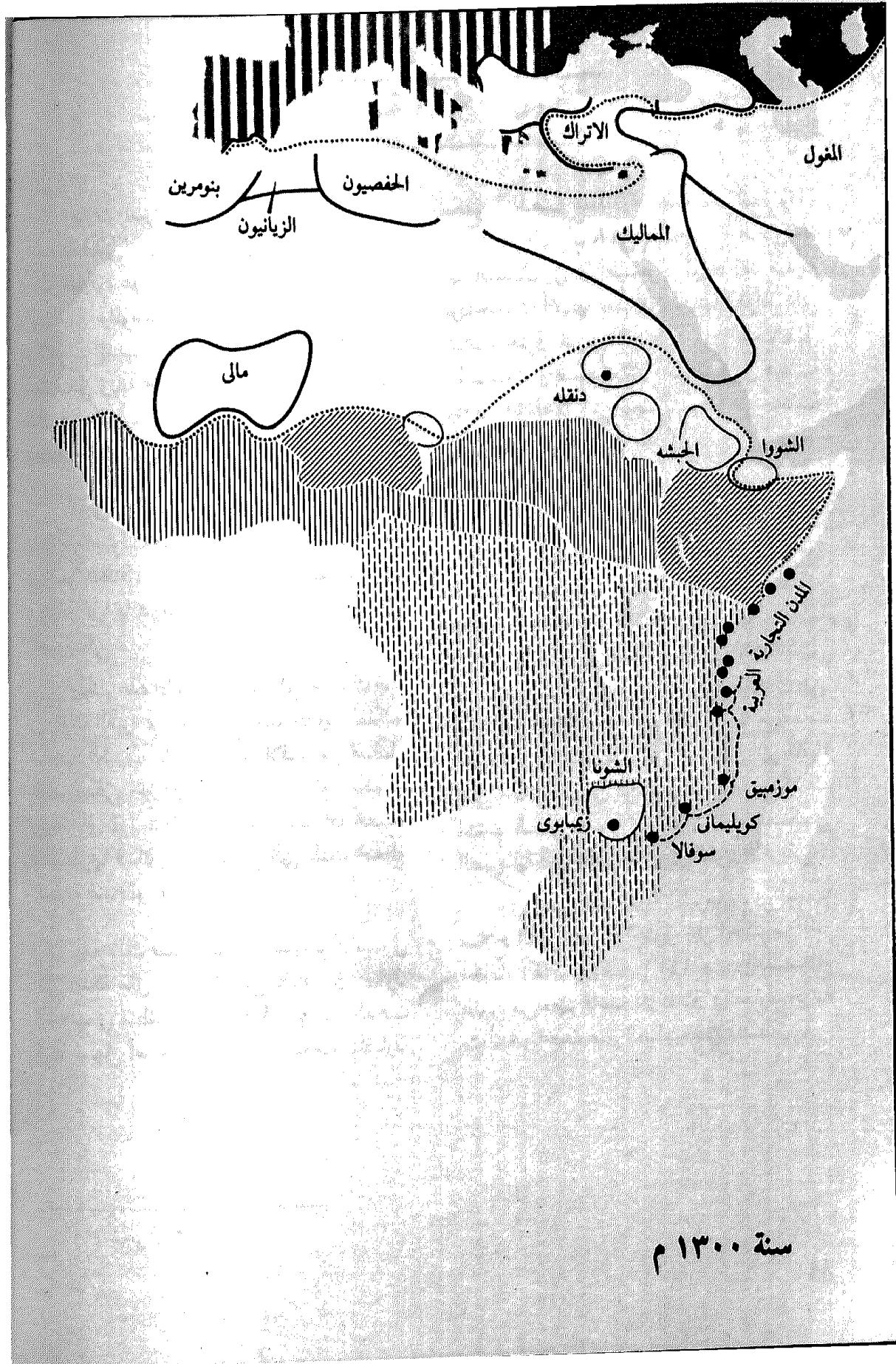
انهارت إمبراطورية المرابطين في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، بعد أن استولى «الموحدون» على المغرب والمناطق الإسلامية في إسبانيا . والموحدون هم طائفة دينية أشد تمكناً بالتعاليم الدينية والمبادئ السياسية التي اشتهرت بها قبائل زناته Zenata وهم من البربر الذين كانوا يعيشون في جبال أطلس ويعتبرون من أشد أعداء قبائل صنهاجة .

أما في الجنوب فقد طرد المرابطون من غانا بعد أن استولت على الحكم أسرة مالكة من قبيلة سوسو Susu ، وهي قبيلة زنجية كانت تعيش في منطقة كانايجا Kanaiga وتعتبر فرعاً من قبائل السونينكي .

ولكن هذه الأسرة الحاكمة التي حكمت غانا في تلك الفترة لم تستطع أن تحد حدود المملكة ناحية الغرب مثلما فعل أسلافهم من قبائل السونينكي حين كانوا يتولون زمام الحكم . وبالتالي لم تستطع قبيلة السوسو ان تخضع لسيطرتها قبائل السونينكي التي ظلت محتفظة بمنطقة ضيافانو Diafanu .

ومع ذلك فقد استطاعت السوسو أن تستولي على مملكة مالي ، وأن تسيطر وبالتالي على حقول الذهب في منطقة بوري Bure التي كان الذهب فيها أسهل استخراجاً وأغزر انتاجاً بالمقارنة

(١) نحو ٣٨٦ كيلومتراً .



سنه ١٣٠٠ م

Sundiata الذي تمكّن من الاستقلال بمالى في سنة ١٢٣٠ م.

وكان سوندياتا ملكاً قوياً استطاع فرض نفوذه واحضاع مملكة غالانا نفسها، ثم ضم إلى بلاده المالك والمدن الأخرى المحيطة مثل: والاتا وتادمككا Tadmekka والسونجاي وبذلك أصبحت امبراطورية مالى أكبر امبراطورية أسسها الزنوج وظلت حتى هذا التاريخ في مناطق غرب السودان. كما كانت في الوقت نفسه أكثر هذه الامبراطوريات ثراءً وغنى.

وذكر أن أحد ملوك مالى من خلفاء سوندياتا<sup>(٢)</sup> قام برحلة الحج إلى مكة وأخذ معه كميات ضخمة من الذهب. وعندما وصل إلى القاهرة، عرض ما معه من الذهب في السوق، الأمر الذي أدى إلى تخفيف سعر الذهب بنحو ٢٠٪.

أما الامبراطورية الثانية التي أسسها الزنوج في تلك الفترة فهي امبراطورية زيمبابوى الكبير<sup>(٣)</sup> Great Zimbabwe في منطقة هضبة روديسيا، والتي تبعد عن امبراطورية مالى بنحو ٣٥٠٠ ميل [نحو ٥٦٠٠ كيلومتر] باتجاه الجنوب الشرقي. وقد انفتحت هذه الامبراطورية بدورها في عمليات استخراج وتجارة الذهب.

(٢) هو الملك مانسا كانكان موسى المشهور باسم «موسى الأسود» [المترجم].

(٣) الكلمة زيمبابوى بلغة البانتو مكونة من مقطعين: زيبا بمعنى بيوت، ويوى أو بيجى بمعنى أحجار. ومعنى الكلمة إذن هو البيوت الحجرية. [المترجم].

تقلص نفوذ دولة الموحدين حتى كاد أن يصبح قاصراً على الأقسام الثلاثة للمغرب وهي من الغرب إلى الشرق: مراكش والجزائر وتونس. ومع ذلك فقد كانت بسيطرتها على هذه الأقسام الثلاثة تبدو أحسن حالاً من دولة المرابطين التي انهارت سواء في إسبانيا أو في جنوب الصحراء. أما في مناطق شمال أفريقيا فقد انهارت دولة الموحدين أيضاً بنفس السرعة، ففي خلال ثلاثينات القرن الثالث عشر الميلادي، أخذ حكام كل من تونس والجزائر في الاستقلال عن الدولة الأم. وابتداءاً من عام ١٢٣٦ م استولت أسرة الحفصيين على تونس واستقلت بحكمها. وفي سنة ١٢٣٩ م استولت أسرة زيان – أو الزيانيين – على الجزائر واستقلت أيضاً بحكمها، مما أوضح أن الحالة الطبيعية للمغرب هو الانقسام الثلاثي الذي مازال قائماً حتى الآن.

أما مراكش فقد ظلت خاضعة لحكم الموحدين لثلاثين سنة أخرى [حتى سنة ١٢٦٩ م] حين استولت عليها أسرة بنى مرین، وهي فرع آخر من قبيلة زنانة.

وخلال القرن الثالث عشر أيضاً، ظهرت امبراطوريتان زنجيتان في مناطق جنوب الصحراء الكبرى: الامبراطورية الأولى هي امبراطورية مالى التي كانت خاضعة من قبل لحكم ملوك السوسو البغالسين على عرش مملكة غالانا. ثم استقلت عن غالانا في بداية هذه الفترة بفضل أحد ملوك قبائل الماليين<sup>(٤)</sup> ، وهو الملك سوندياتا<sup>(١)</sup>

(٤) معنى الكلمة سوندياتا باللغة الماندية هو «الأسد الجائع» [المترجم].

وأهم الأحداث التي وقعت في تاريخ هذه الخريطة في مصر ، هي سقوط دولة الأيوبيين ، وظهور دولة المماليك . وكان ذلك في عام ١٢٥٠ م . وبالرغم من أن كلمة مالك معناها «عبد» الأمر الذي لا يبشر بالخير أو بالقوة لدى الولهة الأولى ، إلا أن الحال كان على العكس من ذلك تماماً . فقد صاحب نشأة هذه الدولة انباث روح جديدة من الحماس ضد الصليبيين . وقامت دولة المماليك بحملات حربية متكررة وواسعة النطاق ، كان من نتيجتها القضاء على كل مالك ودولات الصليبيين في سوريا وفلسطين . كما أرسلت حملة حربية صغيرة إلى إفريقيا ، أدت إلى اهتزاز مملكة دنق勒 الصغيرة من أساسها .

وفي بداية القرن الثالث عشر أسست قبيلة الشونا Shona ، وهي فرع من قبائل البانتو ، هذه الامبراطورية في مرتفعات هضبة روديسيا . ولحسن حظ هذه القبيلة أنها عثرت على ترسيرات منتشرة من خام الذهب على سطح بعض هذه المرتفعات ، فبدأت في استغلالها بطريقة منتظمة .

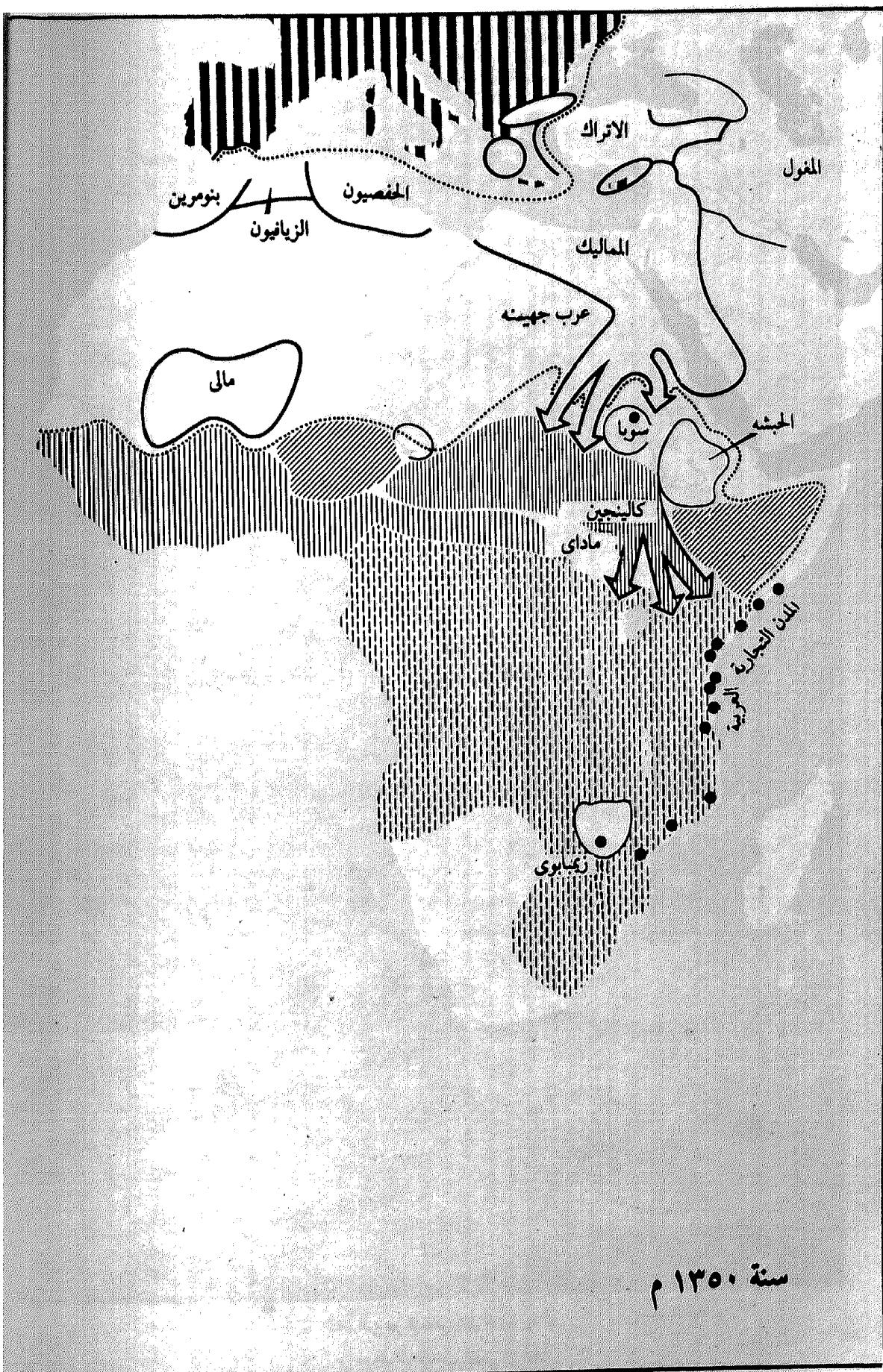
وكانت تقوم بتسويق الذهب في مدينة سوفالا<sup>(١)</sup> Sofala التي انشأها العرب الذين كانوا يعيشون في مدينة كيلوا Kilwa خصيصاً كمحطة لتسويق الذهب . وكانت الارباح الطائلة التي تأقى من تجارة الذهب ، تزيد من ثراء مملكة الشونا في زيمبابوى الكبرى ، كما جعلت مدينة كيلوا أهم المدن الواقعة على الساحل الشرقي الأفريقي وأكثرها ازدهاراً .

---

(١) يسمها العرب القديم هو سفاله الزنج . أي آخر نقطة وصل إليها العرب في إفريقيا .  
[المترجم] .



تمثال قديم من النحاس يمثل جندياً برتبة لواء.  
من معارض المتحف القومي في بنى.



سنة ١٣٥٠ م

الملك سليمان المذكور بالإنجيل .

وكان ملوك هذه الأسرة الحاكمة الجديدة من القوة بحيث أنهم لم يوقفوا زحف المسلمين إلى هضبة الحبشة فحسب ، بل وردوهم على أعقابهم . كما قاموا أيضاً بالزحف نحو القبائل الوثنية التي كانت تعيش في مناطق جنوب النيل الأزرق . وضمت هذه المناطق إلى المملكة الحبشية . وفي الفترة ما بين عامي ١٣١٦ - ١٣٣٠ م ، أصبحت هذه المملكة ضعف حجمها ومساحتها الأصلية .

وفي خلال تلك الفترة أيضاً ، حدثت تطورات وتغيرات في مناطق النيل الأبيض ، حيث قامت قبيلتان من الرعاة الذين يتبعون إلى الشعوب النيلية الصحراوية وهما : قبيلة ماداي وقبيلة كالنجين *Kalenjin* *Madai* بالزحف نحو جنوب منطقة السدود ، إلى أن استقر الماداي على الساحل الشمالي الغربي لبحيرة فيكتوريا ، واستقر الكالنجين في مرتفعات كينيا .

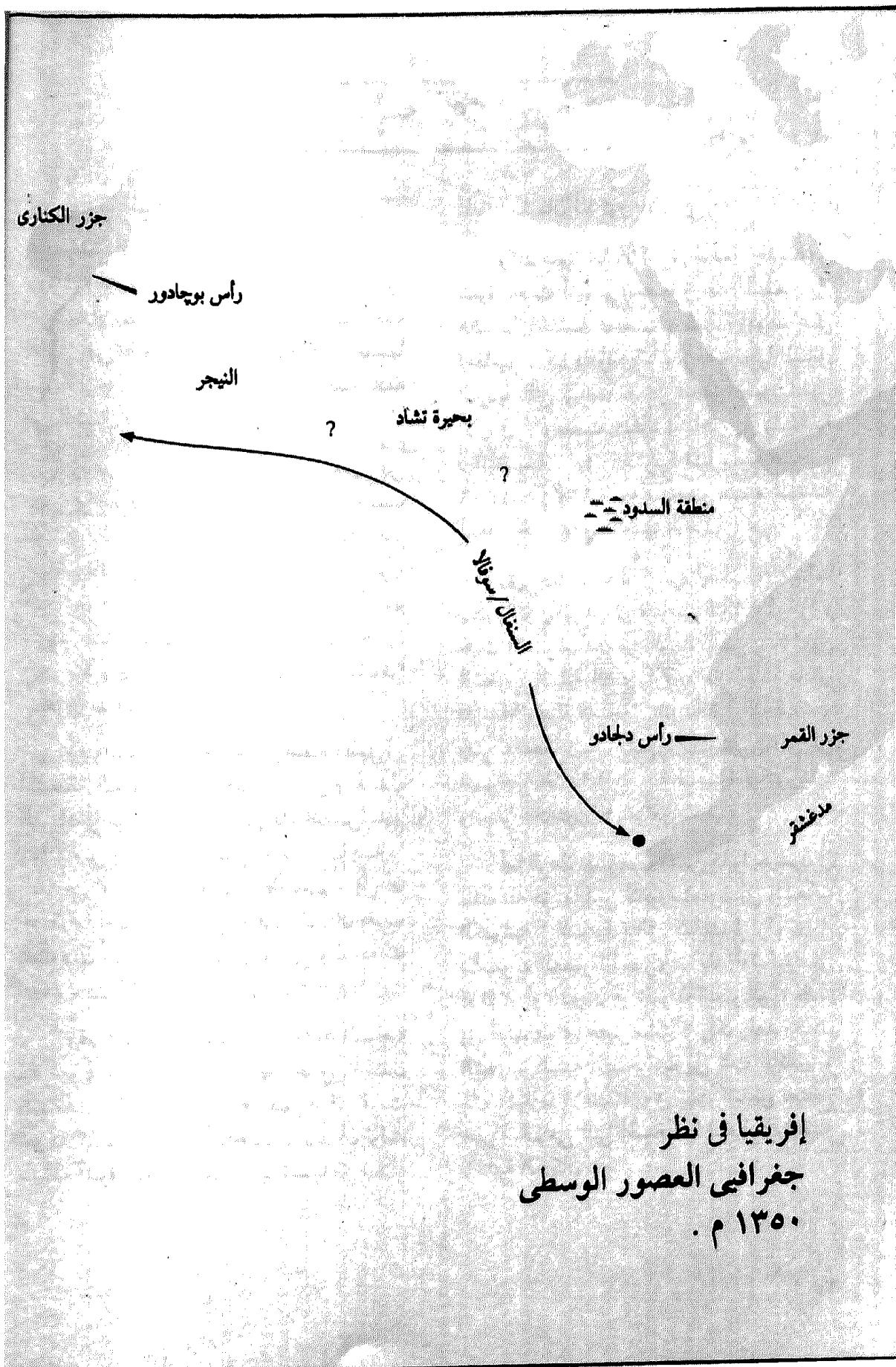
أما الرعاة السابقون الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق والذين كانوا يتبعون إلى الشعوب الكوشية [النووية] التي كانت لم تزل تعيش بأسلوب العصر الحجري ، فقد أوشكوا على الاندثار أو الذوبان في شعوب البانتو التي زحفت إلى أقاليمهم في عصر سابق . ولكن بعد وصول الشعوب النيلية الصحراوية إلى تلك الأقاليم ، مال التوازن الاقتصادي في تلك المناطق لصالح حرفة الرعي التي أصبحت المعرفة الرئيسية للأغلبية السكان .

لم تستمر مملكة دنقلا في البقاء طويلاً بعد أن نهب المماليك عاصمتها في عام ١٢٧٦ م . وقد وردت أخبار عن ملك مسلم أجلس المماليك على عرشها في سنة ١٣١٥ م . ولكن لم يمضى وقت طويلاً حتى أطاح بهذا الملك ويُعملَّكَة دنقلاً نفسها نتيجة لزحف قبيلة عرب جهينة على المنطقة قادمة من الشمال الشرقي .

ومنذ خروج قبيلي الهلالية وبني سليم من مصر في القرن الحادى عشر الميلادى ، عاشت العشائر البدوية في الحوف الشرقي بصعيد مصر حياة هادئة مستقرة على نحو ما . ولكن سوء أكان هؤلاء البدو قد ازدادوا عدداً ، أو وفدت إليهم عشائر بدوية أخرى قادمة من شبه الجزيرة العربية ، فقد أصبح لزاماً عليهم أن يقوموا بهجرة جديدة .

وقد استقر عرب جهينة على ضفاف النيل في المنطقة الواقعة بين الجنديل الثان والجنديل السادس ببلاد النوبة . كما قام البعض منهم بالتوغل إلى مناطق أكثر بعده ، فاجتازوا الصحراء الغربية ومعهم قطعائهم ، إلى أن استقروا أخيراً في منطقة دارفور وكردفان بغرب السودان حيث توجد بعض المراعي والمجتمعات الفقيرة .

وقد احتفظت إمارة سوبا *Soba* المسيحية بيقائتها في المنطقة النووية الواقعة جنوب الجنديل السادس على نهر النيل . وفي نفس الوقت قويت شوكة المملكة المسيحية بالحبشة ، بعد أن تولت الملك أسرة حاكمة جديدة تعتبر نفسها من سلالة



## افريقيا سنة ١٣٥٠ م في نظر جغرافي العصور الوسطى

بحيرة تشاد ، حيث أصبحت هذه المناطق كلها تابعة للعالم الإسلامي ، وكانت تزورها باستمرار ويانتظام القوافل التجارية التي كانت تخترق الصحراء . ولهذا السبب فقد عرفت عنها الكثير من المعلومات التي كانت تدرس بالمراکز العلمية الإسلامية .

ومعظم المعلومات الجغرافية التي توفرت ، كانت عن المناطق الواقعة عند منحنى نهر النيجر نحو الشمال ، وهي المناطق التي كانت تسيطر عليها امبراطورية مالي . كما توفرت معلومات قليلة عن مناطق نهر السنغال ومناطق بحيرة تشاد .

أما المناطق الواقعة على ضفاف النيجر الأدنى ، فلم تتوفر عنها أية معلومات سوى بعض الأخبار الغريبة التي تثير الدهشة .

وقد اعتنق الجغرافيون العرب الفكرة التي قال بها «بطليميوس الجغرافي» من قبل ، وهى أن نهر النيل ينبع من سلسلة جبال تقع في شرق افريقيا ، وأنه يتخذ مجراه نحو الشمال انطلاقاً من بحيرة كبرى .

ومع ذلك فقد اعتقد معظم الجغرافيين العرب أن النيجر يعتبر فرعاً من فروع النيل ، بل وكانتا يسمون نهر النيجر نفسه باسم «نيل الزنوج» . وكانوا يقولون بأن مجراه يمتد حتى يصل إلى بحيرة تشاد ، وينخرج منها متداً إلى بلاد النوبة ، حيث يتقابل مع «النيل الأفريقي الشرقي» فيتحد معه في مجرى واحد يتجه نحو

حتى سنة ١٣٥٠ م لم يتتوفر سوى قدر ضئيل من المعلومات الجغرافية عن القارة الافريقية ، أضيف إلى المعلومات الجغرافية التي كانت معروفة منذ سنة ٢٠٠ م . فمن ناحية غرب القارة ، كانت رأس بوجادور Cape Bojador لم تزل تعتبر أقصى نقطة يمكن الوصول إليها عن طريق السفن والرحلات البحرية .

أما في شرق القارة فقد امتد الطريق التجارى البحري وتجاوز منطقة رأس دلجادو Cape Delgado حتى وصل جنوباً إلى منطقة سوفالا [سفالة الزنوج] . وقد نتج عن هذا الامتداد اكتشاف «جزر القمر» Comoro Isles ، وهي مجموعة من الجزر لم تكن مأهولة من قبل ، ولكنها سرعان ما استوطنت بخلط من شعوب العرب والماجاسى Malagasy والبانتو والملايو والمغاربة .

وحتى هذا القدر الضئيل من المعلومات الجغرافية التي توفرت في تلك الفترة كان محل نظر . فقد أطلق العرب اسم جزر القمر على كل من مجموعة جزر كومورو وجزيرة مدغشقر . الأمر الذي يحتمل معه الا يكون العرب قد توغلوا إلى المناطق الداخلية بجزيرة مدغشقر ، والذي يؤكّد قطعاً انهم لم يطوفوا مبحرين حولها .

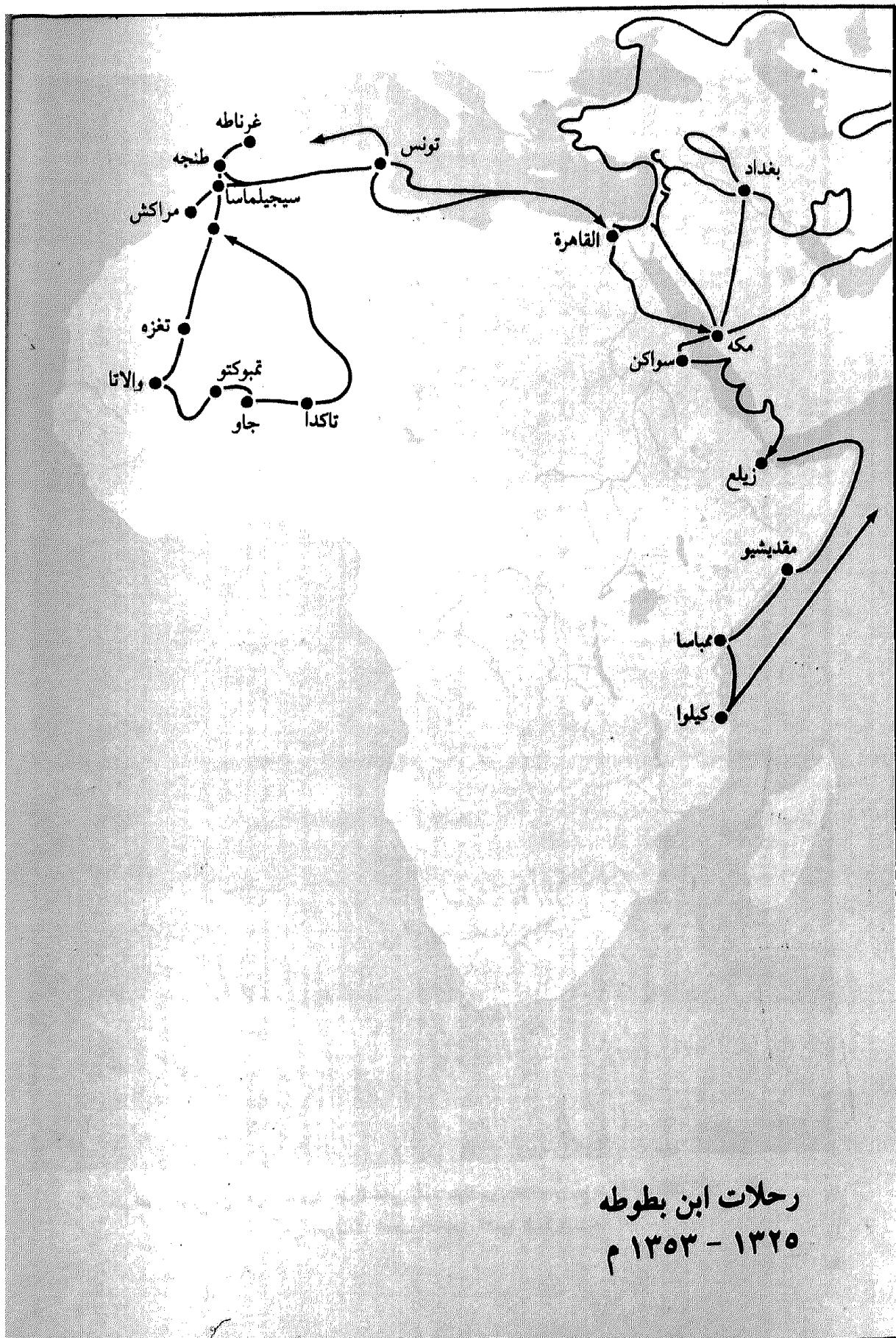
أما المناطق الافريقية التي توفرت عنها معلومات جغرافية كثيرة في تلك الفترة ، فهي مناطق غرب السودان على طول الساحل الشمالي للصحراء الكبرى المتدا من نهر السنغال حتى

من الجغرافيين العرب ، الذين ذكروا أن كلاً من نهرى النيل والسنغال ، يعتبر ذراعاً عظيماً داخل الأرض قادماً من البحر ، وهى معلومات تتجاهل أبسط البديهيات !

الشمال وهو «نيل المصريين» ! ورغم ما في تلك المعلومات من أخطاء واضحة ، إلا أنها تعتبر أفضل من بعض المعلومات غير السليمة الأخرى التي قال بها قلة



علم مطرز مصنوع من الحيوط القطنية المجدولة خاص بأحد ملوك بنين القداماء ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر.  
من معرضات متحف الثقافات الشعبية بقينا بالنساء.



رحلات ابن بطوطة  
١٣٢٥ - ١٣٥٣ م

## رحلات ابن بطوطة

[ ١٣٢٥ - ١٣٥٣ م ]

ومثل معظم الرحالة الآخرين ، كانت في الاخبار التي ذكرها ابن بطوطة عن رحلاته ومشاهداته ، كثير من المبالغات التي تتجاوز حدود الحقيقة . كما أنه ادعى زيارة أماكن وبلاد لم يزورها في حقيقة الأمر . [ الصين على سبيل المثال ] .

ومع ذلك لم يشك أحد في المعلومات التي ذكرها عن مالي ، والتي تناول فيها أوصافاً تفصيلية دقيقة عن ذلك الخلط العجيب من التعاليم الإسلامية والعقائد والعادات المحلية ، الذي كان سائداً بين الملك وأفراد البلاط الملكي .

كذلك فقد سجل ابن بطوطة الكثير من تعليقاته المترمرة والتي تراوحت بين الإعجاب الشديد بقواعد الأمن ومبادئ الحكم العادل التي كانت تسود أرجاء المملكة ، والسخرية والاستهزاء الشديد بالطقوس الاحتفالية المحلية ، وبالنوح والهدايا التي كانت تعطى لطلبة العلم ، والغضب والاستكثار لرؤية أجساد الفتيات والنسوة الصغيرات عارية تماماً لا يسترهن شيء .

كما ذكر ابن بطوطة تقريراً كثيناً يشير الشجن عن ازدهار نظام العبيد ورواج تجارة الرقيق . وذكر أنه عندما شرع في العودة إلى موطنها بالمغرب ، سافر ضمن قافلة تضم ٦٠٠ جارية من النساء والفتيات اللاتي أخذن من تاكيدا Takedda ليبعن في أسواق العبيد في الشمال . كما ذكر أن تجارة العبيد من الذكور والإناث

لم يظهر في عالم العصور الوسطى مستكشفون جغرافيون بمعنى الكلمة . ومع ذلك فيمكن القول بظهور مجموعة من «الرحالة» العظام ، أجلهم شأنها وأكثراهم شهرة الرحالة الأفريقي العظيم «ابن بطوطة» .

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجه سنة ١٣٠٤ م . وقام برحلة الحج إلى مكة في سنة ١٣٢٥ م . ومنها انطلق في رحلة طويلة زار خلالها معظم مناطق الشرق الأدنى . ثم قام بعد ذلك برحلة إلى مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا ، حتى وصل إلى مقديشيو ومباسا وكيلوا في سنة ١٣٣١ م . ومنها انطلق إلى الهند التي ذكر عنها بعض المشاهدات الغربية .

وفي سنة ١٣٤٩ م . عاد ابن بطوطة إلى موطنها الأصلي بالمغرب . ولكنه لم يستقر هناك طويلاً ، فقد كان عليه القيام برحلتين آخرتين يستكمل بها زيارة كل بلاد العالم الإسلامي .

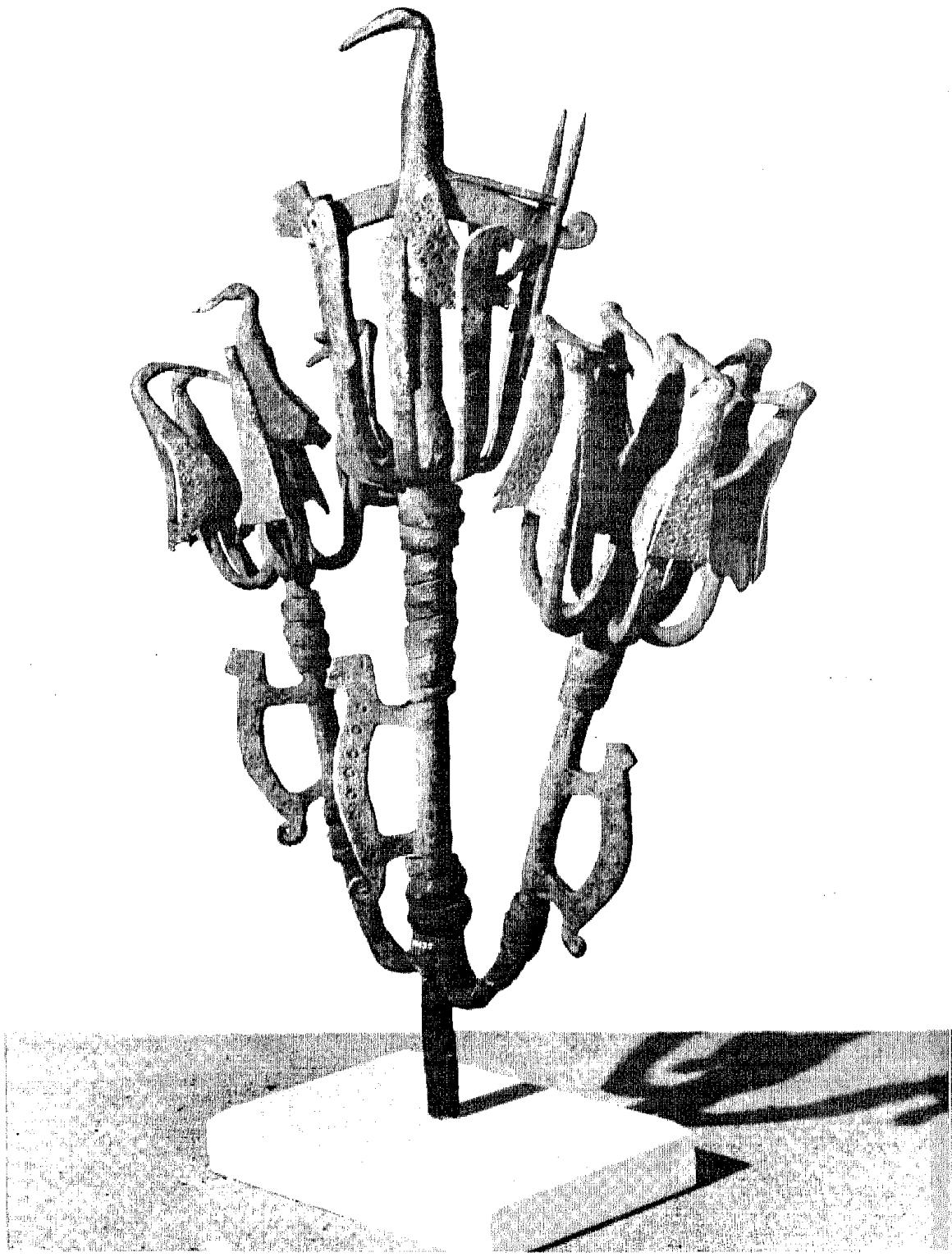
وفي العام التالي قام بالرحلة الأولى وكانت رحلة سهلة ، عبر فيها مضيق جبل طارق ، وزار المناطق الإسلامية القليلة التي كانت لم تزل موجودة في إسبانيا .

أما الرحلة الثانية فقد استغرقت وقتاً أطول ، واكتنفها الكثير من العناء والمشقة . ومن سبيحيل ماسا حيث تتجمع القوافل قبل انطلاقها لأنحراف الصحراء ، بدأ ابن بطوطة رحلته قاصداً مناطق غرب السودان بصفة عامة ، ومنطقة مالي على وجه المخصوص .

بطوطه ، وليدون ما يملئه عليه من أخبار وذكريات الرحلات والمشاهدات التي مرت في حياته . وفي آخر فصل من الكتاب الذي دونه هذا الكاتب عن رحلات ابن بطوطه ، كتب يقول : «وهكذا يتضح لنا أن هذا الشيخ هو أعظم رحالة العصر والأوان ...» . وهو قول صادق بالفعل .

أصبحت تنافس تجارة الذهب . كما أن هاتين السنتين أصبحتا أهم صادرات مناطق غرب السودان ، بل ومناطق الساحل الشرقي لافريقيا على حد سواء .

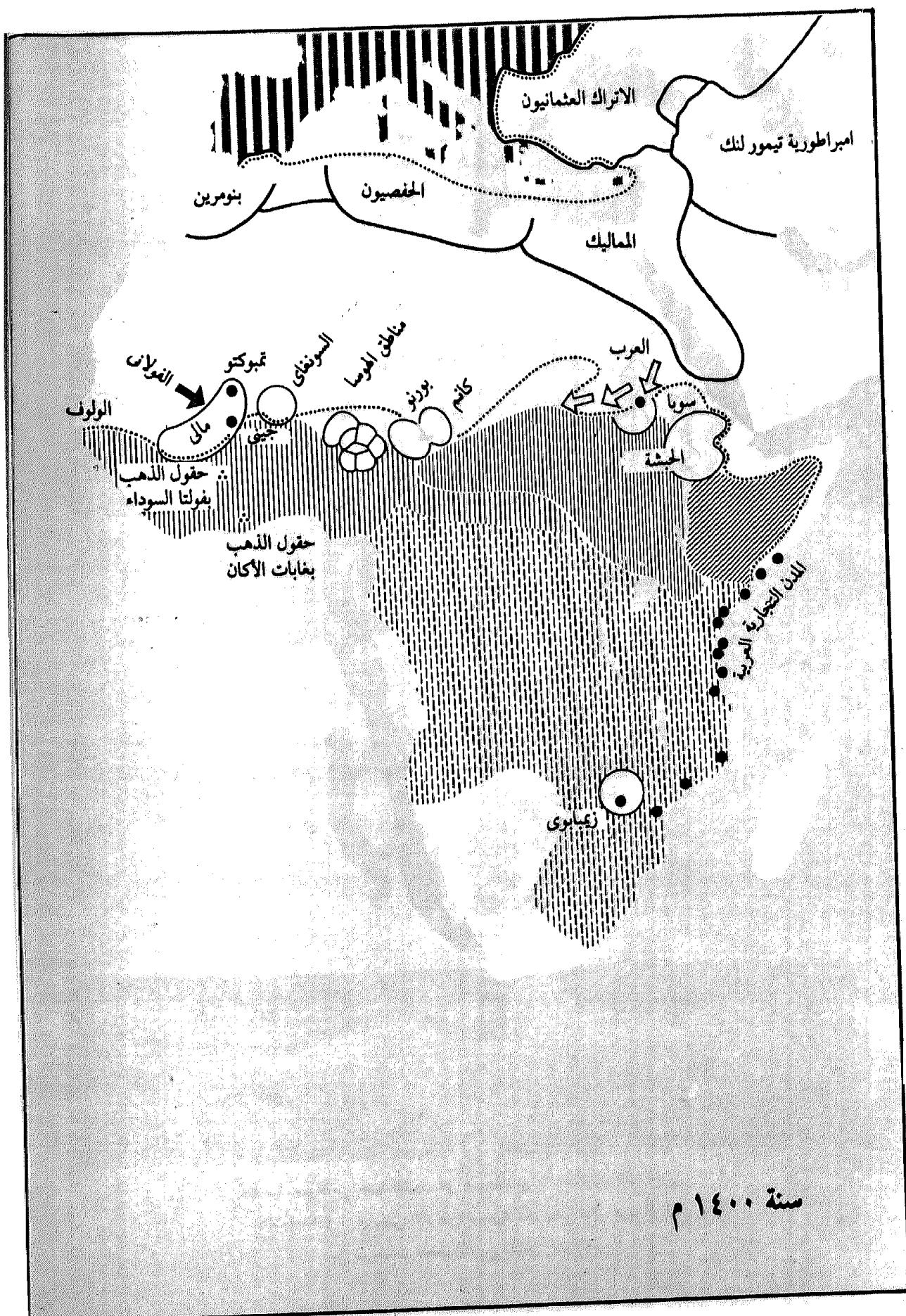
وفي سنة ١٣٥٣ م عاد ابن بطوطه إلى موطنه واستقر فيه بقية حياته . وهناك أمر السلطان بتخصيص كاتب ليكون تحت تصرف ابن



تحفة فنية مصنوعة من الحديد المطروق تمثل بجموعات من طائر البلشون «ملك الحزير» .

كانت تستخدم في بعض الأغراض السحرية لدى بعض قبائل غرب أفريقيا .

من معارضات متحف التاريخ الطبيعي بشيكاجو .



أما في الجزء الشرقي من الساحل العشبي ، فقد ظهرت وحدة سياسية جديدة هي مملكة بورنوه <sup>(١)</sup> أسسها أحد الملوك المنفيين من مملكة كانم بعد أن استولت قبيلة البولا لا Bulala على تلك المملكة .

ولم يعرف على وجه التأكيد ما إذا كانت البولا لا عشيرة متفرعة من قبيلة ، أو أنها قبيلة متفرعة من شعب الكانوري Kanuri people الذي كان يعيش في مملكة كانم ، أو أنهما من الرعاء الذين غزوا تلك المنطقة قادمين من ناحية الشرق .

وأيا كان شأن هؤلاء البولا لا ، فقد استولوا على عرش مملكة كانم . وخرجت الأسرة المالكة التي كانت تحكم كانم ، وكومنت مملكة جديدة هي مملكة بورنوه . أما الشعب الأصلي الذي كان يعيش في منطقة بورنوه [ وهو من الشعوب الشادية مثل قبائل الهموسا ] فقد بدأ يتعرض لخطر فقد صفاته البشرية وهويته السياسية .

وهكذا ساد الإسلام جميع القبائل والشعوب التي كانت تعيش في الساحل العشبي المتد جنون الصحراء الكبرى ، ابتداء من قبيلة الفولاني التي تستوطن نهر السنغال من ناحية الغرب ، إلى العرب الذين كانوا يستوطنون النيل الأعلى ناحية الشرق .

(١) هناك أسطورة شائعة بين أهالي تلك المناطق المحيطة ببحيرة تشاد ، تقول أن هذه المناطق هي نفسها الأرض التي عاش عليها سيدنا نوح عليه السلام لذلك أطلقوا عليها اسم بورنوه ومعناه « أرض نوح » في اللغة المحلية [ المترجم ] .

في بداية مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، إنتهى عصر أزدهار امبراطورية مالي ، وبدأت فترة انحسارها . فقد فقدت سيطرتها على مملكة السنونجاي ، وزال سلطانها على مناطق نهر السنغال . وانضوى الأهالي الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق تحت لواء أقوى قبيلة محلية ، وهي قبيلة الولوف Wolof أما قبيلة الفولانى وهي من قبائل الرعاء ، فقد بدأ زحفها تجاه الشرق لستقر على ضفاف نهر النيجر .

ومع ذلك فقد احتفظت مالي بمعادها الاقتصادي ، وهو استخراج وتجارة الذهب لفترة أطول ، بالرغم من ظهور الذهب بكثرة في مناطق أخرى خارج المملكة ، مثل حقول الذهب الجديدة في قولنا السوداء Black volta وفي منطقة غابات الأكان Akan forests وبدأ الذهب المستخرج من هاتين المنطقتين يتدفق عبر الطرق المائية ليتجمع في النهاية في مدينة چيني Jenne وقبوكتو Timbuctoo اللتين أصبحتا عطقي قيام للقوافل التي تخترق الصحراe تجاه الشمال .

وفي مطلع القرن الخامس عشر أيضا خرجت أول معلومات تاريخية لأشك فيها عن المناطق الواقعة بالساحل العشبي المتد من نهر النيجر حتى بحيرة تشاد . ففي الجزء الغربي والجزء الأوسط من هذا الشريط بدأ ظهور سبع مدن جديدة أنشأها قبائل الهموسا Hausa غيّرت عن سائر المناطق المحيطة ، بأن كل مدينة منها كانت تتخذ شكل « المدينة / الدولة » City State وكانت أهمها مدن : كانو ، وكاتسينا ، وزابيرا ، Kano ، Katsina ، Zaira ، Gobir وجوير

ومعنى هذا أن الخط المقطع الذي يظهر بهذه الخريطة ليبين حدود العالم الإسلامي ، يعني - على الأقل بالنسبة للساحل الشعبي الافريقي - أنه خط ي بين الشعوب المتأثرة ببعض التعاليم والمبادئ الإسلامية ، أكثر منه خط ي بين الحدود الفاصلة بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات غير الإسلامية .

وعلى أية حال فإن هذا الخط لن يظهر مرة أخرى على الخرائط التالية . فقد بدأ انتشار الإسلام في الانحسار البطيء . ومع ذلك فسوف نشير إلى مآل الإسلام في إفريقيا مرة كل مائة سنة<sup>(١)</sup> .

ولكن مفهوم الإسلام الذي ساد في تلك المناطق الشاسعة من إفريقيا قد يشير دهشة المسلمين الذين يعيشون في شبه الجزيرة العربية على سبيل المثال . فقد اختلطت فيه الطقوس والعبادات الإسلامية الحقيقة بالطقوس والعقائد والمعتقدات الروحية التي كانت سائدة بين تلك الشعوب والقبائل قبل دخولها الإسلام ، والتي قد تختلف بين قبيلة وأخرى أو بين شعب وآخر .

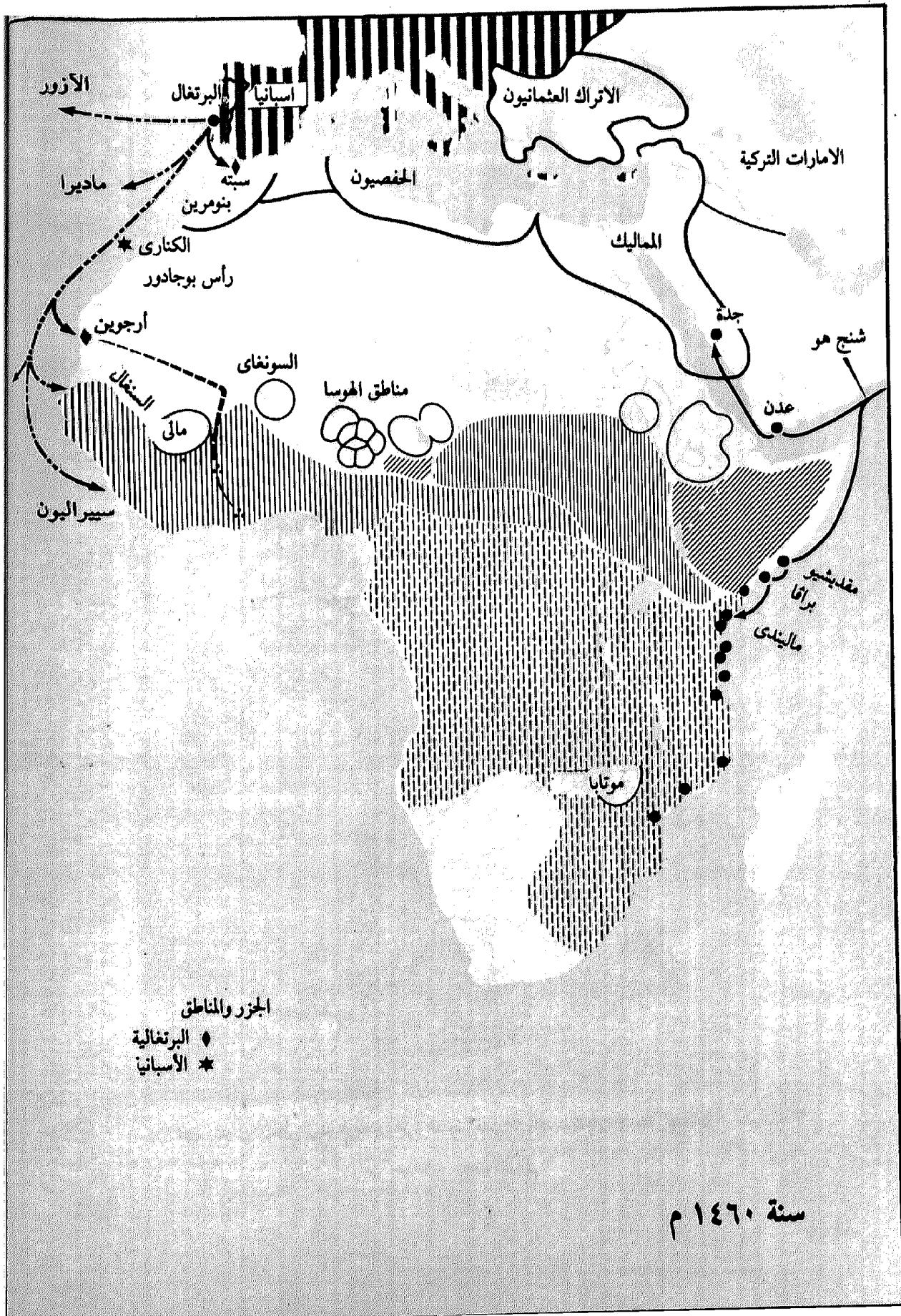
وعلى سبيل المثال فقد كان هذا الاختلاط بين مبادئ الدين الإسلامي والعقائد والطقوس الأفريقية المحلية مثالاً لذلك الاختلاط بين مبادئ المسيحية والعقائد المحلية التي تسود الآن بين شعب البرازيل في أمريكا الجنوية .

مفهوماً أن تلك المناطق المظللة بالخطوط ستصبح من الآن فصاعداً علاماً مميزاً للمسيحية الغربية والشرقية على حد سواء وعند ظهور هذه المناطق المظللة بالخطوط على خريطة إفريقيا ، فهذا يعني أننا نشير إلى المناطق الأفريقية التي تعرضت لغزو والاستعمار الاستيطاني من جانب الدول الأوربية .

(١) ملحوظة : عندما يظهر هذا الخط المقطع مرة أخرى في الخريطة السياسية الخاصة بسنة ١٦٠٠ م ، فسيكون ذلك للدلالة على الحدود الجنوية لمناطق الإسلام . أما الحدود الشمالية لهذه المناطق فسوف نفهم ضمناً مجرد النظر إلى المجموعة المظللة بالخطوط والتي تبين نطاق وحدود المسيحية . على أن يكون



تمثال رايع من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر يمثل أحد ملوك بنين القدماء يركب حماراً .  
من معارضات متحف ليفرپول .



البرتغالية في القيام بالرحلات الاستكشافية البحرية ذات العائد الاقتصادي ، ولتحقيق أطماع البرتغال في السيطرة وفرض التفود على مناطق أخرى . وكانت أفريقيا على وجه الخصوص أهم وأقرب المناطق التي يهتم بها.

وفي سنة ١٤١٥ م ، شارك هذا الأمير ، وكان عمره ٢٢ سنة ، في أول مغامرة بحرية قامت بها البرتغال وأدت إلى احتلال مدينة « سبته » Ceuta المغربية . وبالتحقيق مع بعض أسراء من المغاربة ، عرف الأمير أسرار تجارة الذهب والعيدي ، والدور الذي تؤديه الطرق التي تشق الصحراء من المغرب حتى مالي . وهنا ثار التساؤل بين البرتغاليين : هل يمكن أن يصلوا إلى مالي عن طريق الابحار بموازاة سواحل غرب أفريقيا لتساير البرتغال بتجارة العيد والذهب ، وبالتالي تقطع الطريق على المغاربة ؟

ولكن الاجابة على هذا التساؤل كانت بالنفي ، فعلى مدى ١٨ سنة متواتلة ، لم يستطع الأمير هنري أن يقنع أحداً من قيادة السفن البرتغالية ، بالابحار إلى آية منطقة افريقية تقع جنوب رأس بوجادور . وكان خوف القباطنة من الاقدام على الابحار جنوباً ، يرجع إلى أن الرياح تهب في هذه المنطقة دائماً من ناحية الشمال ، الأمر الذي قد تستحيل معه رحلة العودة إلى الوطن مرة أخرى .

(١) هنري الملّاح : ابن يوحنا الأول ملك البرتغال . كانت له رغبة عارمة في توسيع معلوماته عن أفريقيا . واشرف على تأسيس ترسانة لصناعة السفن ، ومرصدًا ومدرسة لدراسة الجغرافيا والملاحة البحرية . [ المترجم ]

خلال القرن الخامس عشر ، ظهرت طرز محسنة من السفن البحرية في كل من الصين وأوروبا . ففي الصين ظهر طراز من السفن الشراعية يسمى الچنك أو الينك Junk ، وهي سفن ضخمة متعددة الأشرعة وتصل حمولتها إلى نحو ٢٠٠٠ طن . وقد تمكّن الصينيون بهذه السفن ، من أن يبحرو في مناطق المحيط الهندي وأن يصلوا إلى سواحل شرق أفريقيا .

غير أن الصينيين لم يحقّقوا آية اكتشافات جديدة خلال تجوّلهم بمناطق المحيط الهندي ، فقد سبقهم العرب منذ قرون طويلة بالتجول عبر الطرق والممرات البحرية في هذا المحيط .

وفي سنة ١٤١٧ م وصل اسطول من السفن الصينية إلى سواحل شرق أفريقيا . وبجمع الصينيون بعض التحف والحيوانات المدهشة لهم مثل الزراف . وتبين لهم أن كل ما جمعوه لم يكفل تغطية مصاريف الرحلة البحرية الطويلة . وبالتالي فلم تتردد السفن الصينية على السواحل الأفريقية مرة أخرى .

أما البرتغال فقد استطاعت أن تشييد طرزاً من السفن الشراعية يسمى الكرافل Caravel وهي سفن خفيفة سريعة الحركة صغيرة الحجم لا تزيد حمولتها عن ٢٠٠ طن . ولكنها أكثر صلاحية من الناحية الملاحية ، وأقل تكلفة من ناحية التشغيل إذا قورنت بطراز الچنك من السفن الصينية .

وقد رأى الأمير البرتغالي « هنري الملّاح »<sup>(١)</sup> أن هذا الطراز من السفن الشراعية الصغيرة ، يمكن الاعتماد عليه لتحقيق الظمومحات

عشر سنوات استطاعت السفن البرتغالية أن تقوم بزيارة مصب نهر السنغال كما استطاعت الوصول إلى منطقة سيراليون Siera Leone قبل موت الأمير هنري سنة ١٤٦٠ م . وأهم من هذا كله هو العائد الاقتصادي الذي عاد على البرتغال نتيجة للقيام بتلك الرحلات . فمن نقطة انطلاق أقامها البرتغاليون في جزيرة أرجوين Arguin المجاورة للشاطئ الأفريقي ، استطاعوا أن يتسللوا إلى الداخل وأن يقتطعوا لأنفسهم جزءاً من تجارة الذهب التي كانت تتم عبر الطرق الصحراوية .

ونشير أخيراً إلى بقية أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في أفريقيا في تلك الفترة ، وهي تقلص نفوذ إمبراطورية مالي التي فقدت سيطرتها تماماً على طريق چيفي / تبوكتو التجاري . كذلك فقد هجرت مملكة الشونا Shona موقعها في زيمبابوي ، واتجهت شمالاً وأسست مملكة أخرى هي مملكة موتابا Mutapa . وكان الذهب في منطقة زيمبابوي قد نضب تماماً أو أوشك على النضوب . أما منطقة موتابا الجديدة فما زالت تتسع الذهب حتى الآن ، وإن كان ذلك بكثيات ضئيلة . وهكذا يمكن القول بأن عصر ازدهار تجارة الذهب في مناطق جنوب وشرق أفريقيا قد ول وأصبح من الذكريات .

كذلك فقد فشل الأمير هنري في فرض نفوذه البرتغال على مجموعات البحارة المغامرين الذين يتمون إلى بعض الدول الأوربية المختلفة ، والذين استطاعوا أن يستوطنوا أقرب الجزر في أرخبيل الكناري في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٤٠٥ - ١٤٢٠ م . وذلك بعد أن أعلن هؤلاء المستوطnen الجدد ولاءهم لاسبانيا .

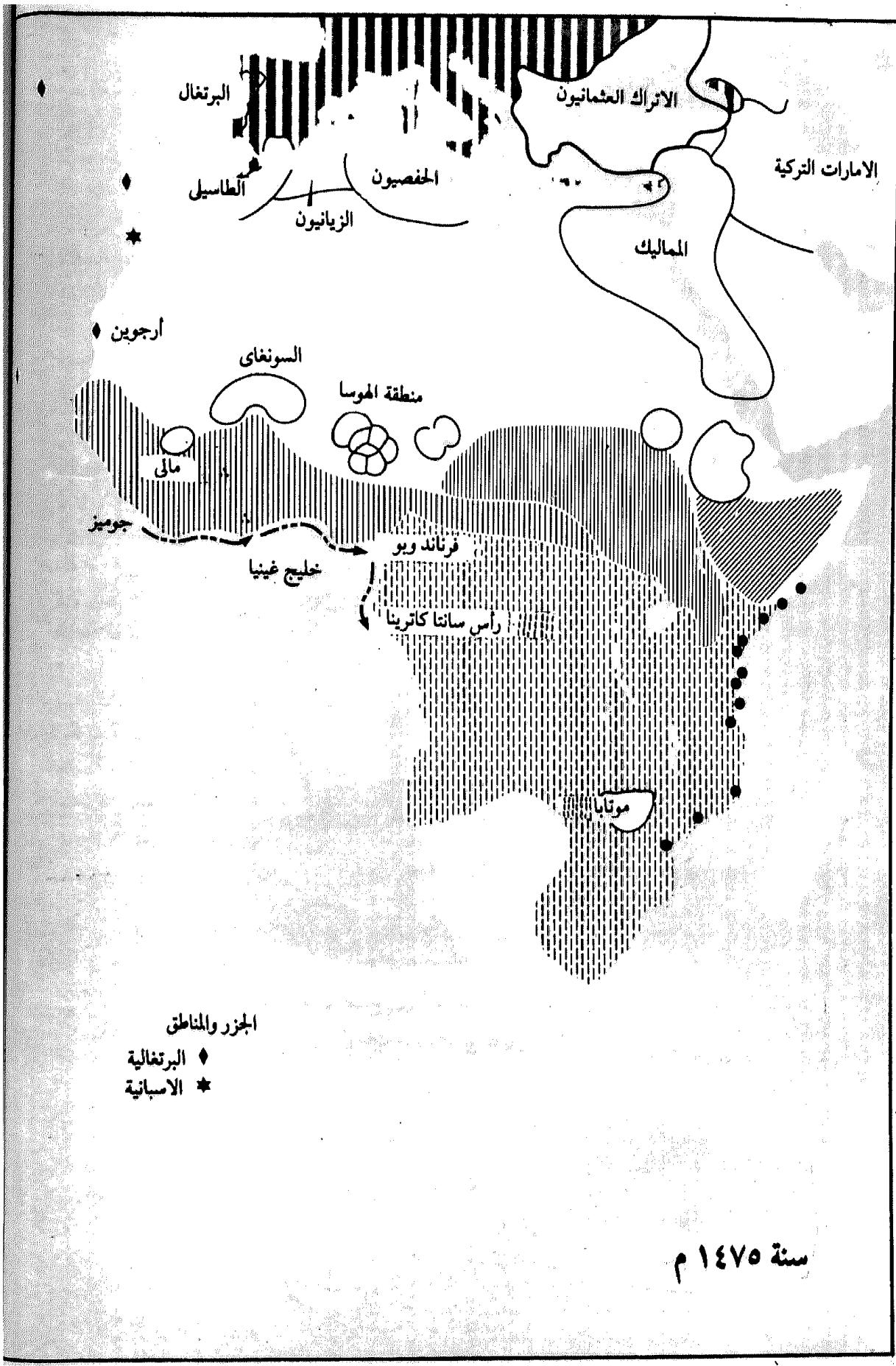
ومع ذلك فبالمثابرة استطاع البرتغاليون أن يتعلموا سبل الملاحة في البحار المفتوحة ، واستطاعوا وبالتالي أن يستكشفوا ويحتلوا جزيرة ماديرا Madeira سنة ١٤٢٠ م . وجزر الأزور Azores سنة ١٤٣١ م . كذلك استطاعوا أن يكتشفوا الطريقة الفنية التي تمكّنهم من السيطرة على أشرعة السفن وإدارتها بالكيفية التي تمكّنهم من الإقلاع والابحار ضد مهب الريح .

وفي سنة ١٤٣٤ م استطاع الأمير هنري أن يقنع أحد قباطنة سفنه بالإبحار لا ستكمشاف ما وراء رأس بوچادور وبالفعل وصلت السفينة إلى هذه الرأس ، ثم تجاوزتها جنوباً بمسافة نحو ٣٠ فرسخاً [ حوالي ١٦٦ كم ] ثم غيرت السفينة اتجاهها وقفت راجعة إلى رأس بوچادور مرة أخرى قبل أن تعود مرة أخرى إلى البرتغال .

وبعد ذلك تطورت الأمور بسرعة . وخلال



حامل حديدي لمصباح زيق قديم . من صناعة حدادي بنين القدماه .  
من معرضات متحف التاريخ الطبيعي بشيكاجو .



وقد تم اكتشاف البرتغاليين لغينيا عن طريق اتفاق خاص عقده ملك البرتغال مع تاجر كبير من لشبونة يدعى «فناو جوميز» Fenao Gomes وكان هذا الاتفاق ينص على أن العرش البرتغالي يوافق على اعطاء جوميز الحق في احتكار التجارة مع جميع المناطق الافريقية التي تقع جنوب أرجوين لمدة خمس سنوات كاملة . وذلك نظير أن يقوم جوميز بتنفيذ الشرطين التاليين : (أ) أن يدفع ٥٠٠ كروسدادو Crusados سنويًا إلى الخزانة الملكية . (ب) أن يلتزم باستكشاف ١٠٠ فرسخ سنويًا في السواحل الافريقية الواقعة جنوب أرجوين<sup>(٢)</sup> .

وقد كان من المعتقد سلفاً أن التجارة مع المناطق التي تقع وراء أرجوين عملية افتراضية قد لا تؤدي إلى تحقيق عائد مجز . ولكن جوميز لم يضيع الوقت ، ووصلت سفنه إلى سواحل غابات الأكاكان سنة ١٤٧١ م . ومن المؤكد أنه قد قام عندئذ وعلى الفور بسك كميات كبيرة من العملات الذهبية .

استغل جوميز منطقة غينيا ، وحقق ثروات طائلة . أما عمليات الاستكشافات الجغرافية فلم يكن يتوقع منها تحقيق أي عائد . ومع ذلك فلم تكن تخلو من عنصر الإثارة . وكتب قبطانة السفن التي كانت تقوم بعمليات الاستكشاف السنوية بعض التقارير التي تؤكد أن ساحل غينيا يمتد باعتدال نحو الشرق . وهذا معناه في رأيهما انهم بعد سنوات قليلة من القيام بتنفيذ المعدل السنوي للإشتراكات الجغرافية ، سيصلون إلى

(٢) الفرسخ البحري League = ٣ أميال بحرية = ٥٦ كيلومتر .

وبيتها كانت شمس امبراطورية مالي توشك على الغيب ، ظهرت إمبراطورية السونغاي كقوة جديدة تحكم في مناطق النiger الأوسط .

أسس هذه الامبراطورية الجديدة «الملك على»<sup>(١)</sup> الذي ارتقى عرشه سنة ١٤٦٤ م . وقام بالاستيلاء على مدينة تبوكتو بعد ذلك بنحو خمس سنوات ، ثم استولى على مدينة چيني بعد أربع سنوات أخرى .

وقد كان من المتوقع أن تسيطر امبراطورية السونغاي - باستيلاثها على هاتين المدينتين - على حقول الذهب بمناطق غابات الأكاكان وقولانا السوداء . ولكن هذا لم يحدث ، لأن البرتغاليين كانوا قد وصلوا أيامئذ إلى سواحل الأكاكان والمناطق الجنوبيّة المنتجة للذهب .

وكانت لدى البرتغاليين فكرة مشوشة عن المعلومات الجغرافية . فقد ظنوا أنهم قد وصلوا إلى «غانا» [أرض الذهب] في غرب افريقيا . ولكنهم كانوا يكتبون كلمة غانا Ghana بهجاء مختلف هو «غينيا» Ghuinea وعلى أيام حال فلم يعد من الصعب الآن التفرقة بين غانا وغينيا .

(١) اسمه الحقيقي «علي بر» Ali Ber وسمى فيما بعد «علي الأكبر» وأصبحت امبراطورية السونغاي في عهده يهاب جانبيها ويعمل لها ألف حساب . كما دخلت سيرة هذا الملك مجال الأساطير التي ما زالت تحكي عنه حتى الآن ضمن القصص والحكايات الشعبية التي تتردد بين قبائل السونغاي الذين مازالوا يعيشون حتى الآن على ضفاف النiger في شمال غرب دولة نيجيريا الحديثة .

[المترجم]

أما في مراكش فقد زال حكم بني مرين ، وحل محلهم ورثاؤهم الذين يتبعون إلى قبيلة الطاسيلis Wattasids وذلك بعد حرب أهلية اعطت البرتغاليين فرصة سانحة للاستيلاء على بعض المدن المغربية الواقعة على الساحل الأفريقي . وذلك في سنة 1471 م .

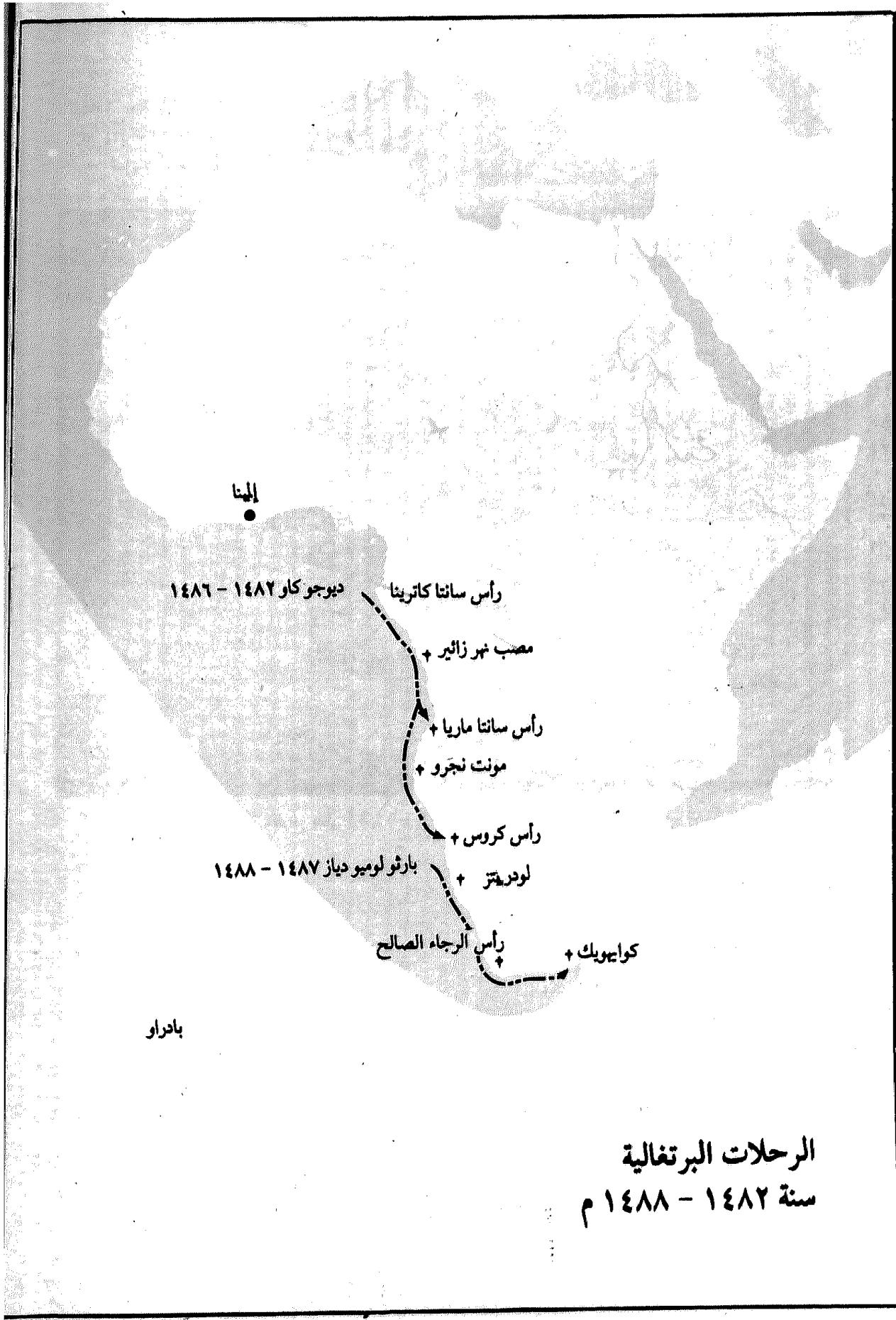
ولم يكن هذا الحكم الجديد في صالح مراكش ، أو هيأ لها مزيداً من القوة ، بل على العكس ، أصبحت مراكش وغيرها من دول المغرب على درجة كبيرة من الضعف إذا قورنت بالدولتين الأوربيتين الصاعدتين : البرتغال وأسبانيا .

المحيط الهندي ، ومنه إلى بلاد الشرق ، حيث تجارة التوابل التي تحقق ثروات طائلة .

ولكن آخر سفينة قامت برحلة استكشافية تنفيذاً للاتفاق الخاص مع جوميز ، كتبت تقريراً بأن الوصول إلى الهند بناء على هذه المعلومات لم يعد ممكناً . ذلك لأن السفينة عندما وصلت إلى جزيرة فرناندو بو Fernando po [ وهو اسم أحد قباطنة سفن جوميز ] لاحظت أن الساحل الأفريقي قد انحنى بشدة تجاه الجنوب . وحتى بعد أن وصلت السفينة إلى آخر مسافة لرحلتها ، وهي منطقة رأس سانتا كاتارينا Santa Cape Caterina كان الساحل الأفريقي مازال متوجه نحو الجنوب لمسافات أخرى .



نكورين زخرف بالواقع يغطي أرضية قاعة الاستقبال بيت قديم لأحد رؤساء القبائل بغرب أفريقيا.



## الرحلات البرتغالية بين عامي [ ١٤٨٢ - ١٤٨٨ ] م .

الاستكشافية إلى مناطق أفريقية أخرى . وبينما كانت معظم سفن الأسطول البرتغالي منهكة في تشييد إلينا ، أرسل چون الشان سفينتين من هذا الأسطول وضعاها تحت قيادة ديوجو كاو Diogo cao لاستكشاف المناطق الأفريقية التي تقع وراء رأس سانتا كاتيرينا .

وكانت هاتان السفينتان تحملان صلبانا حجرية ضخمة تسمى بادراو Padrao عليها نقوش مكتوبة تقول كيف أن الملك چون الشان قد كلف ديوجو كاو باستكشاف هذه الأرضي . وذلك في سنة ٦٦٨١ من خلق العالم ، الموافقة لسنة ١٤٨٢ بعد ميلاد المسيح . وقد استخدمت هذه الصلبان الحجرية كعلامة لأهم الواقع التي وصلت إليها البعثات الاستكشافية البرتغالية .

وفي منتصف صيف سنة ١٤٨٣ م وبعد أن تجاوز ديوجو كاو رأس سانتا كاتيرينا ، وصل إلى منطقة مصب نهر زائير . وهناك وضع كاو أول صلبانه الحجرية . أما الصليب الحجري الشان فقد نصبه في أبعد نقطة وصل إليها وهي منطقة رأس سانتا ماريا Cape Santa Maria التي تبعد بنحو ٦٠٠ ميل تجاه الجنوب ، ليعلن أنه قد وصل إلى آخر أفريقيا ، ووجد الطريق أخيراً إلى الجزر الهندية .

وربما يرجع هذا الاعتقاد الخاطئ إلى المعاناة التي صادفها في رحلة استمرت لفترة طويلة من الابحار في بحار غامضة مجهولة . وعلى

توقف الرحلات الاستكشافية البرتغالية بعد انتهاء الاتفاق مع جوميز لفترة بسيطة ، إلى أن ارتقى جون الثان عرش البرتغال وقرر أن يحرك الأمور من جديد .

وفي سنة ١٤٨١ م خرج من لشبونة أسطول ضخم من السفن البرتغالية وعليه مجموعة من عمال البناء والنجارين ، وفرقة من الجيش . وكانت مهمة هذا الأسطول الوصول إلى سواحل الأكان واختيار موقع مناسب لبناء قلعة عسكرية مجهزة بكل المعدات .

وفي نهاية سنة ١٤٨٢ م أنهى البرتغاليون من تشييد قلعتهم . ونظرًا لأن الملك جون الثان كان يظن أن الذهب في تلك المنطقة يستخرج من «الماجم» [ وهو ظن خاطيء لأن الذهب في تلك المنطقة كان يوجد على شكل رواسب بالتربة ] فقد أطلق على هذا الموقع اسم «ساو چوريج ده مينا » Sao Jorge Da Mina [ أي سان چوريج راعى الماجم ] وهو اسم طويل اختصر فيها بعد وأصبح «إلينيا » Elmina . وكانت القلعة الحربية التي شيدتها البرتغاليون في هذا الموقع ، هي أول موطن قدم لأوروبا في مناطق أفريقيا السوداء .

وقد شيدت هذه القلعة في الأصل لتوارد سلطة البرتغال وسيادتها على هذه المنطقة ، وللدفاع عن المنطقة ضد أي أجنبى قد يفكرون في اغتنام أي شيء من المناطق التي استكشفتها البرتغال أو وصلت إليها . كذلك فقد عمل جون الشان على توسيع وامتداد الرحلات

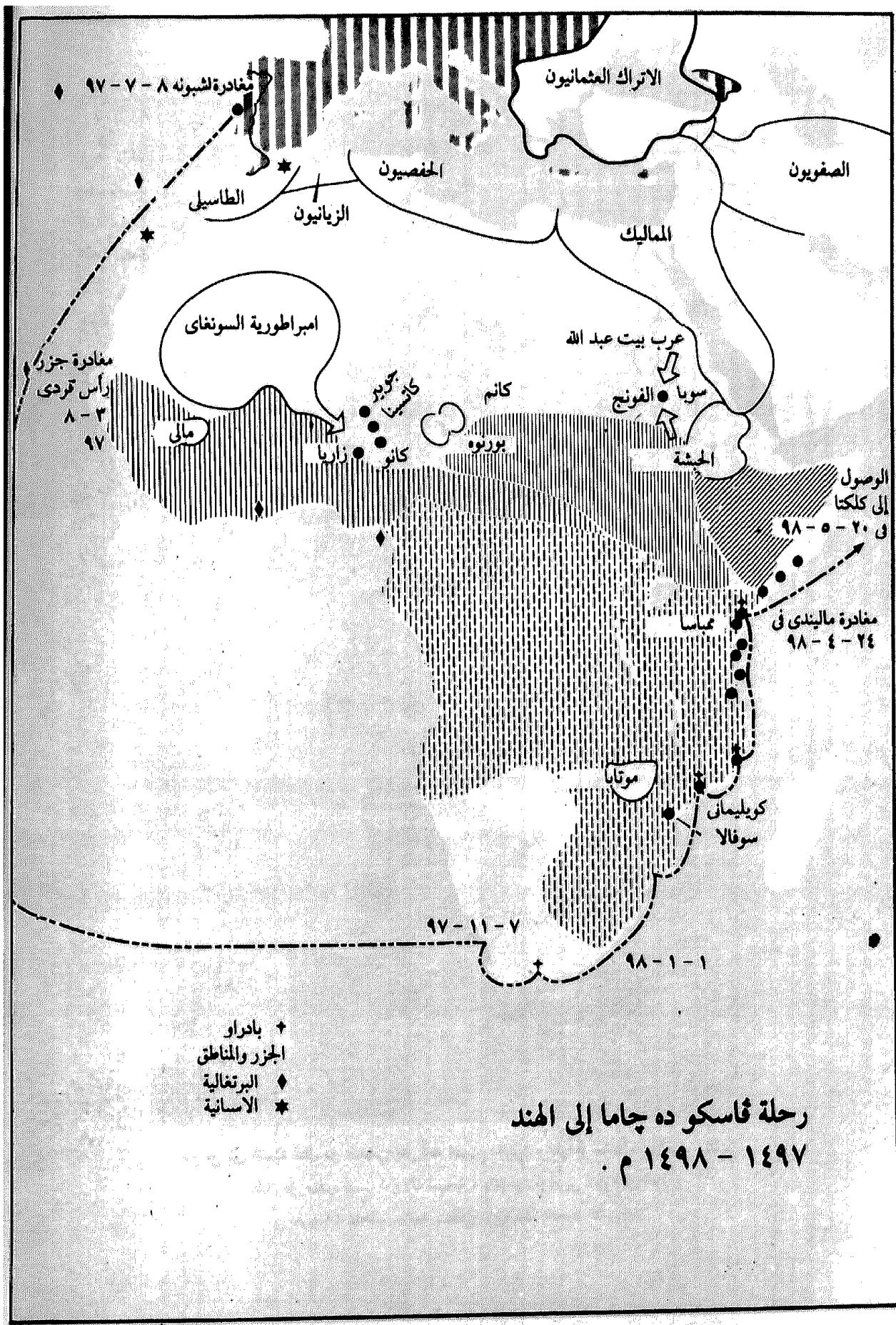
أية حال فقد تبين ديوجو كاو خطأه عندما قام برحلته التالية . وهي الرحلة التي قام فيها بالترغل في المناطق الداخلية بأعلى نهر زائير ، حيث قابل ملك الكونغو . وكانت مملكته تعتبر أقوى مملكة في تلك المنطقة من أفريقيا .

وبعد تلك الزيارة ، عاود كاو إبحاره متبعاً تعرجات الساحل الأفريقي . ورغم كثرة هذه التعرجات والتسميات الأرضية الداخلية في البحر ، كان الساحل محافظاً على اتجاهه الرئيسي نحو الجنوب . ومات ديوجو كاو قرب المكان الذي نصب فيه الصليب الحجري الرابع ، وهو

النتوء الجبلي الذي ما زال حتى الآن يسمى رأس الصليب Cape Cross .  
ولكن موت ديوجو كاو لم يدفع الملك چون الثاني إلى اليأس ، وأمر بتجهيز رحلة استكشافية أخرى بقيادة قبطان جديد هو : بارثولوميو دياز Bartholomew Dias الذي تمكّن أخيراً من الدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨م ، إلى أن وصل إلى نهر السمك الأكبر Great Fish River وأراد أن يواصل الرحيل ، إلا أن رجاله اقنعواه بالاكتفاء بذلك والعودة إلى الوطن . وهكذا تم اكتشاف وفتح الطريق إلى المحيط الهندي .



من فن القديمة غالٍ من التحاس يمثل أحد الصناع الحرفيين «نجاراً أو حداداً» . والصلب الذي يتسلل على صدره ليست له دلالة مسيحية ، وإنما هو رمز أفريق قديم لعلن العالم .  
من معارضات متحف جامعه بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



## رحلة فاسكو ده چاما إلى الهند

[ ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م ]

العرض الذي تقع عليه رأس الرجاء الصالح .  
وفي سنة ١٤٩٧ م أصبح الاسطول جاهزاً  
للقيام بالرحلة المرتقبة إلى الهند . ولكن لسوء  
حظ دياز ، انه كان يتمنى إلى أسرة من أصل  
متواضع ، في الوقت الذي كانت ترى فيه  
الارستقراطية البرتغالية أنها أحق بتنقل قيادة هذه  
الرحلة التاريخية الحاسمة . وعلى ذلك فقد اختار  
الملك أحد رجال حاشيته ليقوم بقيادة هذه  
الرحلة ، وكان اسمه فاسكو ده چاما .

وقد أتبع فاسكو ده چاما خط سير الرحلة  
طبقاً للخطة التي وضعها دياز ، رغم أن أول  
أرض شاهدها بعد الرحلة الطويلة المضنية كانت  
بعد بنحو مائة ميل شمال رأس الرجاء  
الصالح . ومع ذلك فقد اعتبرت تلك الرحلة  
البحرية التي قام بها فاسكو ده چاما ، أطول رحلة  
قامت بها السفن الشراعية حتى ذلك الزمن في  
أعلى البحار . وبالرغم من أن هذه الرحلة قد  
استغرقت ثلاثة أشهر منذ أن غادر ده چاما جزر  
رأس ثيرو Cap Verde [ جزر الرأس  
الأخضر ] ، إلا أنها اختصرت الزمن الذي كان  
مفترضاً لإنتمامها إلى النصف .

وبعد أن دار ده چاما حول رأس الرجاء  
الصالح ، تعطمت أكبر سفينة في اسطوله ، فقام  
بتوزيع معداتها وتجهيزاتها على السفن الثلاث  
المتبقية ، وواصل الإبحار محاذياً السواحل  
الشرقية لأفريقيا . ولكنه لم يتثنى إلى وجود أول  
الموانئ التجارية العربية في سوفالا ، فواصل

بالرغم من أن بارثولوميو دياز قد عثر أخيراً  
على طريق الدوران حول أفريقيا ، إلا أن أحداً  
من البرتغاليين لم يكن يتصور أن هذا الطريق على  
مثل هذا القدر من الطول . ولذلك فقد ثارت  
لدى البرتغاليين عدة تساؤلات : ما جدوى هذا  
الاكتشاف بالنسبة لهم؟ .. وهل يمكن أن تكون  
ثمة مغامن تبرر نفقات الرحلات البحرية عبر كل  
هذه المسافات الطويلة؟

حسمت الاجابة على كل هذه التساؤلات  
ما سمعته البرتغال من أخبار الرحلة البحرية  
الأولى التي قام بها كريستوفر كولومبوس ، والمغامن  
التي أتت بها إلى إسبانيا من وراء المحيط  
الاطلنطي . فإذا كانت إسبانيا ستتجنى الثروات  
الطاويلة من وراء المحيط ، فإن البرتغال لابد أيضاً  
أن تجرب حظها .

غير أن الوقت الذي ضيّعته البرتغال في مثل  
هذه التساؤلات لم يكن عبثاً ، فقد تم تكليف  
دياز بالاشراف على بناء اسطول صغير مكون من  
أربع سفن جديدة ، وتجهيزها واعدادها للقيام  
بالرحلة البرتغالية المرتقبة إلى الهند . كما وضع  
دياز خطة ابحار جديدة لتحديد خط سير الرحلة  
البحرية عبر طريق جديد على شكل ضلعى مثلث  
يربط ما بين سواحل البرتغال ومنطقة رأس  
الرجاء الصالح . وقد وضعت هذه الخطة على  
أساس استغلال اتجاهات هبوب الرياح في  
المناطق المختلفة من المحيط الاطلنطي حيث تهب  
الرياح الشمالية الشرقية في مناطق وسط  
الاطلنطي ، وتهب الرياح الغربية في منطقة خط

سويا النوبية . ولكن عندما عاد ده چاما من رحلته كانت إحدى هاتين الملكتين قد سقطت . فقد قام « عرب بيت عبد الله » بالاستيلاء على سويا .

[وهم عشيرة تنتمي إلى قبيلة عرب جهينه التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية ومركّزت في المناطق الشمالية الشرقية في أفريقيا خلال القرن الرابع عشر ، ثم بدأت في الزحف نحو مناطق أخرى في أفريقيا بعد ذلك ] .

غير أن عرب بيت عبد الله قد اصطدموا بقبيلة الفونج Funj التي تعتنق ديانة غير سماوية ، والتي كانت تعيش بالمناطق المتاخمة لحدود الجبشتة ، ثم بدأت في تلك الفترة زحفها لتعيش على ضفاف النيل الأزرق .

وتجدر الاشارة أيضاً إلى الغزوّات التي قام بها الملك محمد<sup>(٢)</sup> ملك السونغاي ، واستولى بها على ثلاثة من المدن الأربع الرئيسية التي أنشأها قبائل الهوسا ، وهي مدن : جوير ، وكاتسيينا ، وزايرا ، كما فرض جزية ثقيلة على المدينة الرابعة [ كانو ] وهي أكبر هذه المدن .

الابحار حتى وصل إلى المركز التجاري العربي التالي في كويليمان Quelimane . وبهذا ارتبطت البرتغال لأول مرة بالنظام التجاري الذي كان سائداً آنذاك في مناطق شرق أفريقيا .

وقد كان العرب الذين التقى بهم ده چاما عدائيين بلا سبب مفهوم ، ولكن سوء علاقاته مع ملك مومباسا Mombasa جعلته صديقاً عزيزاً لدى ملك ماليندي Malindi الذي وافق على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحري يرشدها إلى طريق الابحار نحو الهند<sup>(١)</sup> . وكافأ ده چاما مدينة ماليندي على ذلك ، بأن أقام فيها آخر صلبة الحجرية . وفي غضون نحو أربعة أسابيع ، وصلت السفن البرتغالية إلى الهند ، وبدأت في شحن عنايرها بأنواع مختلفة من التوابيل . وقد انقضت عشرة شهور منذ خروج السفن البرتغالية من ميناء لشبونة بالبرتغال حتى وصلت إلى الهند ، وعليها الآن أن تقضي عشرة شهور أخرى حتى تعود إلى وطنها من جديد .

وفي الوقت الذي وصل فاسكو دما چاما إلى أفريقيا لأول مرة ، كانت هناك مملكتان فقط تدينان بال المسيحية ، وهما مملكة الجبشتة ومملكة

### الملاحة ووصف الطرق البحريّة المعروفة .

٦ المترجم [ ] .

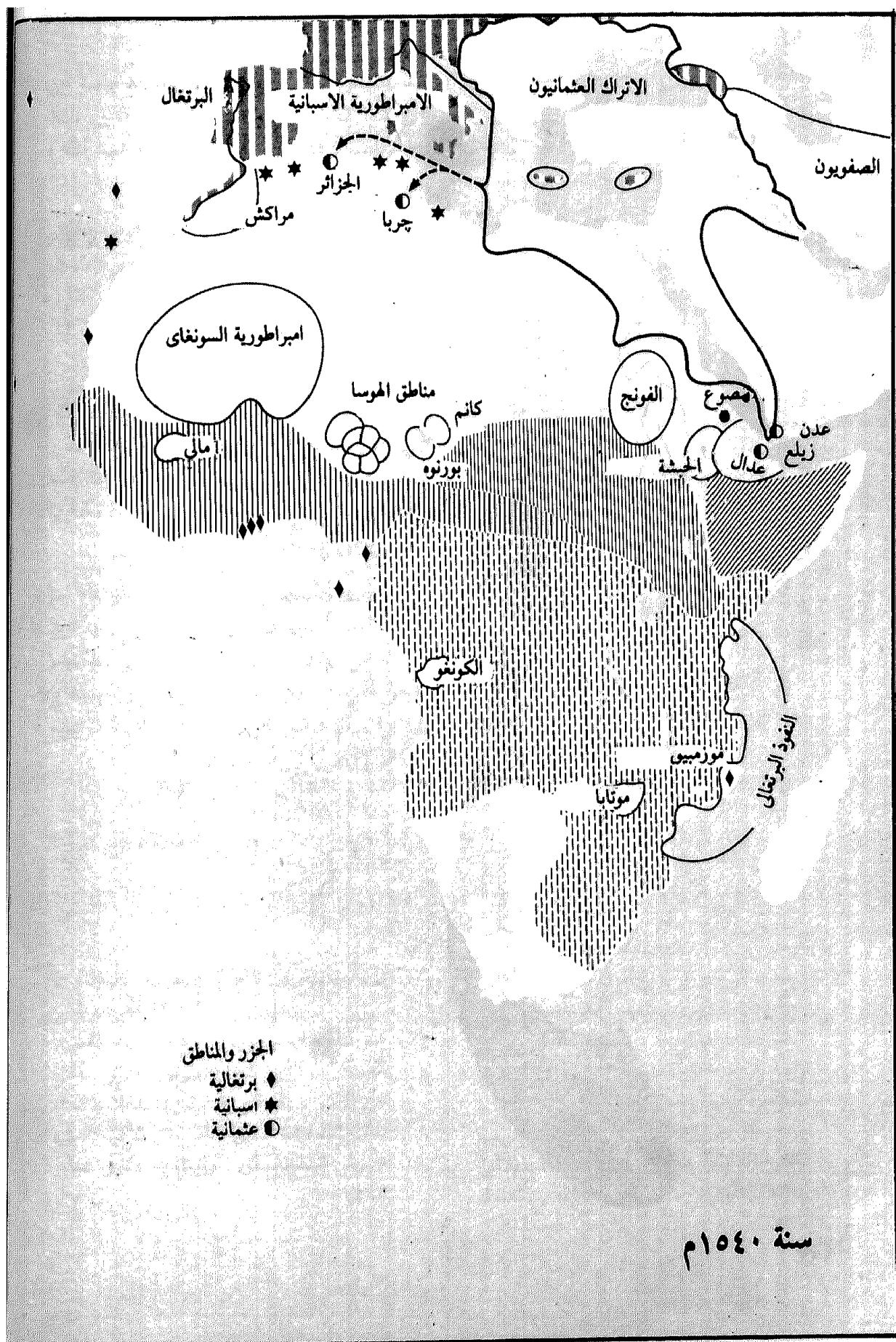
(٢) هو الملك محمد توري ، وكان أحد القواد العسكريين الذين كانوا يعملون في جيش الملك على الأكبر . وقد قام محمد توري بانقلاب ضد الملك الضعيف الذي خلف على الأكبر على عرش السونغاي . وكان ذلك في عام ١٤٩٣ . [ المترجم ] .

(١) لم يشر المؤلف إلى أن هذا المرشد البحري كان عربياً اسمه شهاب الدين أحد المعروف باسم « ابن ماجد الملاح » . رغم أن المعلومات التي أعطاهما هذا المرشد كانت السبب الرئيسي المباشر لوصول السفن البرتغالية إلى الهند . وعلى آية حال فقد ولد ابن ماجد في الجزيرة العربية ، وكان عقيرياً استطاع أن يؤلف ثلاثة كتاباً في البحريّة ، تناول فيها بالتفصيل أصول



سيف من الحديد مزخرف بأشكال فهود  
مصنوعة من النحاس . كان يعتبر رمزاً  
لسلطة ملوك بنين القدماء على رقاب  
الناس .

من معارضات المتحف القومي  
بكونيغسبرغ بالدنمارك .



برقه والمناطق المحيطة بها ، كما تم مد الحدود المصرية من الجندي الأول حتى الجندي الثالث بجري النيل . كما قام العثمانيون أيضاً بالسيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حيث أقاموا حامية عسكرية في زيلع سنة ١٥٢٠ . وحامية عسكرية أخرى في عدن سنة ١٥٣٨ م . كما أمدوا سلطان ع DAL بمعادات حربية ويفرقه من الفرسان ساعدته في تحقيق النصر ضد الأحباس ، حتى اضطر ملك الحبشة إلى الفرار من جبل إلى آخر أمام زحف المسلمين الذين أخذوا يستولون على العديد من مناطق المرتفعات الحبشية .

وكانت هذه الأوضاع ان تدفع البرتغال إلى حافة اليأس . برغم أن البرتغال قد احتفظت بسيادتها على المدن العربية التجارية الواقعة على سواحل شرق إفريقيا ، وذلك اعتماداً على قوتها البحرية أساساً ، وعلى قليل من القوات البرية بصفة ثانية . ومع ذلك فقد كانت البرتغال في حاجة ماسة إلى وجود حليف إفريقي يساندها في تعزيز قوتها وتدعيم مركزها .

وقد كان من الطبيعي ان تفك البرتغال في الملكة المسيحية بالحبشة للقيام بدور هذا الحليف . بل وكانت لدى البرتغاليين فكرة خاطئة عن الحبشة ، حيث كانوا يظنون أنهم قد عثروا على «ملكة برستر چون Prester John Kingdom» التي انتشرت عنه الأساطير في القرون الوسطى بأنه كان يقع الرعب في قلوب المسلمين . وعلى أية حال فقد فطن البرتغاليون إلى أن هذه الملكة لم تكن قائمة في الواقع ، بل ولم يتم تحقق لها وجود من قبل .

لا شك أن الرحلات الاستكشافية التي قام بها كل من كريستوفر كولومبوس ، وفاسكو ده چاما قد فتحت أرجاء العالم . وما كاد القرن الخامس عشر أن ينتهي ، وبدأ شروق القرن الجديد ، حتى دخل العالم دائرة التاريخ الحديث ، خارجاً من مرحلة العصور الوسطى .

ومع ذلك فقد ظلت عقلية العصور الوسطى مسيطرة لفترة طويلة تالية ، حيث ظل «الدين» هو المحرك الأكبر لشنون السياسة الخارجية ، وظل الصراع العنيف قائماً بين المسيحية والإسلام ، ممثلاً في الحملات «الصلبية» ضد المسلمين ، وفي «جهاد» المسلمين ضد المسيحيين .

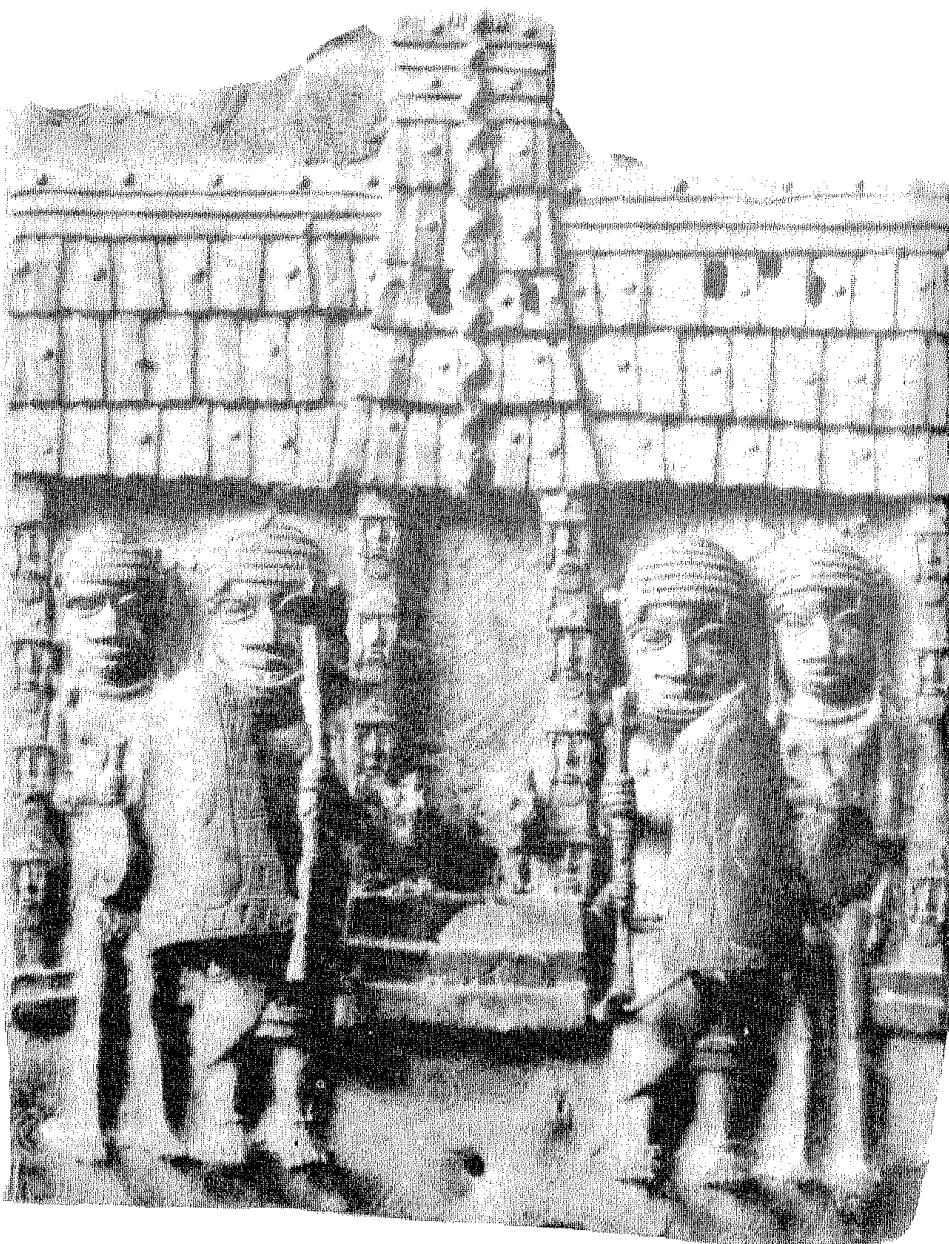
وفي القرن السادس عشر لحقت بالجيوش المسيحية هزائم نكراء متكررة ومستمرة . فقد اكتسحت جيوش الأتراك العثمانيين مناطق جنوب شرق أوروبا . وقد ازدادت قوة هذه الجيوش بعد أن ضم الأتراك إمبراطورية المماليك في مصر والشام بين عامي ١٥١٦ - ١٥١٧ م .

أما في مناطق شمال غرب إفريقيا ، فقد تدخل الأتراك العثمانيون بقوتهم لفرض أوضاع سياسية جديدة على تلك المناطق التي كان متصولاً من قبل من أنها أصبحت لقمة سائفة للدولة المسيحية في إسبانيا . وفي النهاية أصبحت تلك المناطق التي كانت تسمى من قبل بنوع من الفوضى السياسية ، مناطق صراع مرير بين المسيحية والإسلام .

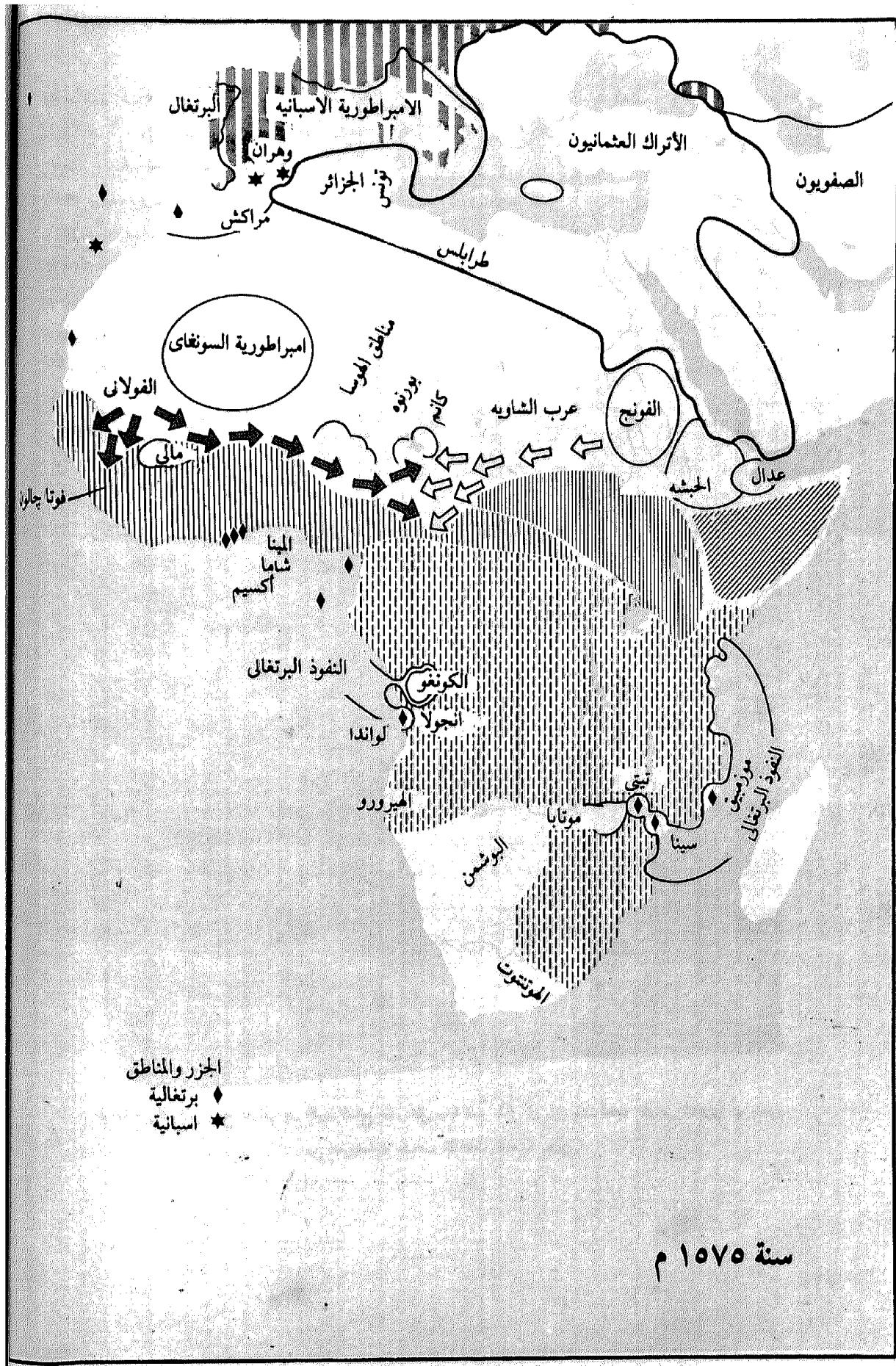
وقامت الإمبراطورية العثمانية بتوسيع رقة المناطق العربية والأفريقية التي كانت تحت سيطرة ونفوذ إمبراطورية المماليك ، فتم الاستيلاء على

أما بالنسبة لمملكة سويا ، فقد ذكرنا أن عرب بيت عبد الله قد احتلوها في نهاية القرن الخامس عشر . ولكنهم انهزوا أمام قبيلة الفونج في مطلع القرن السادس عشر . واعقب ذلك حدوث نوع من التوازن بين العرب والfonج ، حيث أصبح النصف الشمالي من مملكة الفونج خاصياً لحكم العرب ، أما النصف الجنوبي فما يصبح خاصياً لملك من الفونج . وقد أدى تحول الفونج بعد ذلك إلى الإسلام ، إلى تقوية مملكة الفونج بقسميها .

ومع ذلك وحتى لا يعتقد البرتغاليون أن طموحاتهم قد انهارت تماماً ، فقد اضطروا إلى ما ليس منه بد ، وهو إزالة قواتهم البرية على الشاطئ لاحتلال الأرض وإقامة الحاميات العسكرية . وفي سنة ١٥٤١ م أُنزل البرتغاليون جيشاً صغيراً مكوناً من ٤٠٠ مقاتل تحت قيادة كريستوفر ده چاما [ ابن فاسكو د چاما ] . وعسكر هذا الجيش بمنطقة مصوع التي تطل على جنوب البحر الأحمر .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تمثل بوابة قصر ملكي في بنين يقف أمامه الحراس شاهري أسلحتهم من معارضات متحف الثقافات الشعبية برلين.



سنة ١٥٧٥ م

وعلى هذا الاساس لم تثمر الوصاية السياسية التي فرضتها البرتغال على مملكة الكونغو بآى نفع يعود على البرتغال أو على مملكة الكونغو نفسها . أما بالنسبة لنفوذ البرتغال في مناطق شرق أفريقيا ، فقد ظل الوضع كما هو من حيث سيطرة البرتغال على المدن التجارية العربية بسواحل شرق أفريقيا . ولكن المسلمين الذين كانوا يعيشون في تلك المدن ، والذين قبلوا سيادة البرتغال على مضمض ، ظلوا متمسكين بالإسلام .

أما قبائل البانتو الذين كانوا يعيشون بالمناطق الداخلية ، فقد ظلوا على حاليهم ، ولم يتأثروا لا بالاسلام ولا بال المسيحية .

ونشير إلى أن القوات المسلحة التي أنزلتها البرتغال بمختلف المناطق الأفريقية كانت قليلة ، ولا تعدل جياعها ألف جندي ، متفرقين في العديد من القلاع التي أنشأتها البرتغال في إيمينا وأكسيم Axim [بنيت سنة ١٥٠٣ م] وشاما Shama [بنيت سنة ١٥٢٦ م] . وهي القلاع الثلاث التي أقامتها البرتغال بسواحل الأكوان . وكذا قلعة لواندا Luanda [بنيت سنة ١٥٧٥ م] في إقليم انجولا . وقلعى تيبي Tete وسينينا [بنيتا سنة ١٥٧٢ م] في منطقة نهر زامبيزى . وكذا القلعة الحصينة التي كانت البرتغال قد أقامتها سنة ١٥٠٨ م ، بموزمبيق التي اعتبرت خمية برتغالية في شرق أفريقيا .

ولكن التجار والمبشرين البرتغاليين كانوا أكثر نشاطاً ، فقد تغلغلوا في المناطق الداخلية لسواحل غينيا ، وضفاف نهر زائير وزامبيزى . وكان عدد هؤلاء التجار والمبشرين لا يتجاوز

تعرضت الحملة العسكرية التي حاولت بها البرتغال مساعدة حليفها المسيحية في مملكة الحبشة لهزيمة منكرة في أول الأمر . حيث قتل قائدتها ومعه نصف عدد الجنود . ولكن في العام التالي استطاع البرتغاليون أن يحققوا نصراً حاسماً على جيش سلطان عدال ، الأمر الذي مكن ملك الحبشة من استعادة مملكته والمناطق التي كانت قد سلبت منها . كما ترك البرتغاليون بعض قواتهم لمؤازرة ملك الحبشة وتعزيز قواته .

وكان رد الفعل بالنسبة للعثمانيين أن قاموا بالهجوم على مصوع واحتلواها سنة ١٥٥٧ م . وبذلك قطعوا الطريق على آلية إمدادات برتغالية يمكن أن تصل إلى الحبشة .

أما في منطقة البحر المتوسط فقد كان العثمانيون مطلقو اليد ، إذ قاموا بطرد الأسبان من إقليم تريليانيا [طرابلس] سنة ١٥٥١ م ، ومن منطقة الجزائر [بر وهران] سنة ١٥٥٥ م ، ومن منطقة تونس سنة ١٥٧٤ م .

أما بالنسبة لمناطق افريقيا السوداء ، فلم تتحقق المسيحية كثيراً من النجاح . وبالرغم من أن ملك الكونغو قد قبل أن يعمد كمسيحي ، فلا يمكن القول بأن المملكة نفسها قد تحولت إلى مملكة مسيحية ، أو أن المسيحية قد أصبحت الديانة السائدة بين شعب المملكة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن مناطق افريقيا السوداء كانت تقبل الديانات الجديدة [الاسلام أو المسيحية] على أساس أنها ديانة اضافية إلى جانب الرصيد الضخم المتواصل في نفوس الأفريقيين من العقائد والمعتقدات المحلية .

الشاوية Shuwa التي كانت تزحف بدورها إلى مناطق الساحل العشبي بجنوب الصحراء ولكن في الاتجاه المضاد .

وعرب الشاوية هؤلاء كانوا آخر موجة من القبائل العربية التي كانت تعيش في صعيد مصر ، ثم زحفت نحو مناطق السودان . والملحوظ أن هذه القبائل العربية قد فقدت عرويتها بمرور الوقت ، بل ولم يعد لها منعرويتها سوى اللغة العربية ، وأصبحت ترعى المواشي بدلاً من رعي الجمال . كما أصبحت ملائهما العامة وعاداتهم وطرق سلوكهم مماثلة للشعوب النيلية الصحراوية التي كانت تعيش أصلاً في تلك المناطق الأفريقية .

وأخيراً نشير إلى اكتمال زحف شعوب البانتو نحو مناطق جنوب القارة ، بوصول قبيلة المريخ و Hereros إلى منطقة شمال غرب Namibia .

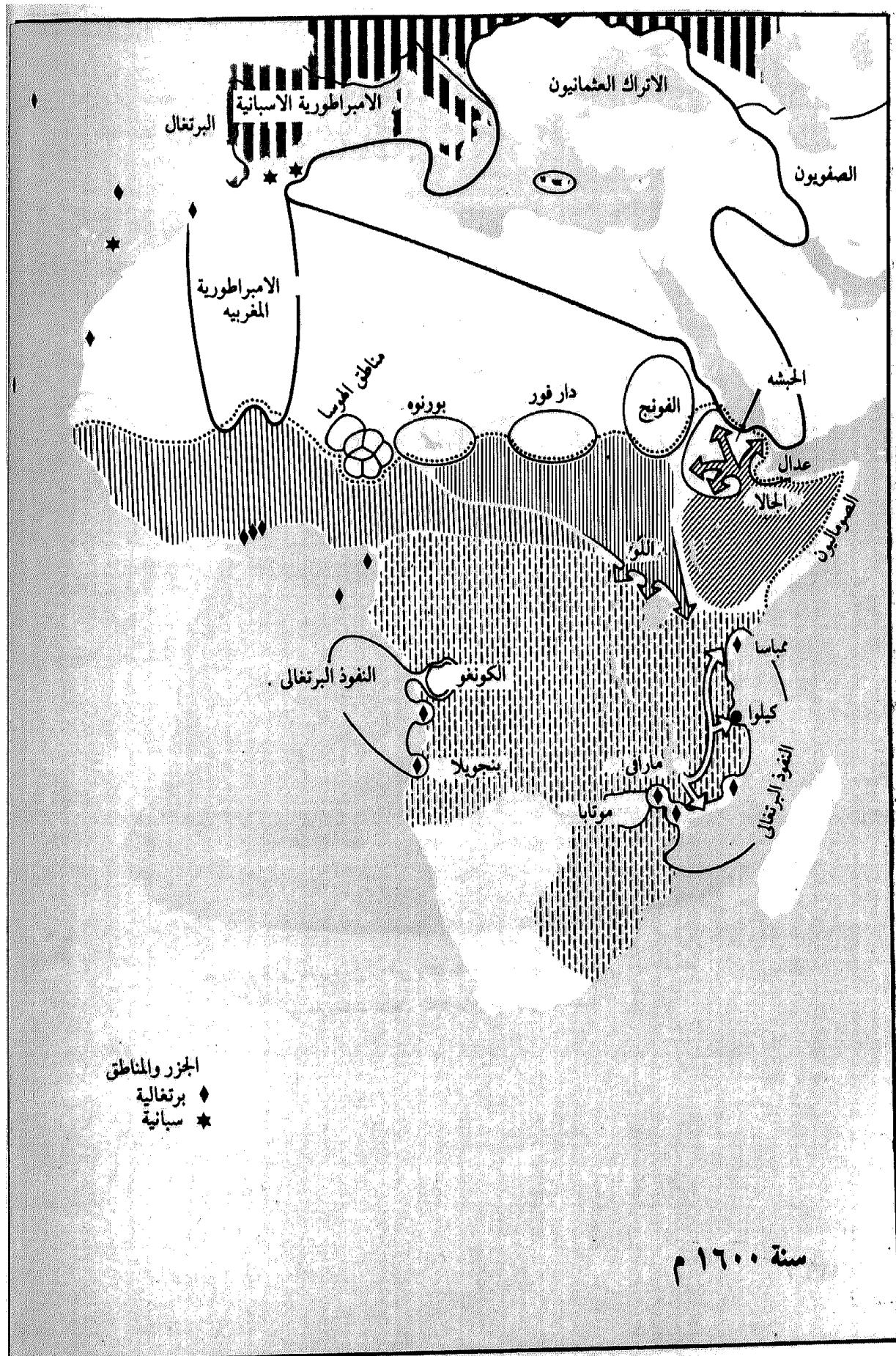
الألف أيضاً خلال القرن السادس عشر .

وفي حقيقة الأمر يمكن القول بأن الرحلات الاستكشافية التي قامت بها البرتغال ، فتحت أمامها الطريق إلى الكثير من الأرياح والمغامن . ولكن الأغلبية العظمى من هذه الأرياح والمغامن لم تكن في إفريقيا ، بقدر ما كانت في المناطق الجديدة التي أخذت البرتغال تتطلع إليها ، في الهند واندونيسيا والصين واليابان .

أما بالنسبة للمناطق الداخلية بقلب القارة ، فقد بلغت تقلبات وهجرات القبائل ذروة نشاطها خلال القرن السادس عشر . فقد قامت قبائل الفولان [ وكانت قبائل بدوية تعرف رعي القطعان وتعيش على ضفاف نهر السنغال ] بالزحف نحو الشرق ، وانتشرت في منطقة نهر النيجر الأوسط حيث وصلت إلى منطقة فوتاجالون Futa Jallon ثم واصلت انتشارها نحو الشرق حتى وصلت إلى مناطق جنوب بحيرة تشاد . وهناك احتلت وامرتzigت مع قبيلة عرب



خطة قديم للرأس مصنوع من النحاس وكان مثله شائع الاستعمال بين محاربي بنين القدماء .  
من مجموعات متحف الثقافات الشعبية بقينا بالنسما .



قليلة جداً من جيشهما الذي كان يصل تعداده إلى ٢٦,٠٠٠ جندي . كما وقعت البرتغال نفسها - على مدى جيل كامل - تحت سيطرة إسبانيا .

أما مراكش فقد خرجت من المعركة وقد اكتسبت مزيداً من القوة التي أهلتها لعدم الوقوع في قبضة الاتراك . كما أن الأمير الجديد الذي تولى عرش ملوكها أطلق على نفسه لقب المنصور ، وكانت له طموحات عسكرية .

وفي سنة ١٥٩٠ م ، ضد نصيحة إجماعية من جانب وزرائه ، نظم المنصور حملة حربية لغزو مملكة السنونجاي جنوب الصحراء . ويبدو أن المنصور كان على دراية واسعة بفن نقل الجنود وكيفية تزويدهم بالعتاد والمؤن الازمة لاختراق الصحراء عبر كل تلك المسافة الطويلة . ذلك لأن الجيش الذي أعده كان لا يزيد عدده عن ٥,٠٠٠ جندي عندما خرج من مراكش في أكتوبر ١٥٩٠ م ، ولم يصل سوى نصفه فقط إلى نهر النيل بعد رحلة شاقة مضنية استغرقت أربعة شهور . ومع ذلك فقد كان هذا الجيش كافياً لتشتيت جيش السنونجاي ، وضمها كاقليم تابع لامبراطورية المنصور . وسرعان ما امتلأت خزانة مراكش بسبائك الذهب .

أما مناطق شرق أفريقيا في تاريخ هذه الخريطة ، فقد كانت حافلة بنشاط جم في عمليات انتشار القبائل . فمن ناحية ، زحفت قبائل اللوو [Luo] وهم من الرعاة الذين يتضمنون إلى الشعوب النيلية الصحراوية [ إلى مناطق أعلى النيل الأبيض والشواطئ الشمالية لبحيرة فيكتوريا .

كذلك حدث زحف آخر من منطقة

بينما كان الصراع الحربي بين الاتراك والاسبان على أشده في مناطق البحر المتوسط . كان هناك صراع حربي مماثل - وإن كان أخصى نطاقاً - بين البرتغال ومراكش . وكانت كفة البرتاليين هي الراجحة على أساس أن قوتهم البحرية كانت تعطيهم فرصة المبادرة في اختيار الوقت والمكان للدخول في المعارك الحربية . ونتيجة لذلك ، كانت البرتغال في خلال القرن السادس عشر ، تسيطر على مساحة من السواحل المغاربية مماثلة تقريباً للمساحة التي تسيطر عليها مراكش من هذه السواحل .

وفي سنة ١٥٧٨ م ، حاولت البرتغال تحسين أوضاعها في مراكش . فأرسلت أكبر جيش أخرجه البرتغال من أرضها حتى ذلك الزمن . ونزل الجيش بسواحل مراكش ، وكان بقيادة الملك نفسه ، وفي معيته أحد الأمراء المغاربة المطالبين بعرش مراكش . وكانت خطة البرتغال أن تجعل من مراكش دولة تدور في فلكها ، كما تتخذها قاعدة للهجوم على الاتراك وطردهم من سواحل شمال أفريقيا .

وسرعان ما نشب المعركة بين البرتاليين والمغاربة وهي المعركة المعروفة باسم معركة الكزار الكبير Alcazar El Kebir والمشهورة باسم معركة الملوك الثلاثة ، وسميت كذلك لأن كلّاً من ملك البرتغال والسلطان المطالب بعرش مراكش قد قتل أثناء المعركة ، كما أن ملك المغرب نفسه كان قد أصيب بالحمى ومات أثناء الحرب .

وتعتبر نتيجة هذه المعركة أكبر كارثة مدمرة أصابت بها البرتغال ، فلم تكتب النجا إلا لقلة

السبب الذي يدفع البدو الرعاء دائمًا إلى الانتقال إلى المناطق العشبية . كما أن قبائل الجالا تعتبر أولاد عمومة للقبائل الصومالية ، والفارق الوحيد بينها أن هذه القبائل الأخيرة كانت تدين بالاسلام ، بينما كانت قبائل الجالا تعيش على الفطرة والمعتقدات الوثنية .

أما في المنطقة الواقعة بين النيل الأبيض وبحيرة تشاد ، فقد ظهرت سلطنة جديدة هي سلطنة دارفور . وكان سلطانها من العرب المسلمين ، أما الرعية [ وهو يتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية ] فلم يكن من المؤكد على وجه اليقين مدى اعتنائهم للإسلام .

وفي منطقة بحيرة تشاد ظهر حاكم قوي هو السلطان ادريس علومه<sup>(١)</sup> ملك بورنوه [ أو أرض نوح ] وقد استفاد من التجربة التي سبقة إليها المنصور ، فقام بتجهيز فرقة من الفرسان استقدمها من إقليم طرابلس ، واستخدمها في الاستيلاء على مملكة كائم .

مارافي Maravi قالت به قبائل الزعبا Zimba ، وهي قبائل بدائية شرسة من أكلة لحوم البشر ، أوقعت الرعب في جميع مدن ومناطق الساحل الشرقي ، حتى وصلت إلى ماليendi ، ونهبت مومباسا في سنة ١٥٨٩ م ، الأمر الذي سهل للبرتغاليين فرصة السيطرة على هذه المناطق التي كانت قد واجهت فيها مقاومة اسلامية .

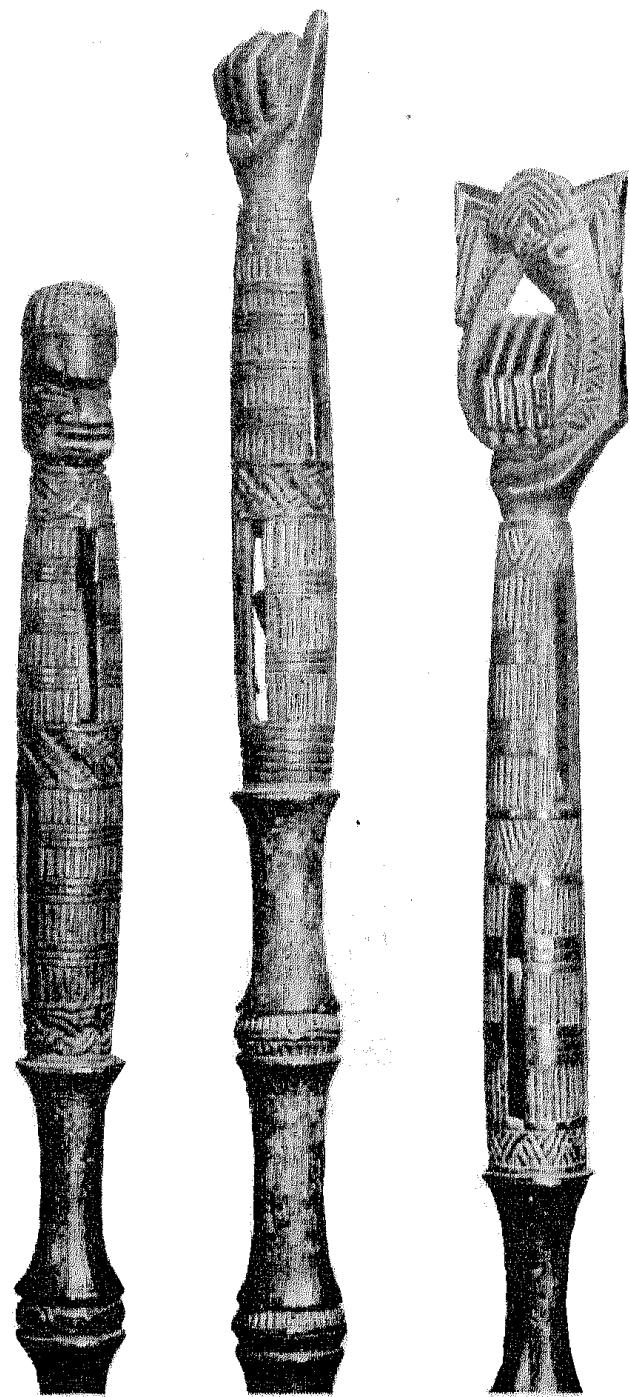
أما في منطقة القرن الافريقي ، فقد حدث زحف آخر قامت به قبائل الجالا Galla التي كانت تعيش في إقليم أوجادين Ogaden بالمنطقة الصحراوية داخل القرن الافريقي . فقد انتشرت هذه القبائل تجاه الغرب ، واكتسحت مملكة ع DAL وملكة الحبشة .

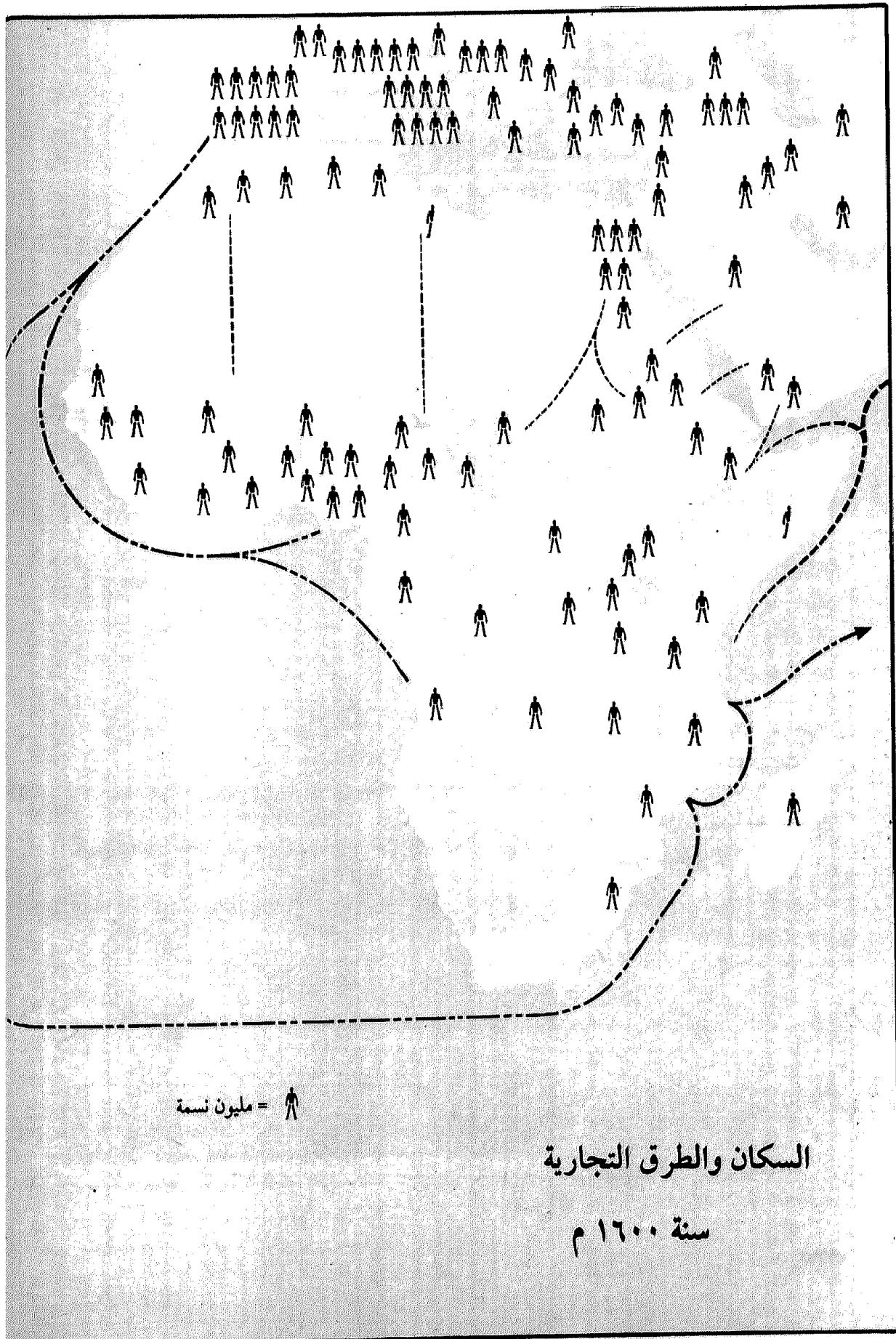
وقد كان من المعتقد أن قبائل الجالا قد قات بالهجرة بسبب ضغط من القبائل الصومالية التي تعيش على سواحل القرن والتي كانت تدين بالاسلام في تاريخ هذه الخريطة . ولكن المرجح أن سبب هجرة وزحف قبائل الجالا هو نفس

يعتبر أول جيش افريقي يعتمد في تسليحه على النار والبارود ، في حين كانت الجيوش الأخرى ما زالت تستعمل الاسلحة الافريقية التقليدية كالسهام والرماح والخواب . [ المترجم ] .

(١) يعتبر ادريس علومه من أشهر الملوك [ الملك ] في تاريخ بورنوه . وقام بتأسيس أرقى جيش ظهر في مملك وأمبراطوريات افريقيا السوداء . ولم يكن لهذا الجيش مثيل بين كل الجيوش الافريقية ، إذ

صواليات قديمة للدلالة على النبلة  
والملكية كانت مستخدمة في مملكة بنين  
القديمة .  
من مجموعات متحف التاريخ  
الوطني بنيجا.





## السكان والطرق التجارية

سنة ١٦٠٠

كل هذه الواردات ، لم تكن لديهم للتصدير سوى سلعة واحدة على أكبر قدر من الأهمية وهي الذهب . وتليه في الأهمية سلعة أخرى هي العبيد . وكان العالم العربي آنذاك يعتبر السوق التقليدية لشراء العبيد خصوصاً من الجواري الأناث اللاتي كان يستخدمن في الأعمال المنزلية .

ويمكن القول بصفة عامة أن تجارة الذهب والعبيد كانت تمثل نحو ٩٠٪ من صادرات أفريقيا في ذلك الزمن ، أما النسبة الباقي فتتمثل في تجارة العاج .

وفي ذلك الزمن لم تكن في أوروبا مجالات مناسبة للاستفادة من نظام استخدام العبيد ، لدرجة أن البرتغاليين عندما حاولوا تسويق العبيد الأفارقة في أوروبا ، لم يلقوا الطلب المناسب على هذه السلعة ، فاضطرب البرتغاليون إلى بيع العبيد الأفارقة في أفريقيا نفسها [ على الأخص في بلاد المغرب ] .

ولكن سرعان ما اكتشف البرتغاليون أنهم في حاجة إلى استخدام العبيد في عمليات زراعة قصب السكر التي بدأوها في جزر الأطلسي المتاخمة لافريقيا ، والتي اكتشفوها خلال رحلاتهم البحرية [ جزر ماديرا Madeira ، وجموعة جزر رأس فيرد - جزر الرأس الأخضر<sup>(١)</sup> - وبرنسيب Sao Tome And Principe ] وقد تبين للبرتغاليين أن العبيد السود هم خير عمال في هذه الزراعة التي كان الأوروبيون لا يقبلون على العمل بها .

في مطلع القرن السابع عشر [ سنة ١٦٠٠ ] وصل التعداد الإجمالي للسكان في قارة إفريقيا إلى نحو ٥٥ مليون نسمة . يعيش نحو ١١ مليون منهم - أي الخامس - في مناطق شمال الصحراء الكبرى ، نصفهم في مصر والنصف الآخر في بلاد المغرب .

أما أربعة أخماس هؤلاء السكان فكانوا يعيشون في مناطق جنوب الصحراء . وكانت منطقة غرب إفريقيا هي أكثر المناطق سكاناً تليها منطقتا رواندا وبورندي - Rwanda Burundi اللتان تقعان - في أوغندا الحديثة - بوسط القارة .

وكانت معظم المناطق في إفريقيا السوداء على علاقة بنحو ما مع العالم الخارجي ، نتيجة لشبكة الطرق التجارية التي انشأها العرب في فترة العصور الوسطى عبر الساحل العشبي جنوبي الصحراء ومناطق السودان وسواحل شرق القارة . وذلك بالإضافة إلى الطرق البحرية التي استخدمها البرتغاليون في الرابط بين مجتمعات الأطلسي ومناطق موزمبيق وروانديسا .

وكانت السلع التي يرتفع الطلب عليها في مناطق الساحل العشبي والمناطق السودانية بصفة عامة هي : الملح والخيوط والأقمشة والمصنوعات الخزفية والمصنوعات المعدنية . وبالنسبة للمناطق الساحلية ارتفع الطلب على المنسوجات والمصنوعات بمختلف انواعها ، ثم بدأ الطلب يزداد فيها بعد على الكحوليات والطبات .

وحتى يقوم الأفارقة السود بالوفاء بأثمان

وهكذا ارتفع معدل تصدير العبيد من إفريقيا السوداء من نحو ألف عبد سنوياً في بداية القرن السادس عشر [ وكلهم كانوا يباعون في العالم العربي ] إلى نحو خمسة الألف عبد سنوياً في نهايات ذلك القرن ، ومعظمهم كانوا يصلرون للعمل في المناطق المكتشفة في الأمريكتين .

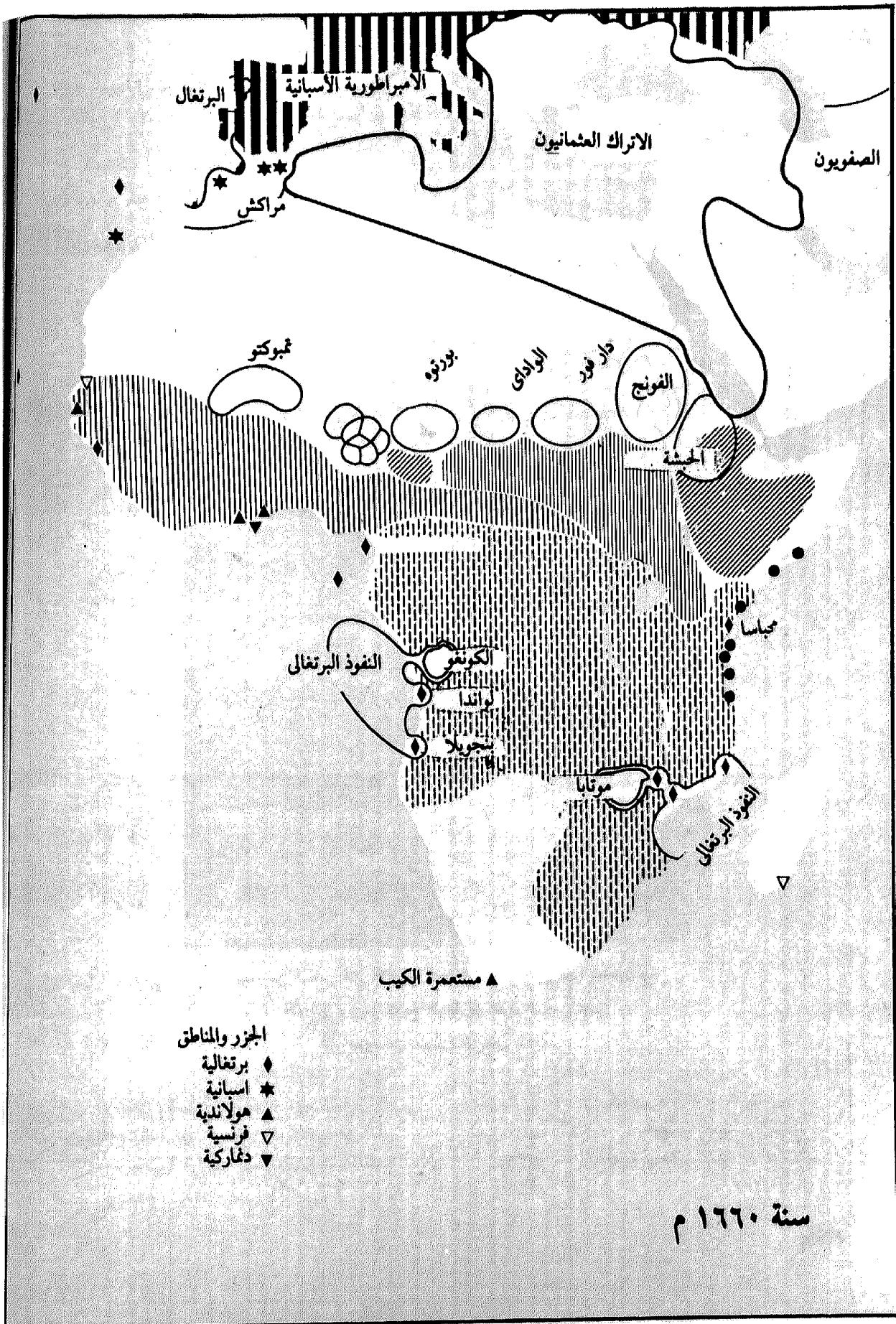
وفي النصف الأول من القرن السادس عشر ، بدأت حركة نشطة لنقل العبيد [ خصوصا الرجال ] من مناطق غرب إفريقيا إلى جزر الأطلنطي المتاخمة للقاره . ثم سرعان ما امتدت حركة النقل هذه إلى المستوطنات والمناطق الزراعية التي انشأها البرتغاليون في المناطق التي اكتشفوها في العالم الجديد .

مربع . وعدد السكان لا يتجاوز ٣٠٠ ألف نسمة حوالي ٦٠٪ منهم مخلطين من أصول إفريقية / أوروبية والباقيون من الأفريقيين السود . وقد أعلنت جمهورية مستقلة سنة ١٩٨٢ باسم جمهورية كيب قيبرد . [ المترجم ] .

(١) مجموعة جزر الرأس الأخضر : تتكون من (١٠) جزر متوسطة و (٥) جزر صغيرة . تقع في المحيط الأطلنطي على بعد نحو بعد ٤٨٠ كيلومتراً غرب السنغال . وتبلغ مساحتها جائعاً نحو ٤٠٠٠ كيلومتر



لوحة من النحاس تمثل ثلاثة من التجار الأفريقيين الذين كانوا يتعاملون مع الأوروبيين . يرجع تاريخ اللوحة إلى القرن السادس عشر .  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



Benguela و Luanda و Fer nando Po كا استعادت نفوذها في مناطق جنوب الأطلسي.

ولم تكن هولاندا هي المنافس الوحيد الذي استولى على الواقع التي كانت تسيطر عليها البرتغال في إفريقيا . ففي سنة ١٦٥٣ قام اسطول عمان قادم من شبه الجزيرة العربية بالقضاء على سيادة البرتغال التي كانت قد فرضتها على المدن التجارية العربية بالساحل الشرقي لافريقيا .

ولكن البرتغاليين استطاعوا بعد ذلك أن يستعيدوا مدينة موبياسا ومنطقة موزمبيق وبعض الواقع الأخرى جنوب موزمبيق . كما قاموا بتدعمهم مركزهم بداخل القارة ، حيث حققوا طموحاتهم في الاقامة الطويلة بتلك المناطق الداخلية . وفي سنة ١٦٣٣ م كانوا قد سيطروا تماماً على مملكة موتابا Mutapa وإن كانوا لم يحققوا من وراء ذلك أرباحاً طائلة كما كانوا يتوقعون ، فكل الذهب الذي كانت تتوجه هذه المنطقة ، لا يمثل أكثر من جزء ضئيل من كميات الذهب المائة التي تتوجهها مناطق غرب إفريقيا .

أما أهم ما تجدر الإشارة إليه من أحداث تلك الفترة ، فيتمثل في ظهور محطات الإمداد والتمويل التي انشأتها بعض الدول الأوروبية الأخرى لخدمة أساطيلها التجارية المتوجهة نحو الهند والشرق بصفة عامة . ففي سنة ١٦٤٢ م أنشأ الفرنسيون محطة بجزيرة مدغشقر . وفي سنة ١٦٥٢ م أنشأ الهولانديون محطة في منطقة الكيب . Cape

لم يكن الارتباط الذي تم بين البرتغال وإسبانيا ذافائدة للبرتغال ، بل على العكس فقد جر عليها الكثير من المتاعب . فقد دخل ملك إسبانيا في صراع مع الهولانديين الذين بدأوا يحتلون مركزهم كأكبر قوة بحرية في العالم .

وهكذا وجدت البرتغال منافساً قوياً لها في المناطق التي كانت تسيطر عليها في إفريقيا . وفي سنة ١٦٣٧ ، استولى الأسطول الهولاندي على إلينا ، وبعد سنوات قليلة أخرى استولى الهولانديون على بقية المراكز والمواقع البرتغالية الأخرى على ساحل الأكان . وبذلك تم اخراج البرتغاليين تماماً من عمليات تجارة الذهب بغرب إفريقيا .

ثم واصل الهولانديون بعد ذلك عمليات استيلائهم على كل المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ البرتغال في الشرق الأقصى وفي البرازيل بأمريكا الجنوبية .

وفي سنة ١٦٤٠ م ، انفصلت البرتغال عن إسبانيا كمحاولة منها للتفرغ لمواجهة هذا السيل المتدفق من النكبات وإيقافه عند حده . غير أن هذا الانفصال لم يشعر بنتائج فورية ، ففي السنة التالية ، استولى الهولانديون أيضاً على جميع موانع تصدير العبيد من إفريقيا .

وفي سنة ١٦٤٨ تغيرت الأحوال لصالح البرتغال التي خصصت موارد ضخمة لمواجهة الهولانديين . وبذلك استعادت البرتغال الواقع الرئيسية الثلاثة التي فقدتها سنة ١٦٤١ م . وهي : فرتاندو بو ، ولواندا ، وبنجو سويلا

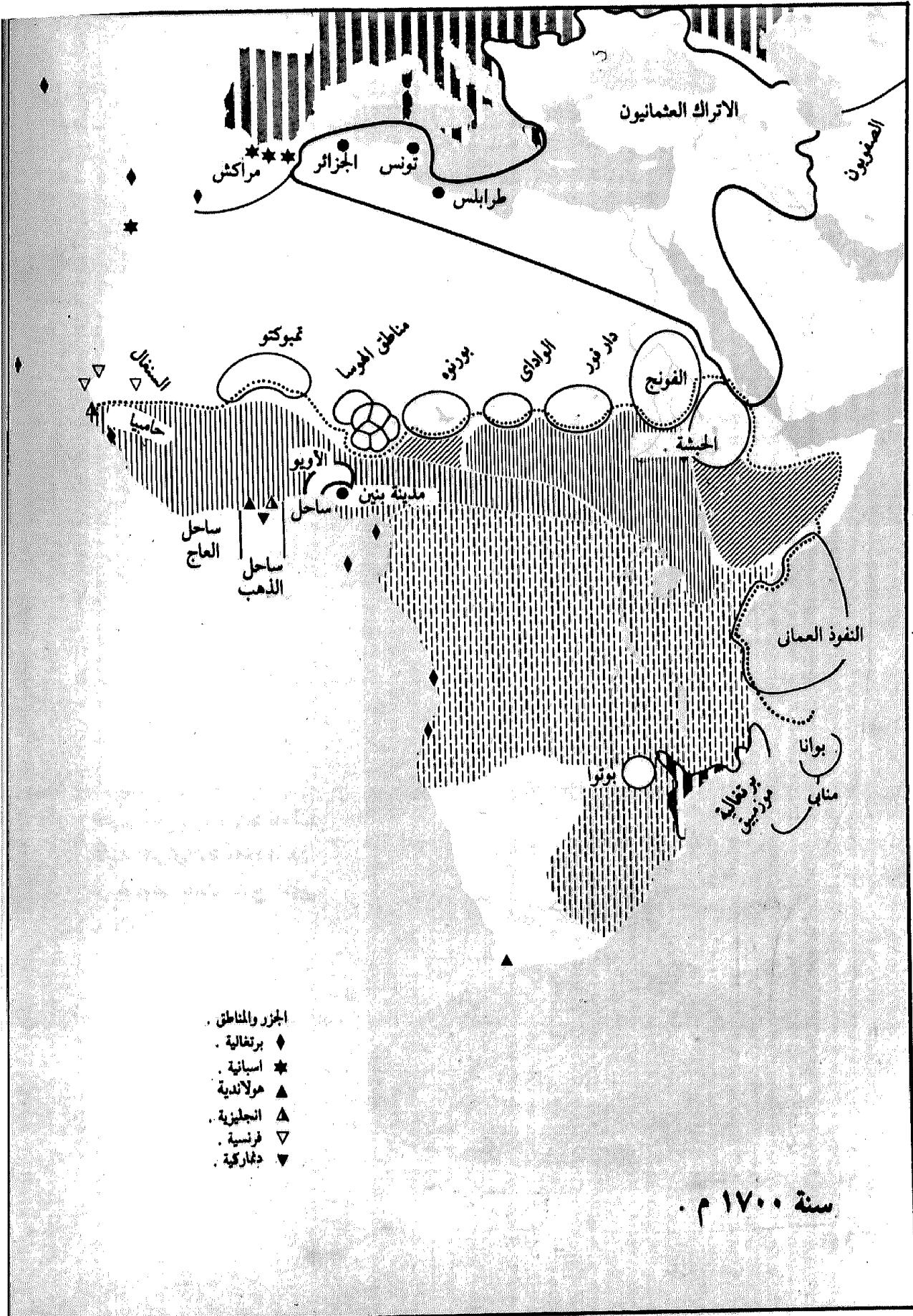
فاستقل باشاوات تبوكتو بحكمها ، وعيروا أنفسهم أمراء عليها ، وإن كانوا من الناحية النظرية ما زالوا يعترفون بولاء غير مخلص لحكام مراكش .

كذلك فقد ظهرت سلطنة جديدة هي سلطنة الوادى Wadai المجاورة لدارفور .

كذلك فقد ضعفت سيطرة مراكش على المناطق التي كان تابعة لها بجنوب الصحراء ،



تمثال من العاج يمثل ملكا ، عثر عليه أحد  
الأطباء الأمريكيين سنة 1897 في بنين .  
من مجموعات متحف التاريخ الطبيعي  
بشكاجو .



واسعة لاقتاص العبيد وتوريدهم .

والحقيقة أن التنظيم السياسي لمالك الزنوج قد استعصى على أفهم أوربا في البداية ، فقد كانت هذه المالك عبارة عن تجمعات قبلية تعتقد شعائر أو طقوساً عقائدية معينة ، أكثر من كونها وحدات إدارية تخضع لنظام اداري موحد . ونظراً لأن الأوربيين كانوا مضطربين للتعامل مع تلك المالك ، فقد كانوا يعترون بدأة بشرعية حكم الملوك أو الرؤساء المحليين . ولا يتخلون في كيفية اختيارهم أو تعينهم ، ولا السيطرة عليهم .

وكان توريط مثل هذا النوع من المالك بدفعها إلى قبول التزامات باهظة لا تستطيع الوفاء بها ، هو الوسيلة التي اتبعها الأوربيون للسيطرة عليها ، وهو السبب المباشر الذي أدى إلى زوال بعض تلك المالك وانيارها . وذلك مثلما حدث بالنسبة لملكة الكونغو التي انهارت تماماً في أواخر القرن السابع عشر ، وملكة موتاها التي دمرتها مملكة بوتووا Butua وهي مملكة منافسة أنشأتها قبائل الشونا Shona سنة ١٦٩٣ .

وقد حاول البرتغاليون أن ينشروا لأنفسهم مستوطنة على ساحل خليج بنين ليياشروا شتون التجارة بأنفسهم ، ولكنهم فشلوا في ذلك لعدم ملاءمة الظروف الصحية ، حيث كانت الحمى تفتكر بهم أولاً بأول . لذلك فقد اعتمد البرتغاليون على مملكة أويو التي اتسعت سلطتها وزادت سيطرتها على تلك المنطقة ، لكنه تباشر أعمال الوساطة التجارية بينهم وبين المناطق الداخلية والمناطق المجاورة . والملاحظ بصفة

في مطلع القرن الثامن عشر ، أصبح من الواضح أن الامبراطورية العثمانية أصبحت أضعف بكثير مما كانت عليه منذ قرن مضى ؛ فقد أخذت الولايات الأفريقية تتمتع بسلطات شبه مستقلة ، وأصبح الحكام الذين يتولون حكم الجزائر وتونس وطرابلس ، أقرب إلى الملوك منهم إلى نواب للسلطان العثماني . أما في مصر ، فالرغم من أنها استمرت في دفع الجزية إلى استانبول ، إلا أن أمراء المماليك قد استعادوا الكثير من سلطاتهم ونفوذهم الغابر ، وأصبحوا أصحاب الكلمة العليا في حكم البلاد . الأمر الذي أصبح يعطي صورة بان الباب العالى قد فقد القدرة على بسط نفوذه كما قلت الثقة فيه .

وبينما كانت الامبراطورية العثمانية تزداد ضعفاً ، كانت أوربا الغربية تزداد قوة . وبالتالي ازداد نشاط الدول الأوربية في تجارة العبيد . وفي خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، ارتفع معدل عدد العبيد الذين كانوا ينقلون عبر الأطلنطي إلى نحو (٥٠) ألف عبد سنوياً . أي نحو عشرة أضعاف عدد العبيد الذين كانوا ينقلون سنوياً في بداية القرن السابع عشر .

وكانت يتم توريث نصف عدد هؤلاء العبيد تقريباً بواسطة الموردين المحليين في خليج بنين Bight Of Benin ، خصوصاً في قطاعه الغربي Slave Coast . ولم تطلق هذه التسمية جزاً ، فمن المعروف أن المنطقة الجنوبية من نيجيريا الحديثة ، كانت أكثر المناطق الأفريقية كثافة في السكان . كما أن مملكة أويو Oyo التي أنشأتها قبائل اليوروبا Yoruba بمنطقة خليج بنين كانت تقوم بعمليات

العمانيين القادمين من شبه الجزيرة العربية ، والذين حاصروا المدينة على فترات متقطعة استمرت نحو ثلث سنوات [ ١٦٩٦ - ١٦٩٨ م ] .

كذلك فقد دعم البرتغاليون سيطرتهم على مناطق نهر الزامبيزى الأدنى Lower Zambesi [إقليم موزمبيق]

أما في جزيرة مدغشقر فقد ظهرت لأول مرة مملكتان محليتان جديدتان انشاهما السكان المحليون من قبائل السكاوالا Sakalava وهم : مملكة منابي Menabe وملكة بوانا Boina . وذلك بعد انسحاب الفرنسيين من الجزيرة إثر نجاحهم في استعمار جزر الريونيون Reunion التي تبعد نحو ٤٠٠ ميل نحو الشرق .

عامة أن المبادرات التجارية بين أوروبا وأفريقيا قد ازدادت واتسع نطاقها . وكان طلب الأفارقة على السلع والبضائع الأوروبية ، أكبر كثيراً من طلب الأوروبيين على سلعة العبيد .

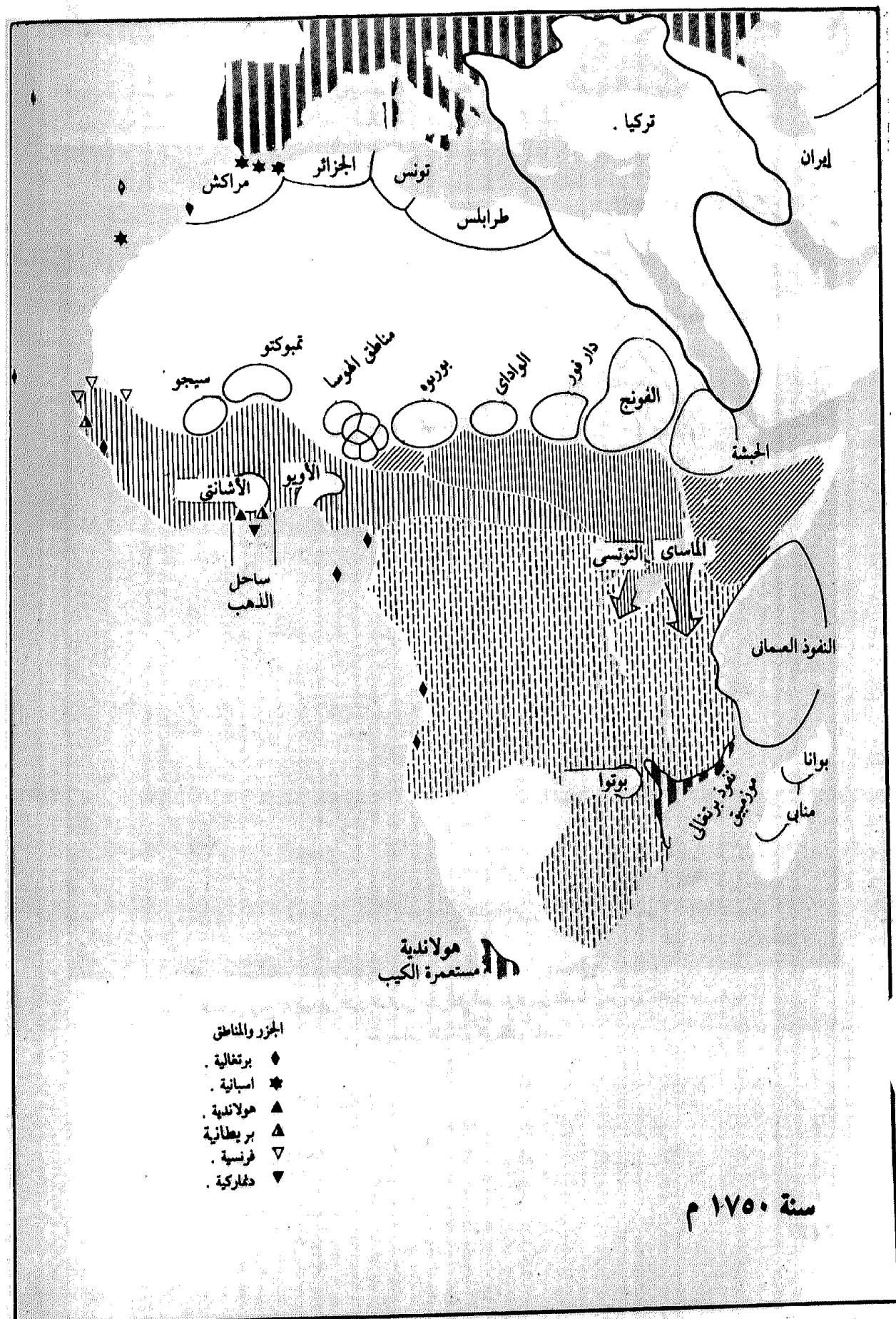
أما بقية أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في منطقة غرب أفريقيا في تاريخ هذه الخريطة ، فتمثل في الاستكشافات التي قام بها الفرنسيون لمناطق نهر السنغال ، وهو أحد الأنهار الأفريقية القليلة الصالحة للملاحة .

كما نشير إلى ظهور الانجليز في منطقة جامبيa وساحل الذهب ، الأمر الذي يعني انتهاء سيطرة المولاندين على هاتين المنطقتين .

أما بالنسبة لمناطق شرق أفريقيا ، فقد انتهى نفوذ البرتغاليين على مومباسا بعد أن وقعت في يد



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر تمثل أحد ملوك بنين القدماه وهو يعود متصرفاً من الحرب  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



## هولاندية مستعمرة الكيب

- الجزء والمناظر**

  - برتغالية .
  - اسبانية .
  - هولندية .
  - بريطانية .
  - فرنسية .
  - دولار كندا .

سنة ١٧٥٠ م

قبائل البابامبارا Bambara [ التي تنتهي إلى القبائل المتحدثة بلغة الماندي Mandi ولهما عقائدتها التقليدية المحلية ] .

أما في الطرف الشرقي من الأقاليم السودانية ، فقد قام سلطان الفونج بغزو إقليم كردفان وضمه إلى مملكته .

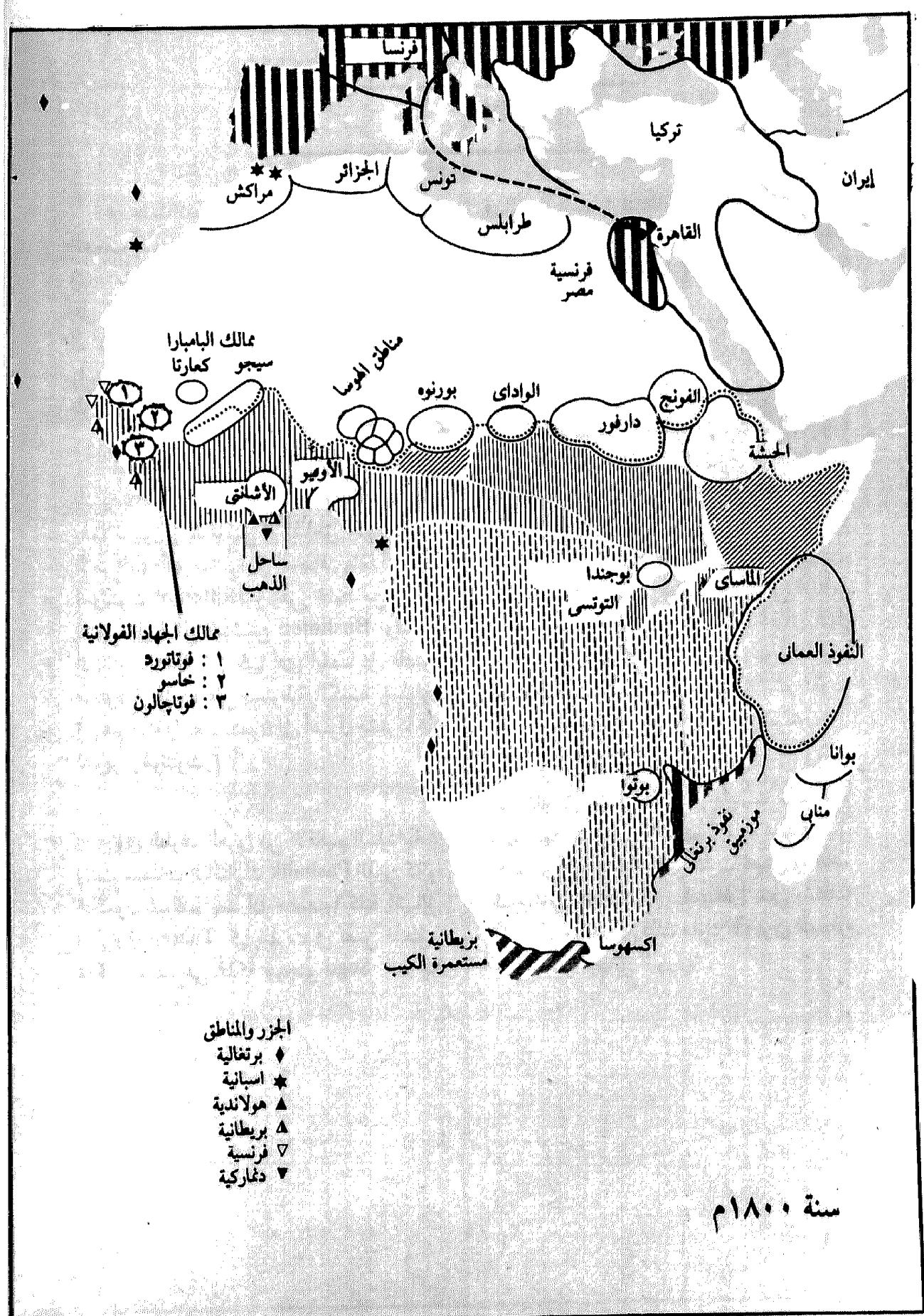
أما بالنسبة لحركات وتحركات الشعوب النيلية الصحراوية في مناطق شرق أفريقيا ، فقد زحفت قبائل الماساي Masai من منطقة بحيرة توركانا Turkana وأتجهت جنوباً عبرة مرتفعات كينيا لتقيم في الأقليم العشبي Tutsi بتانزانيا . كما زحفت عشائر التوتسي Hottentot [ وكانوا من المحاربين ] من منطقة أعلى النيل الأبيض ، واستقرت في رواندا وبوروندي ، حيث فرضت نفسها حاكاماً على عشائر المهوتو Hutu المحلية التي تنتهي إلى قبائل البانتو .

وفي منطقة ساحل الذهب Gold Coast التي تقع في غانا الحديثة [ وليست غانا طبقاً لفهمها التاريخي القديم ] ، قامت قبائل الأشانتي Ashanti التي كانت تعيش في أقليم كوماسي Kumasi بالسيطرة على منطقة الأكان ، منافسة في ذلك ملوك الأوليوف السيطرة على شعوب وقبائل الاليوروبا .

لم تحدث تغيرات كبيرة في أفريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، سوى ما حدث من استقلال معظم الولايات الواقعة على الساحل الشمالي لأفريقيا عن الامبراطورية العثمانية . حيث استقلت تونس سنة ١٧٠٥ م ، واستقلت الجزائر سنة ١٧١٠ م ، واستقلت طرابلس سنة ١٧١٤ م .

أما في الطرف الجنوبي من القارة ، فقد قام البوير Boers [ وهو مجتمع من المستوطنين الهولانديين ] بالتلغلل في المناطق الداخلية ، الأمر الذي أدى مباشرةً إلى انخفاض تعداد قبائل المورتنوت Hottentot [ وهي خليط من أصول تنتهي إلى قبائل البوشمن Bushmen وقبائل البانتو Bantu ] . كما أدى أيضاً إلى ظهور مستوطنة جديدة هي مستوطنة الكيب للملونين [ وهو ابناء وأحفاد يتمون إلى أصول مشتركة من البوير والمورتنوت ] .

وفي الطرف الغربي من الأقاليم السودانية ، زالت سلطات الباشاليك Pashalik الذين كانوا يحكمون تمبوكتو بعد أن خضعوا كلية لقبائل الطوارق Tuareg كما ظهرت في نفس المنطقة مملكة جديدة هي مملكة سيجو Segou انشأتها



نحو ٣٦,٠٠٠ من الجنود المتمردين في حروب الثورة الفرنسية ، ويرفقتهم مجموعة كبيرة من العلماء المتمردين في أفرع الثقافة والأدب والعلوم الرياضية والمهندسين .

وفي البداية أعلن نابليون أن المدف من حملته هو الاصلاح ، وأنه جاء استناداً إلى موافقة وباركة السلطان العثماني وشيوخ المسلمين . وبعد نحو ثلاثة أسابيع من نزول قوات نابليون إلى بر مصر ، حاول الماليك صد هجومه ومواجهة تقدمه إلى القاهرة . ونشبت بين الفريقين معركة حاسمة سميت معركة الأهرام ، رغم أن مكانها كان يبعد عن الأهرام بعدة أميال نحو الشمال . وفور انتصار نابليون على الماليك ، أعلن نفسه حاكماً رسمياً على مصر .

وقد يكون من الصعب تبين الدوافع الحقيقة للحملة الفرنسية على مصر ، إلا أنه من الواضح أن هناك عدداً من اعتبارات : فنابليون كان شغوفاً بتمثيل دور الاسكندر الأكبر . كما أن منافسيه كانوا شغوفين بابعاده عن فرنسا . أما الجنود فقد كانوا يرغبون في اغتنام بعض ثروات الشرق .

وعلى أيّة حال فلم تستطع القوات الفرنسية أن تبقى بمصر لمدة طويلة ، خصوصاً بعد تدخل إنجلترا التي تسيّدت البحار في تلك الفترة والتي كانت تعتبر العدو اللدود لفرنسا . وبمجرد أن عثر الأدميرال البريطاني نلسون على موقع الأسطول الفرنسي ، في خليج أبي قير ، حتى قام الأسطول البريطاني في منطقة البحر المتوسط بتوجيه ضربة عنيفة دمر بها الأسطول الفرنسي وقضى عليه .

في مطلع القرن التاسع عشر ، طرأ تغيير طفيف على خط الحدود الجنوبيّة للاسلام في المناطق الافريقية بالنسبة لما كان عليه الحال في مطلع القرن الثامن عشر .

وفي الفترة ما بين عامي ١٧٧٦ - ١٧٨٦ ، قامت قبائل الفولاني بجهاد مثابر لنشر الدعوة الاسلامية في ثلاث مناطق جديدة بمناطق غرب السودان . وانشأت وبالتالي ثلاث دويلات ثيوقراطية [ دينية ] هي : فوتاتورو Futa Toro ، وفوتا جالون- Khasso ، وناسبو Ion . وتتسم هذه الدوليات جميعاً بشدة التمسك الصارم بتعاليم الدين . وهذا التوجه يشدّ عن الطريقة الشائعة في ممارسة الأديان بمناطق افريقيا السوداء .

أما في مناطق نهر النيل ، فقد كان الحال على العكس ، حيث قامت قبائل البايمارا - وهي ذات عقيدة افريقية محلية - بالقضاء على تمبوكتو في سنة ١٧٨٧ ، وضممتها إلى مملكتهم في سيجو .

أما في بقية المناطق السودانية فلم يطرأ شيء جديد سوى ازدياد عدد المسلمين في أقاليم كردفان ، وذلك بعد أن تعرضت هذا الإقليم للغزو من جانب مملكة الفونج سنة ١٧٥٠ ، ثم للغزو مرة أخرى من جانب أقاليم دارفور سنة ١٧٩٠ .

اما في مصر التي تعتبر قلب العالم الاسلامي في افريقيا ، فقد حدثت تطورات هامة ، حيث نزلت قوات الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت في منطقة أبي قير قرب الاسكندرية في يوليو ١٧٩٨ م . وكان الجيش الفرنسي مكوناً من

الاكسهوسا للسيطرة على قطاعان البوير ، وغارات انتقامية يقوم بها البوير للثأر من تلك القبائل .

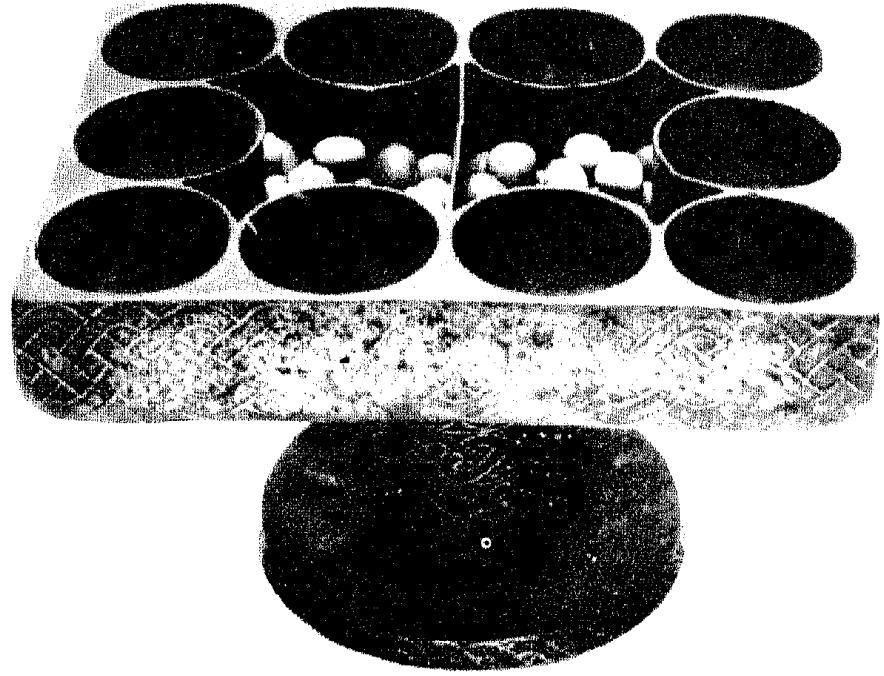
وكذلك فقد تم استيلاء الانجليز على مستعمرة الكيب من المولانديين ، الذين كانوا في ذلك الوقت حلفاء لفرنسا ، ودخلوا وبالتالي في نطاق الصراع الفرنسي البريطاني . وقد استولى الانجليز على المستعمرة سنة ١٧٨٥ م . غير أن المولانديين استطاعوا استعادة المستعمرة سنة ١٨٠٣ م لفترة قصيرة وقفت فيها المعارك الحربية بين انجلترا وفرنسا ولكن الانجليز استولوا على مستعمرة الكيب مرة أخرى بصفة نهائية سنة ١٨٠٦ م .

اما ابرز الأحداث التاريخية التي وقعت في مناطق شرق افريقيا في تلك الفترة ، فتمثل في ظهور أول أكبر مملكة انشأتها قبائل البانتو ، وهي مملكة بوجندا Buganda التي تقع في منطقة شمال غرب بحيرة فيكتوريا .

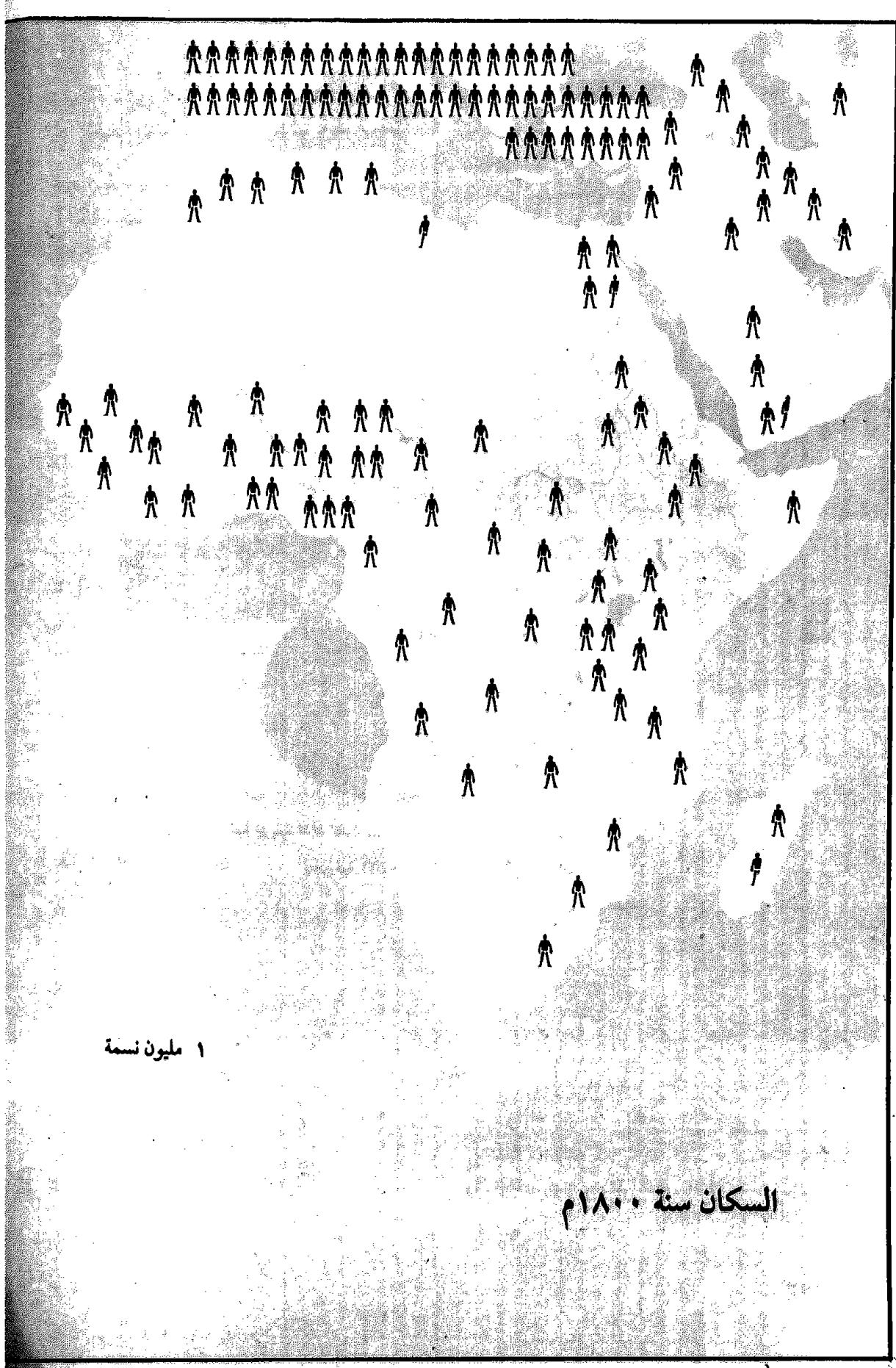
وقد استمر بقاء نابليون بمصر لسنة أخرى بعد تلك الضربة ، إلى أن استطاع التسلل من مصر على ظهر فرقاطة فرنسية أعادته إلى وطنه . أما الجيش الفرنسي الذي تركه بمصر ، فقد غادرها بعده بنحو سنتين [ سبتمبر ١٨٠١ ] وذلك بعد الاتفاق على هدنة بين انجلترا وفرنسا .

اما في جنوب افريقيا ، فقد تغير الربع الثالث من القرن الثامن عشر بتوسيع البوير في الزحف إلى المناطق الداخلية بجوب القارة ، حتى وصلوا إلى المناطق التي كانت تعيش فيها قبائل Xhosa التي تنتمي إلى قبائل وشعوب البانتو . وهناك حدثت بين البوير وهذه القبائل مجموعة من المناوشات أطلق عليها اسم حرب الكافير<sup>(١)</sup> Kaffir الأولى بين سنتي ١٧٧٩ - ١٧٨١ م ، وحرب الكافير الثانية سنة ١٧٩٣ م . وفي حقيقة الأمر كانت هذه الحروب عبارة عن مناوشات وغارات تقوم بها قبائل

(١) الكافير : مصطلح يطلق على مجموعة القبائل والشعوب المتحدة بلغة البانتو والذين يعيشون في مناطق جنوب افريقيا . [ المترجم ] .



لعبة افريقية قديمة كانت تسمى «جبل العالم» : من مصنوعات بنين القديمة .  
ويمروضة الآن ضمن مجموعة «سوثبي» بلندن .



## التوزيع السكاني سنة ١٨٠٠

اليوم بنحو مائة مليون نسمة ] .

وعكن القول بأن اخراج العبيد من افريقيا لم يؤثر في نظام التوزيع السكاني للقاراء ، وذلك تأسياً على أن تجارة العبيد التي بلغت ذروتها في عقد الثمانينات من القرن الثامن عشر ، كانت تستنزف من افريقيا نحو ١٠٠٠٠٠ عبد سنوياً . وهذا الرقم يكاد يعادل نصف المعدل السنوي لزيادة السكان في مناطق افريقيا السوداء . كما أن الأغلبية العظمى من هؤلاء العبيد كانوا من الذكور ، الأمر الذي قلل من التأثير في نقص السكان نظراً لأن الإناث قد قمن بتعويض هذا النقص بزيادة معدل الإنجاب .

كما يمكن القول أيضاً بأن الاتصالات التي ثمت عبر الأطلنطي بين افريقيا والعالم الجديد ، قد أدت إلى إدخال أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية إلى افريقيا مثل الذرة ونبات المنيوق Manioc ، وهو نبات تستخرج من جذوره مادة نشوية مغذية . وقد أدت هذه المحاصيل الزراعية الجديدة دورها في زيادة عدد المواليد بما يعوض أعداد العبيد الذين اخرجوا من القارة .

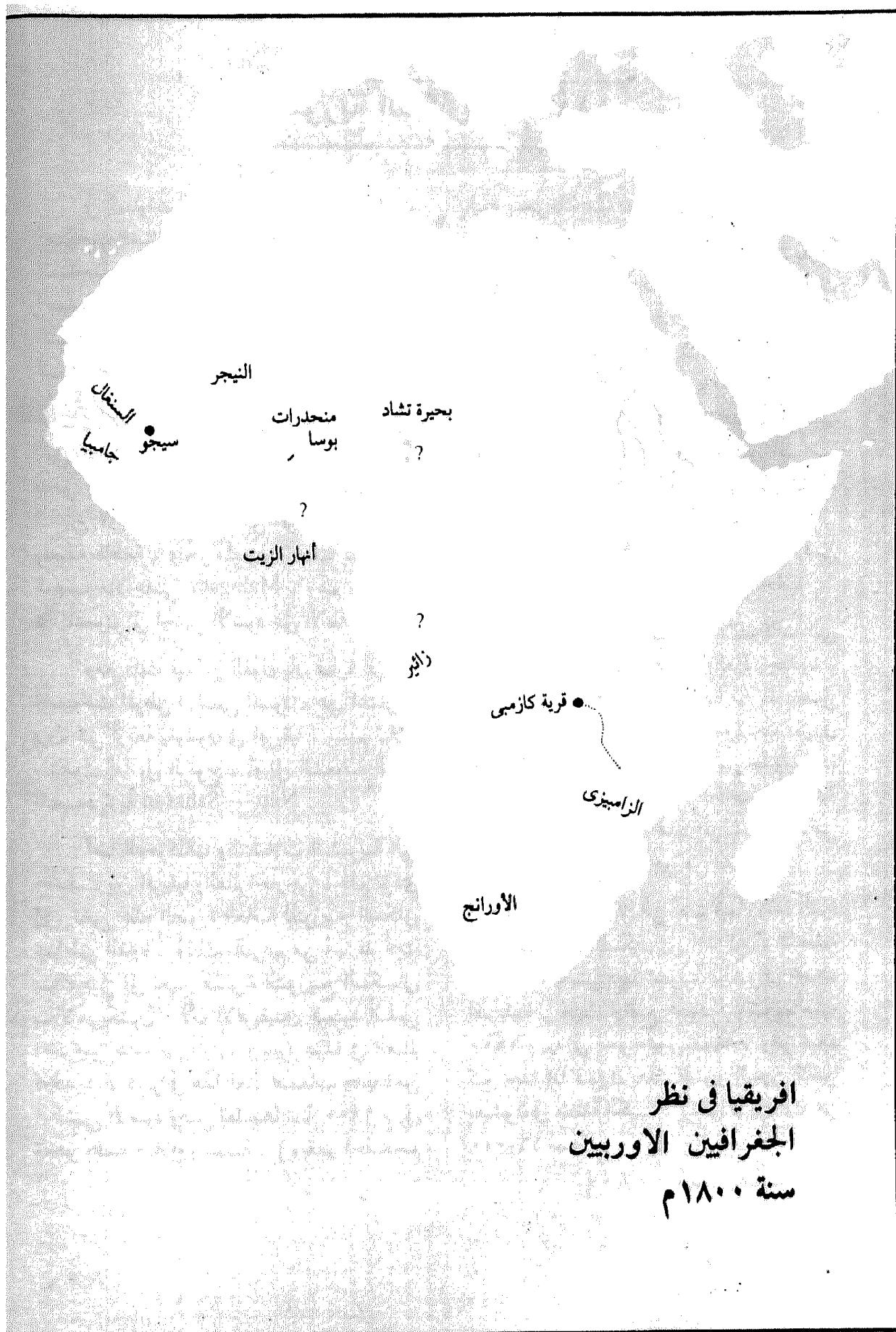
ومن أهم المناطق التي أدت فيها زراعة الذرة إلى زيادة معدل السكان إلى حد كبير ، المنطقة التي كانت تعيش فيها شعوب البانتو في جنوب افريقيا . حيث ارتفع عدد البانتو - سنة ١٨٠٠ م - إلى نحو مليون نسمة ، وهو عدد كبير جداً إذا قورن بعدد البوير الذين كانوا يعيشون في منطقة الكيب ، وكانوا لا يزيدون عن ١٦٠٠٠ نسمة .

في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، أصبحت القبائل والشعوب السوداء تمثل الأغلبية الساحقة بين سكان افريقيا . ففى مناطق جنوب الصحراء الكبرى كان يعيش نحو ٦٠ مليوناً من السود ، مقابل عشرة ملايين يعيشون في مناطق شمال الصحراء .

إلا أنها نشير إلى أن بين الشعوب الأفريقية التي كانت تعيش جنوب الصحراء ، كان هناك نحو خمسة ملايين من الكوشين [ التوبيين ] الذين لا يمكن اعتبارهم من الأجناس السوداء بصفة قاطعة ، ونحو مليون ونصف مليون من شعب مالاجاسي Malagasy ، وهم بدورهم لا يتبعون إلى الجنس الاسود على الأطلاق .

ومع ذلك فيمكن القول بأن قارة افريقيا أصبحت الموطن الرئيسي للسود ، على اعتبار أن بين كل أربعة يعيشون في افريقيا ، بينهم ثلاثة يتبعون إما إلى الزنوج ، أو إلى الشعوب النيلية Nilo — Saharan .

أما التحركات والتنقلات البشرية التي حدثت بين افريقيا والعالم الخارجي ، فلم تؤدي إلى تغيير هذه الصورة العامة للتوزيع السكاني في مناطق القارة . وذلك بالرغم من أنها قد أدت بالفعل إلى تغيير صورة التوزيع السكاني بالأمريكتين . لأن الأفاريقين السود الذين اخرجوا عنوة من قاراتهم ويعيشوا عيدين في العالم الجديد ، كانوا في هذا العالم مجتمعات جديدة من الجنس الاسود وصل تعدادها سنة ١٨٠٠ م إلى نحو خمسة ملايين نسمة . [ ويقدر أحفادهم



## افريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين

سنة ١٨٠٠

الراسية قرب الساحل ، ودون اضطرار إلى النزول إلى الشاطئ إلا في القليل النادر .

ولكن حتى تتم سيطرة الأوروبيين على تلك المناطق التي تجري فيها هذه المبادلات التجارية ، كان من اللازم أن يقيم بعض الأوروبيين في مستوطنات أو تجمعات حربية ينشؤنها على الساحل ، وكانوا يفعلون ذلك على مضض ، وبقصد حماية هذه المناطق التجارية من أطماع الأوروبيين الآخرين ، وليس بقصد السيطرة على الأفريقيين .

ومع ذلك كانت هناك بعض الاستثناءات على هذه الصورة العامة . وعلى سبيل المثال فإن منطقة الكيب تعتبر منطقة صحية بالنسبة للأوربيين ، ولذلك فقد تمكّن البوير من استيطانها والإقامة المستمرة فيها ، بل والتغلُّب في مناطقها الداخلية . وفي سنة ١٨٠٠ م ، كان البوير قد استكشفوا كل مناطق نهر أورانج . Orange

وكذلك الحال بالنسبة للبرتغاليين الذين استطاعوا الاقامة في مستوطنتين : انجولا على الساحل الغربي ، وموزambique على الساحل الشرقي . وقد يعزى ذلك إلى أن استمرار إقامة البرتغاليين في تلك المناطق الأفريقية لمدة تقرب من ٣٠٠ سنة ، قد أكسبهم قدرًا كبيرًا من المانعة والقدرة على مقاومة الأمراض المستوطنة . وهكذا اكتسب هؤلاء الأفروبرتغاليون Afro — Portuguese القدرة على التوغل في المناطق الداخلية بأمان تام .

حتى سنة ١٨٠٠ م ، ظلت افريقيا السوداء – بالنسبة للأوربيين – قارة مجهلة ، لم تتوفر عنها معلومات كافية لمدة طويلة من الزمن ، بحيث أصبح من الصعب رسم أي خريطة موثوقة بها ، لأكثر من ربع مساحة المناطق الشاسعة الواقعة جنوب الخط الذي يمر ببحيرة تشاد . أما الأسئلة الخاصة بمنابع النيل أو بمنابع الكونغو ، أو بمضيق النيجر ، فقد ظلت بالنسبة للأوربيين اسراراً مغلقة .

وهناك سبب مباشر لعدم توافر تلك المعلومات يتلخص في الكلمة واحدة هي «المalaria» Malaria . فإذا افترضنا أن عشرة من الأوروبيين قد نزلوا بسواحل غرب افريقيا ، فمن المؤكد أن ستة منهم على الأقل سيموتون بالملاريا قبل نهاية العام . ومن المؤكد كذلك أن نسبة هذه الوفيات ستترتفع فوق هذا المعدل إذا عاش الأوروبيون في المناطق الداخلية . ولهذا فلم يكن من المستغرب أن يطلق على مناطق غرب افريقيا اسم شائع هو : «مقبرة الرجل الأبيض» .

وكثيجة مباشرة لهذا السبب القوى ، أصبح من المحتم على الأوروبيين أن يقللوا اتصالاتهم بأفريقيا إلى أقصى قدر ممكناً ، وأن يمارسوا هذه الاتصالات على حذر . ولذلك فقد أصبحت المبادلات التجارية مع الأفريقيين تتم على هذا النحو : يحضر الأفريقيون بضائعهم [العيدي والذهب والمعاج] إلى الساحل ، ويقوم الأوروبيون بالتجارة معهم وهم على سفنهم

بريطانيا مزودين بالبنادق . وكانت خطته أن يصل إلى سيجو أولاً ، وهناك يشتري قارباً يركبه هو وجنوده ، ويسير بهذا القارب في منتصف مجرى النهر تماماً دون حاجة إلى النزول إلى الشاطئ . وإذا صادفه أية متابع من جانب الأهالي ، فسوف يفتح عليهم النيران الكثيفة من بنادق جنوده . وهكذا يستمر في رحلته عبر النيجر حتى يصل إلى البحر من خلال مصبه .

ورغم أن هذه الخطة تبدو سليمة من الناحية النظرية ، إلا أن الجنود البريطانيين لم تكن لديهم تلك المعاشرة التي اكتسبها مونجو بارك ضد الملاريا ، لذلك فقد تهاوى الجنود مثل الذباب . ولم يعد باقياً منهم إلا أربعة فقط ، هم الذين استطاعوا الوصول مسلمين إلى سيجو ، وركبوا القارب مع بارك للقيام بتلك الرحلة .

ومع ذلك فقد نجح بارك وجنوده الأربع في التوغل في مجرى النيجر إلى مسافة تصل إلى نحو ألف ميل ، حتى وصلوا إلى منحدرات النهر في منطقة بوسا Bussa . وهناك لقى الجميع حتفهم بعد الاشتباك في معركة مع الأهالي . ولم يكن هؤلاء الأهالي من المسلمين الذين توقع منهم الخطر ، بل كانوا من الوثنين الذين اعتنقوا أن بارك وجنوده مسلمون يريدون غزو بلادهم .

ويموت مونجو بارك على هذا النحو ، ظلّ مصير مجرى النيجر مجهولاً : فهل ينحى النيجر بعد منحدرات بوسا ليكون الدلتان التي كان يطلق عليها في خلال القرن التاسع عشر « أنهار الزيت » Oil Rivers ، أم يواصل النهر انحناءه نحو الجنوب ليتصل بنهر زائير ، أو يصعد هو نفسه نهر زائير ، أم ينحى النهر شمالاً ليصب في بحيرة تشاد ؟ !

ولم تجد كل هذه التخمينات والافتراضات جواباً شافياً .

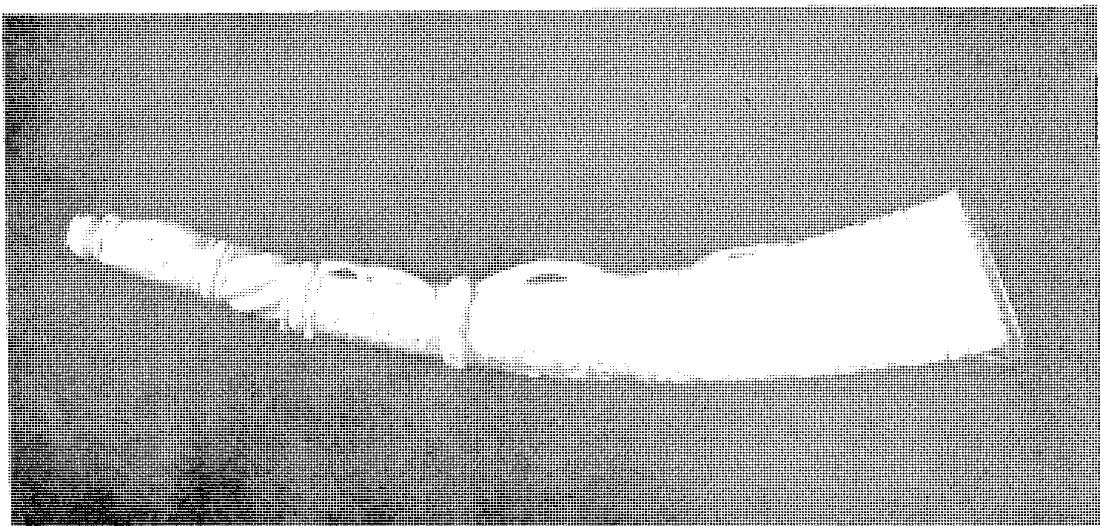
ومع ذلك فقد ظل البرتغاليون يقيمون في المناطق الساحلية بصفة أساسية . وحتى إذا امتد نشاطهم التجارى لمسافة ٤٠٠ ميل بالداخل ، سواء من منطقة انجلولا أو من منطقة موسمبيق ، فقد كان من المتعين عليهم أن يمتازوا ٨٠٠ ميل أخرى حتى يصلوا - برا - من مستوطنة إلى أخرى . وهي مسافة طويلة جداً ومتعددة في مناطق لم يتم استكشافها بعد ، وتعتبر مناطق مجهولة تماماً .

وفي سنة ١٧٩٨ م ، حاول البرتغالي Francisco Lacerda يخترق هذه المناطق الداخلية التي تقع بين انجلولا وموسمبيق ، ولكنه لقى حتفه في قرية Kraal of Cazembe واستطاع التجار البرتغاليون القادمون من منطقة نهر زامبيزى ، الوصول إليها للمتاجرة مع أهلها .

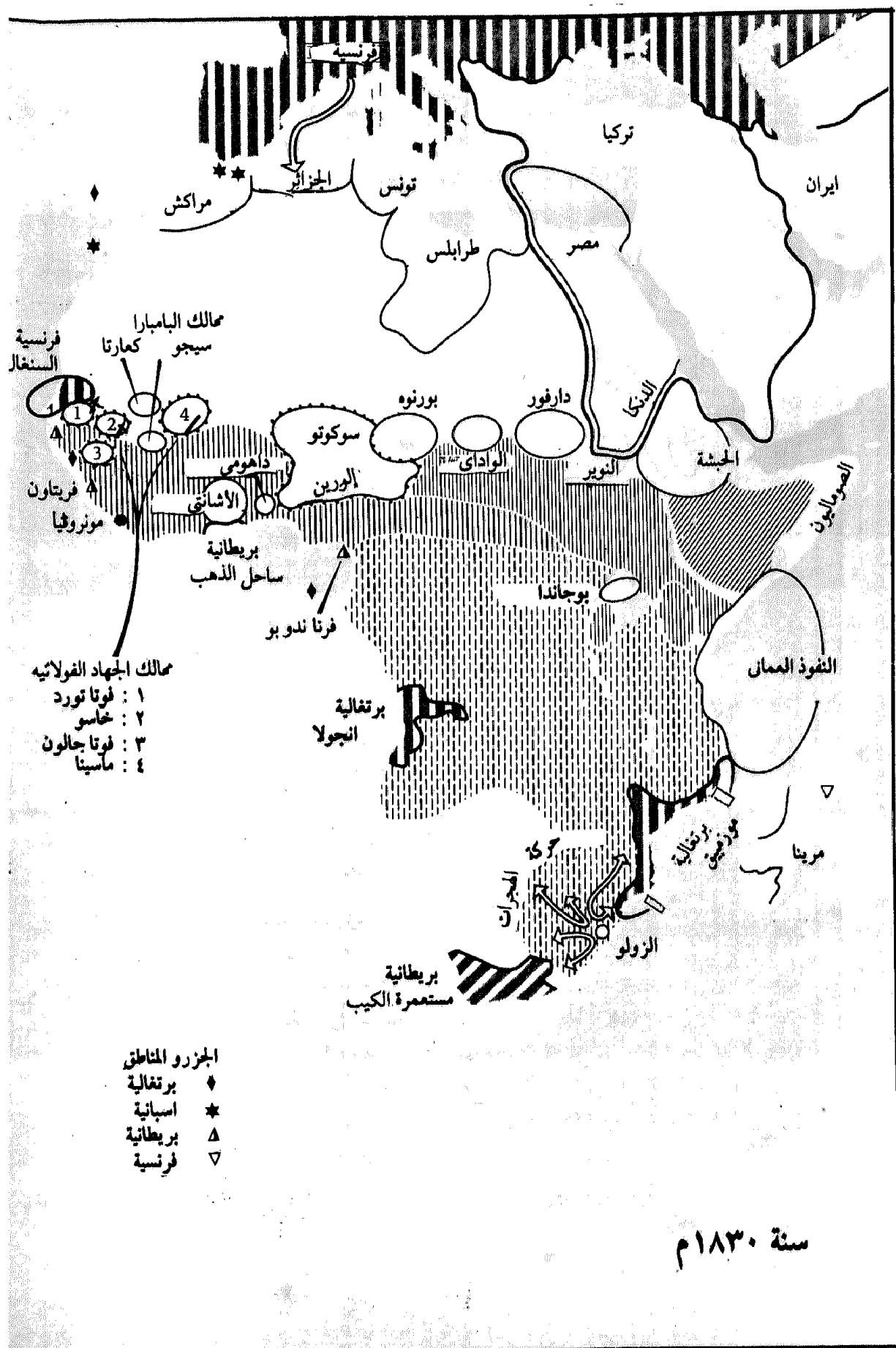
ومن أهم البعثات الاستكشافية التي قام بها الأوروبيون في تلك الفترة بقصد التوغل في المناطق الأفريقية الداخلية ، تلك الرحلة التي قام بها مونجو بارك Mungo Park الذي غادر إنجلترا سنة ١٧٩٥ م قاصداً استكشاف مناطق نهر النيجر . وبالرغم من ثوبات الحمى التي أصيب بها ، فقد استطاع أن يشق طريقه بين جامبيا وسيجو خلال سنة ١٧٩٦ م .

وما ان وصل إلى سيجو حتى آثر العودة سالماً بعد أن تأكد له أنه سيعرض للقتل إذا توغل في الداخل أكثر من ذلك ، حيث أن المسلمين الذين يعيشون في مناطق النيجر الأوسط يتذمرون موقفاً عدائياً ضد أي مسيحي يحاول الوصول إلى تلك المناطق .

وفي سنة ١٨٠٥ م ، عاود مونجو بارك الكرة مرة ثانية ، ولكنه أحضر معه هذه المرة ٤٦ جندياً



مزمار أفريق قديم مصنوع من العاج المزخرف ، وله دلالة سحرية .  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



كان من المستحيل أن يسمح لهم البريطانيون بالإقامة داخل حدود المستعمرة .

كذلك فقد هربت بعض القبائل الأخرى نحو الشمال في المنطقة المعروفة الآن باسم موزمبيق ، ولكن هذه المنطقة لم ترحب بهم ، ولم تقبل جلوهم إليها ، عدا بعض الجماعات القليلة التي نجحت في التسلل إلى المنطقة وأقامت فيها .

أما أصلح ملاذ لجأ إليه القبائل الهاوية من وجه الزولو ، فكان يقع في منطقة المروج العلية High Veld بجبال Drakensberg ، وهي سلسلة جبلية تمتد موازية للساحل . وكانت هذه المنطقة تعتبر في ذلك الوقت من أهداً المناطق الأفريقية وأقلها من ناحية الكثافة السكانية ، حيث تعيش فيها مجموعات قليلة من قبائل السوتو Sotho التي تعيش بجماعاتها الرئيسية على المنحدرات والسفوح الغربية لجبال Drakensberg .

ومع ذلك فما أن حلت قبائل انجونi Nguni بتلك المنطقة هاربة من وجه الزولو ، حتى حلت الفوضى في جميع أنحاء المنطقة . [ ويطلق اسم انجونi على القبائل التي كانت تعيش في المناطق الواقعة بين جبال Drakensberg وساحل المحيط ، وهي قبائل كانت تستخدم لغة الطقطقة والقرقعة Clicks في التخاطب ، وهي لغة اكتسبتها من الاختكاك والاتصال بقبائل المورتونت Hottentots .

اما في مناطق غرب أفريقيا ، فقد شهدت في مطلع القرن التاسع عشر ، استمرار عمليات

في العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، ارتفع المعدل السكاني في النصف الجنوبي من أفريقيا السوداء بشكل أدى إلى حدوث عديد من الأزمات السياسية التي اتسمت بالعنف الشديد . وكانت بؤرة هذا العنف ممثلة في الملك شاكا Shaka الرهيب الذي حكم قبائل الزولو Zulus في الفترة من سنة ١٨١٨ م حتى سنة ١٨٢٨ م . وكانت فترة حكمه عبارة عن سلسلة متصلة من المعارك الضارية ، التي كان يحرز فيها النصر دائمًا ، بسبب التكتيك الجديد الذي اتبعه شاكا في تدريب مقاتليه على استخدام الحراب في الطعن المباشر ، وليس عن طريق قذفها باليدي أو بقوس السهام . وبهذه الطريقة استطاعت الزولو أن تبث الرعب والفزع بين جميع القبائل من سكان المناطق المجاورة . وبذلك وتحت قيادة الملك شاكا ، تحول الزولو من مجرد عشيرة لا أهمية لها ، إلى أن أصبحوا العنصر المتسيد في جنوب شرق أفريقيا .

وقد استحال على جميع القبائل المجاورة للزولو أن تواجه الانقضاضات الضارية والغاريات الوحشية التي كانت تشنها عليهم بين حين وآخر ، الأمر الذي أدى بهذه القبائل إلى أن تفر أمام الزولو وتبتعد عنهم بقدر الامكان .

وقد اتجهت بعض هذه القبائل هاربة إلى الجنوب . ولكنها اصطدمت بالحماية البريطانية التي كانت تسيطر على الحدود الشرقية لمستعمرة الكيب ومناطق نهر السمك الأعظم Great Fish River . وبطبيعة الحال فلم يكن في استطاعة تلك القبائل أن تخترق خطوط البريطانيين ، كما

المناطق الواقعة على ضفاف النيل بين مدینتي  
چيني وغبوكتو .

وفي نفس الوقت تقريبا ، ظهر اثنان آخران  
من بناء الممالك والأمبراطوريات في إفريقيا .  
أولهما : الملك راداما الأول Radama 1 ملك  
Merina ، وهي الدولة التي انشأها أبوه في  
منطقة متواضعة في جزيرة مدغشقر ، ولكنها  
كانت منطقة كثيفة السكان . وفي خلال فترة  
حكم راداما الأول التي استمرت من سنة 1810  
إلى سنة 1828 م ، استطاع أن يتوسع حدود  
المملكة حتى أصبح يسيطر على الجزيرة كلها .

أما ثالث بناء الأمبراطوريات الذين ظهروا في  
إفريقيا خلال تلك الفترة فهو محمد على الضابط  
بالجيش العثماني والذي أرسله سلطان تركيا  
للمحافظة على النظام في مصر في اعقاب  
انسحاب جيش الحملة الفرنسية . وتجدر الاشارة  
هنا إلى أن محمد على كان الوحيد بين معاصريه من  
قادة وحكام إفريقيا ، الذي قرر تكوين جيش  
حديث على النظام الفرنسي ، ليتحقق به التفوق  
الحربى المماطل للتفوق الذى كان يتمتع به الجيش  
الفرنسي . وحتى يتحقق محمد على هذا الهدف ،  
فلم يقتصر على مجرد شراء الاسلحة التاربة من  
دول أوروبا ، بل قام أيضا بتغيير التكوين  
الاجتماعى لقواته المسلحة .

ويمكن القول بأن محمد على قد بدأ  
اصلاحاته بالفعل في سنة 1811 م بعد قيامه  
بمذبحة المالك ، وبذلك قضى على البقية  
المتبقة من النظام العسكري الاقطاعى القديم ،  
الذى كان يقصر حرفة الحرب والتعامل بالسلاح  
على طبقة واحدة متميزة هي طبقة المالك .  
وعلى هذا فقد شرع محمد على على الفور في تجديد  
ابناء الفلاحين المصريين – وهو طبقة كانت  
محترفة من قبل – وكون منهم فرقا للمشاة قام

«الجهاد» الإسلامي التي بدأتها قبائل الفولان  
خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر . وقد  
تم أكبر انجاز هذه القبائل على يد الملك عثمان  
دان فوديو Usman Dan Fodio الذى استطاع  
خلال سنوات قليلة أن يسيطر على جميع  
«الدولات / المدن» السبع التي انشأتها قبائل  
الموسا ، والتي كان يطلق عليها اسم هوسالاند  
Hausaland أو مناطق الموسا . ولم يسيطر  
عثمان دان فوديو على تلك المدن السبع وحدها ،  
بل ضم إلى كل مدينة كل ما كان يجاورها من  
المناطق المحاذية ، بحيث أصبح اسم هوسالاند  
ينصرف إلى الدولات / المدن السبع وما يجاورها  
من مناطق مجاورة .

وأهم المناطق التي صار ضمها إلى تلك المدن  
منطقة إيلورين Ilorin التي كانت تعتبر فيما سبق  
الإقليم الشمالي لأمبراطورية الأويو التي انشأتها  
قبائل اليوروبا . وما أن فقدت الأمبراطورية هذا  
الإقليم ، حتى انهارت تماماً ، ولم يعد متبقياً منها  
سوى إحدى الممالك التي كانت تابعة لها ، وهي  
ملكة داهومى Dahomey التي اعتبرت المملكة  
الوحيدة التي تفصل بين هوسالاند وسواحل  
البحر .

وفي سنة 1817 م مات عثمان دان فوديو في  
المدينة الجديدة سوكوتو Sokoto التي انشأها  
لتتصبح عاصمة لأمبراطوريته . وخلفه على  
العرش ابنه القدير محمد بيلو - Mohamed Belo  
الذى حافظ على الامبراطورية ، ثم خلفه على  
العرش أحد مريديه المخلصين وهو أحدو لوبو  
Ahmado Lobo الذى سعى إلى نشر الدعوة إلى  
«الجهاد» في مناطق النيل الأوسط ، وخصوصا  
في دولة ماسينا Masina التابعة لقبائل  
الفولان . وقد نجح أحدو لوبو في ذلك حتى  
أصبح في خلال سنوات قليلة ، يسيطر على كل

وربما كان محمد على يأمل في الحصول على الذهب من أراضي السودان . ولكن ظنه هذا كان على غير أساس . وبالرغم من حصوله على بعض المكافآت بسبب ازدياد عمليات صيد الأفيال للحصول على العاج من المناطق الجبلية التي تفتحها [مناطق النيل الأبيض حيث تعيش شعوب الدنكا والتويير Dinka And Nuer] فمن المؤكد أن محمد على لم يحصل من أية منطقة من تلك المناطق على موارد تغطي تكاليف الحملة العسكرية التي أرسلت للسيطرة عليها .

ومن أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في سواحل شرق إفريقيا في تلك الفترة قيام السلطان سيد سلطان عمان باعادة فرض السيطرة على جميع المدن الساحلية وتوحيدتها في مملكة قوية واحدة تخضع للسيادة العمانية ، وذلك اعتباراً من سنة ١٨١٣ م فصاعداً .

أما في مناطق شمال إفريقيا ، فقد قام الفرنسيون بغزو الجزائر سنة ١٨٣٠ م ، تحت الادعاء بأن الجزائريين قد أهانوا السفير الفرنسي وعاملوه معاملة غير لائقة . وقد واجه الفرنسيون بعض الصعوبات في الاستيلاء على الجزائر ، ومع ذلك فلم تكن لديهم خطة واضحة للاستفادة التي قد يجنيها من وراء الاستيلاء عليها .

وفي سنة ١٨١١ م ، قات طرابلس باحتلال واحات فزان Fezzan كمحاولة للسيطرة على الطريق التجاري الذي يصل بين طرابلس ويورنس ، والذي كان آنذاك ذروة نشاطه .

\*\*\*

وقد شهد مطلع القرن التاسع عشر أولى المحاولات لوضع نهاية لتجارة العبيد التي كانت

بتسلبيهم وتسلحهم طبقاً لنظام الجيوش الغربية .

وعندما طلب السلطان العثماني من محمد علي أن يساعدته في القضاء على « الثورة الوهابية » التي نشب في شبه الجزيرة العربية ، استطاع هذا الجيش المصري الجديد أن ينجح فيها فشل فيه الجيش العثماني . وفي سنة ١٨١٨ م أعاد محمد علي النظام إلى شبه الجزيرة العربية بعد أن قضى على الثورة .

وفي سنة ١٨٢٠ م قام محمد علي بجيشه الجديد بعملية عسكرية لحسابه الخاص ، فضم على أثرها كل مناطق النوبة العليا ، وبذلك امتدت حدود الامبراطورية المصرية جنوباً حتى وصلت إلى مناطق لم يستطع الوصول إليها الفراعنة الأوائل .

ولم تكن اصلاحات محمد علي قاصرة على الجانب العسكري فحسب ، بل امتدت أيضاً لتشمل الجوانب المدنية . فأنشأ مئات المدارس ، وعشرات المصالح الحكومية والإدارية . وأخذ بنظام التعداد السكاني . وأقام أول مطبعة حكومية في مصر .

ولكن المشكلة الرئيسية التي لم يستطع محمد علي أن يحلها ، هي كيفية تدبير الموارد الكافية لتمويل هذه المشروعات كلها . فالاقتصاد المصري كان يقوم أساساً على الزراعة . ورغم أنه أدخل بعض الصناعات الحديثة في البلاد ، إلا أن الهوة بين هذا التقديم الصناعي والتقديم الذي كانت تحرزه أوروبا في ذلك الوقت كانت سحيقة . وقد أدى هذا الوضع إلى ازدياد الواردات من الخارج دون أن يقابلها ما يوازيها من صادرات ، الأمر الذي أصبح يهدد بحدوث الكثير من المشاكل .

وفي سنة ١٨٢٤ م فامت بريطانيا بخطوة حاسمة في هذا الاتجاه ، حين قام الجيش البريطاني بتحرير قبائل الفانتي Fante التي كانت تعيش على الساحل من سيطرة « الأشانتهين » Ashantehene [ ملك قبائل الاشanti ] .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه الخريطة والخريطة التالية أيضا ، تبيّن وجود المنشآت الدنماركية على ساحل الذهب ، حيث لم تخرج الدنمارك من تلك المنطقة إلا في سنة ١٨٥٠ م حين باع حقوقها في تلك المنطقة إلى بريطانيا .

كما أن هذه الخريطة والخريطتين التاليتين ، تبيّن استمرار وجود الهولنديين حتى سنة ١٨٧٢ م في منطقة ساحل الذهب . ولعل السبب في قبول بريطانيا استمرار وجود كل من الدنماركيين والهولنديين بتلك المنطقة ، يرجع إلى أسباب تجارية وليس بقصد تحقيق أهداف سياسية .

وقد أصبحت منطقة ساحل الذهب مستعمرة بريطانية بصفة رسمية اعتبارا من سنة ١٨٧٤ م . وهي المنطقة التي تدخل الآن ضمن حدود دولة غانا الحديثة .

وظهرت في منطقة غرب افريقيا دولتان افريقيتان لها علاقة مباشرة بعمليات منع وتحريم تجارة العبيد ، وهما : سيراليون Sierra Leone وليبيريا Liberia .

ففي سنة ١٧٩٢ م انثأ البرطانيون مدينة فريتاون Freetown [ وهي النواة التي نشأت حولها دولة سيراليون ] وذلك بقصد توفير ملجأ آمن للعبيد المحررين الذين وقفوا إلى جانب البريطانيين أثناء حرب الاستقلال الأمريكية . وكانت بريطانيا قد قامت من قبل بمحاولات توطن هؤلاء العبيد المحررين في كندا ، إلا انهم لم

تم عبر الأطلنطي . وقد تولت بريطانيا القيام بهذه المهمة . فأصدرت في سنة ١٨٠٧ م قوانين تحريم تجارة العبيد في المناطق التي تسيطر عليها . كما حثت الدول الأوروبية الأخرى لتنهج نفس السياسة .

ويطبيعة الحال فإن اصدار قوانين تحريم تجارة العبيد شيء ، وتطبيق هذه القوانين كان شيئا آخر . وقد أخذت بريطانيا على عاتقها تدبير الموارد اللازمة لمنع تجارة العبيد بطريقة ايجابية ، فخصصت اسطولاً حربياً للمراقبة أمام سواحل غرب افريقيا ، ومزوداً بالتعليمات اللازمة للبحث عن أية سفينة يشك في قيامها بنقل العبيد من افريقيا ، وايقاف هذه السفينة بصرف النظر عن جنسية العلم الذي ترفعه .

ولذلك فقد انخفض عدد العبيد الذين يتم نقلهم من سواحل غرب افريقيا انخفاضاً كبيراً . ولكن لوحظ في نفس الوقت ازدياد عدد العبيد الذين كان البرتغاليون يقومون بهرائهم من سواحل انجلترا . فقد كان المستعمرات البرتغالية في حاجة ماسة إلى المزيد من العبيد لتعزيز ورعاية المساحات الشاسعة في البرازيل التي كانت خاضعة لحكم البرتغال في ذلك الوقت . ومع ذلك فيمكن القول بأن عمليات تجارة العبيد قد بدأت تنخفض على مستوى العالم أجمع .

وقد أدى اضطلاع بريطانيا للقيام بتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد إلى زيادة النفوذ البريطاني في مناطق غرب افريقيا ، بالمقارنة بغيرها من الدول الأوروبية الأخرى . وقد ظهر هذا الاتجاه جلياً في منطقة ساحل الذهب ، التي أصبحت حممية Protectorate بريطانية ، رغم وجود بعض القلاع أو التحصينات الحربية التابعة هولندا والدنمارك .

عدد الليبيين الذين يعيشون حالياً في جمهورية  
ليبيا ، والذين ترجع أصولهم إلى أصول أفرو-  
أمريكية لا يتعدي ١٪ من عدد السكان  
الإجمالي .

وفي سنة ١٨٢٧ م انشأ الاسطول الملكي البريطاني قاعدة له في جزيرة فرناندو بو ، وذلك لاحكام مراقبة وتنفيذ قوانين تحرير تجارة العبيد . وكانت هذه الجزيرة تابعة في الأصل للبرتغال . وفي سنة ١٧٧٦ م تحولت عنها البرتغال لاسبانيا مقابل تخلي اسبانيا عن بعض المناطق في امريكا الجنوية لصالح البرتغال . ثم قامت اسبانيا بتأجير تلك الجزيرة لبريطانيا التي ظلت مسيطرة عليها حتى سنة ١٨٥٨ م . وخلال تلك الفترة قامت سفن الاسطول البريطاني بغل يد تجارة العبيد ، ووضعت نهاية لعمليات تصدير العبيد من افريقيا إلى الامريكتين .

ولذلك فإن الدول والدوليات الأفريقية الواقعه على سواحل غرب افريقيا والتي كانت تساهم في عمليات اقتناص وجلب العبيد وبيعهم قد عانت معاناة شديدة بسبب نقص الموارد التي كانت تجنيها من تلك التجارة . وبالرغم من أن بريطانيا قد حاولت تعويض بعض خسائر تلك الدول والدوليات ، وذلك بتشجيع إمارات نهر النيل على زراعة وإنتاج زيت النخيل كاجراء بدليل للدخل المفتقد ، إلا أن هذه الفترة قد اتسمت بتقليل الصادرات الافريقية المقوله عبر الأطلنطي إلى أقصى حد .

كذلك فقد عادت عمليات تحرير تجارة العبيد باللواء على مختلف فئات الذين كانوا يعملون في تلك التجارة البغيضة . فالمجرمون أصبحوا الآن يحالون إلى الجلادين المدنيين لينالوا عقابهم ، كما أن أسرى الحرب أصبحوا يرسلون إلى الأطباء السحرة

يتحملوا البرد القارس في الأصقاع الكندية .

ومع أن عدد العبيد الذين أعيدوا من كندا إلى فريتاون كان لا يتعدي ألف عبد ، فقد أصبح من الواضح أن مصير فريتاون قد أصبح محل شك . ولكن عندما رابط الاسطول الملكي البريطاني أمام سواحل غرب افريقيا في سنة ١٨٠٨ م لتنفيذ قوانين تحرير تجارة العبيد ، زال الشك عن مصير فريتاون بعد أن أودع بها جميع العبيد الذين تم انقاذهم من بين إيدى النخاسين . وعلى مدى نحو خمسين عاماً ، تم انقاذ وتحرير حوالي ١٠٠,٠٠٠ عبد ، أرسل نحو ٨٠ % منهم للإقامة في فريتاون . ومع ذلك فقد فر نصفهم في محاولة للرجوع إلى مواطنهم الأصلية [ وقليلون منهم استطاع تحقيق ذلك ] . أما النصف الآخر فقد استمر في الحياة الجديدة في فريتاون .

أما مونروفيا Monrovia عاصمة ليبيريا ، فلها أيضا تاريخاً مماثلاً . فقد انشأ الامريكيون هذه المدينة سنة ١٨٢١ م لمساعدة العبيد المحررين في الرجوع إلى افريقيا . وفي سنة ١٨٤٧ م أعلنت ليبيريا جمهورية مستقلة . وكان تعدادها لا يزيد عن ١٦,٠٠٠ نسمة معظمهم من العبيد المحررين العائدين من أمريكا عبر الأطلنطي ، بالإضافة إلى نحو ٦,٠٠٠ من العبيد الذين حررتهم سفن خفر السواحل التابعة للاساطول الأمريكي والتي ارسلت إلى سواحل غرب افريقيا للمساعدة في ايقاف عمليات تجارة العبيد . وقد أجبر هؤلاء العبيد المحررين على الاقامة في ليبيريا .

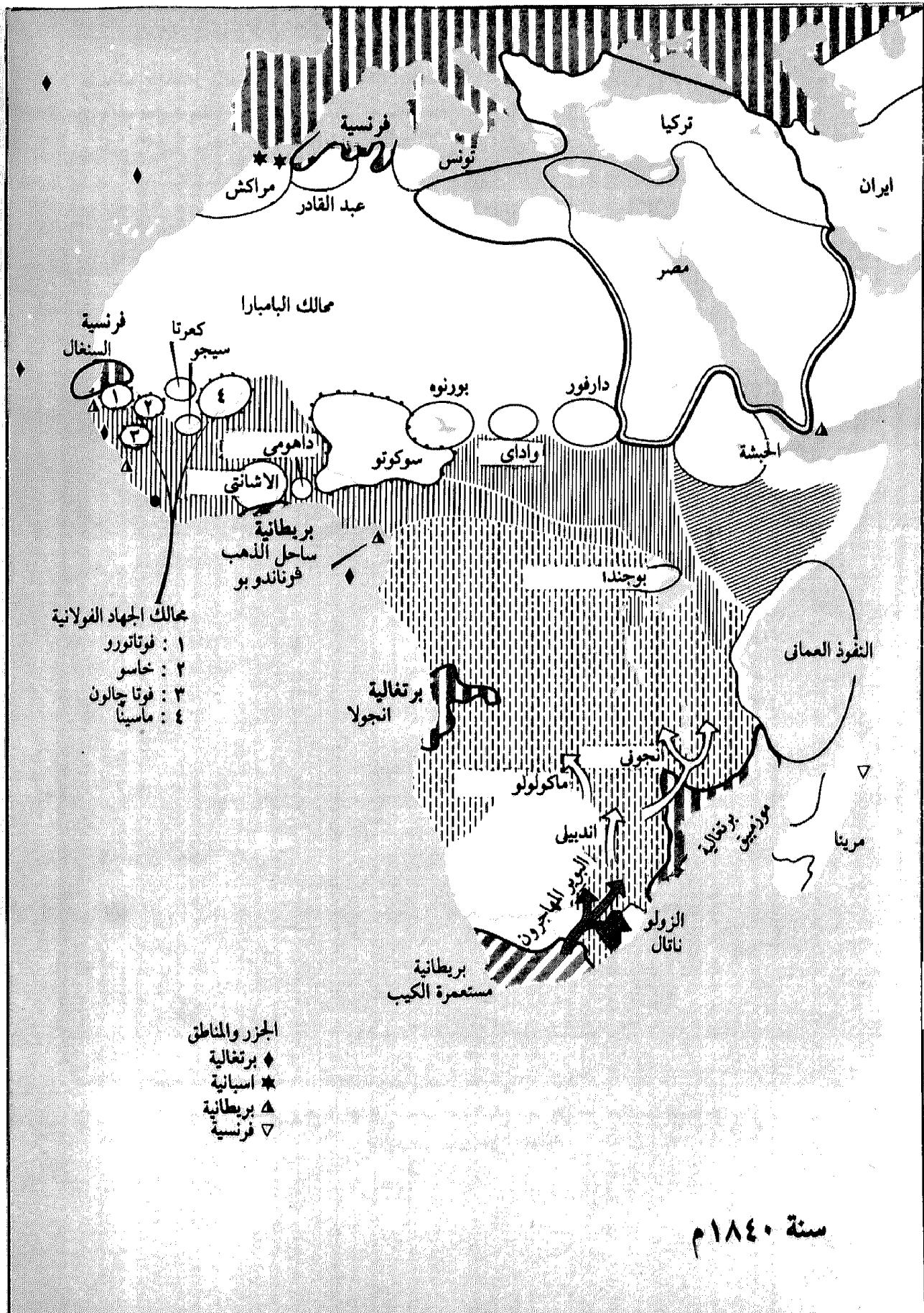
وبطبيعة الحال ، فإن هذه الأعداد تعتبر ضئيلة للغاية ، ولا تمثل أكثر من قطرة أضيفت إلى السكان المحليين الذين كانوا يعيشون في منطقة ليسريا من قبل . وعلى سبيل المثال فإن

تصدير العبيد ، أصبحت آنئذ مشغولة باعدام العديد من الاشخاص غير المرغوب فيهم . وكانت الطرق التي تنفذ بها هذه الاعدامات ، هي النهاية الغريبة لتلك التجارة البغيضة التي كانت تتسم بالحزن وتدعوا للأسف .

للتضحيه بأرواحهم . ولعل هذا هو السبب في اصطياد نظم الحكم في مالك غرب افريقيا في خلال القرن التاسع عشر بصبغة دموية مروعة . وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل داهومي التي كانت تضطلع من قبل بنشاط كبير في عمليات



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى منتصف القرن السابع عشر قبل أحد ملوك بنين السحاريين .  
من معارضات متحف الفن بـ كليفلاند .



في ذلك الوقت ، وبحكمه الملك Dingane الذي تولى عرش الزولو بعد قيامه باغتيال أخيه نصف الشقيق الملك شاكا . ولم يتردد الملك Dingane لحظة واحدة حين أمر بذبح بيت رتيف وحاشيته عندما قاموا بزيارة في قريته . وسرعان ما نشب الحرب بين البوير والزولو ، وكانت الغلبة فيها للنوير الذين استطاعوا أخيراً إعلان جمهوريتهم المستقلة التي كانوا يطمحون إليها دائمًا [ سنة ١٨٣٩ م ] .

وفي نفس الوقت تقريباً كانت القبائل الأفريقية التي هربت من وجه الزولو وتشتتت في مناطق جنوب شرق إفريقيا [ وأهمها قبائل الجروين ] ، وقد واصلت هروبها حتى وصلت أخيراً إلى مقرها النهائي على جانبي بحيرة نيسا Nyasa بعد أن انتصرت في المعارك التي خاضتها ضد مملكة الشونا Shona [ روبيسيما حالياً ] وملكة ماراقي Maravi [ مالاوي حالياً ] .

كذلك فقد قامت جماعات من الماكولولو Makololo التابعة لمجموعة قبائل السوتو Sotho بالهجوم على مملكة اللوزي Lozi التي انشأتها قبائل الباروتسي Barotse في أعلى نهر زامبيزي Zambesi . ولعل هذا هو السبب في أن سكان هذه المنطقة الآن يتحدثون بلغة السوتو .

كذلك فقد فرت قبائل اندبيلي Ndebele أمام زحف البوير المهاجرين ، واكتسحت في طريقها مملكة بوتسوا Butua الواقعة في غرب المناطق التي تسيطر عليها قبائل الشونا . وهناك استقرت قبائل اندبيلي وأسست مملكتها الخاصة .

كان البوير لا يطيقون الحكم الهولنديين الذين كانت ترسلهم هولندا لحكم منطقتهم . وبالتالي فقد أصبحوا يكرهون الحكم الإنجليزي الذين كانت تعينهم إنجلترا لحكم المنطقة بعد أن استولت عليها . وبينما انحازت أوروبا إلى الفكرة العامة التي تحرم تجارة العبيد ، ظل البوير متسلسين بفكرتهم السابقة عن الأفارقةيين السود ، باعتبارهم مخلوقات أدنى خلقهم الله خصيصاً لخدمة الإنسان الأبيض .

ولذلك فقد تعرض البوير للضغط من جانب الحكومة البريطانية التي قامت بتحرير مستعمرة الكيب ، ومن جانب بعثات التبشير المحلية ، لكنه يضعوا حداً لوحشيتهم في معاملة الأفارقةين . ولكن البوير تمكروا بانتهاك قوانين تحرير العبودية ، واضطروا إلى الهجرة الجماعية لغادرة المستعمرة والابتعاد عن مناطق النفوذ البريطاني . وفيما بين عامي ١٨٣٥ - ١٨٤٠ م ، قام نحو عشرة آلاف منهم بعبور نهر أورانج Orange الذي كان يعتبر حداً فاصلاً للنفوذ High Veld البريطاني ، وأقاموا في منطقة المروج العليا

وقد حاول قادة هذه الهجرة الجماعية ، أن ينشئوا للبوير دولة مستقلة لها منفذ خاص مطل على البحر . ولذلك فقد استقر بعض البوير في منطقة المروج العليا ، بينما قامت الأغليبية العظمى من البوير — بقيادة بيت رتيف Piet Retief — بمواصلة الهجرة الجماعية مخترقين جبال دراكتزيرج حتى وصلوا إلى أقاليم ناتال Natal .

وكان هذا الأقليم تحت سيطرة قبائل الزولو

يمكّنوا من احتلال واحات فزان إلا في سنة ١٨٤٢ م.

أما بالنسبة لمناطق الساحل الشرقي لأفريقيا التي كانت آنذاك خاضعة للنفوذ العثماني ، فقد رأى السلطان سيد سلطان عمان ، أن هذا القسم الأفريقي من امبراطوريته أكثر ثراءً وخيراً من القسم العربي ، لذلك فقد قام بنقل عرشه وبلاطه إلى جزيرة زنجبار في سنة ١٨٤٠ م .

وفي مصر ، اضطر محمد على لايقف محاولاته في السيطرة على جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية – وقد كان ذلك في استطاعته – وذلك بعد أن أصبح من الواضح أن القوى الأوروبية – خصوصاً بريطانيا – لن تسمح له أبداً بالفوز بتلك الغنيمة . وكان ذلك حلال السنوات ١٨٣٠ -- ١٨٤٠ م .

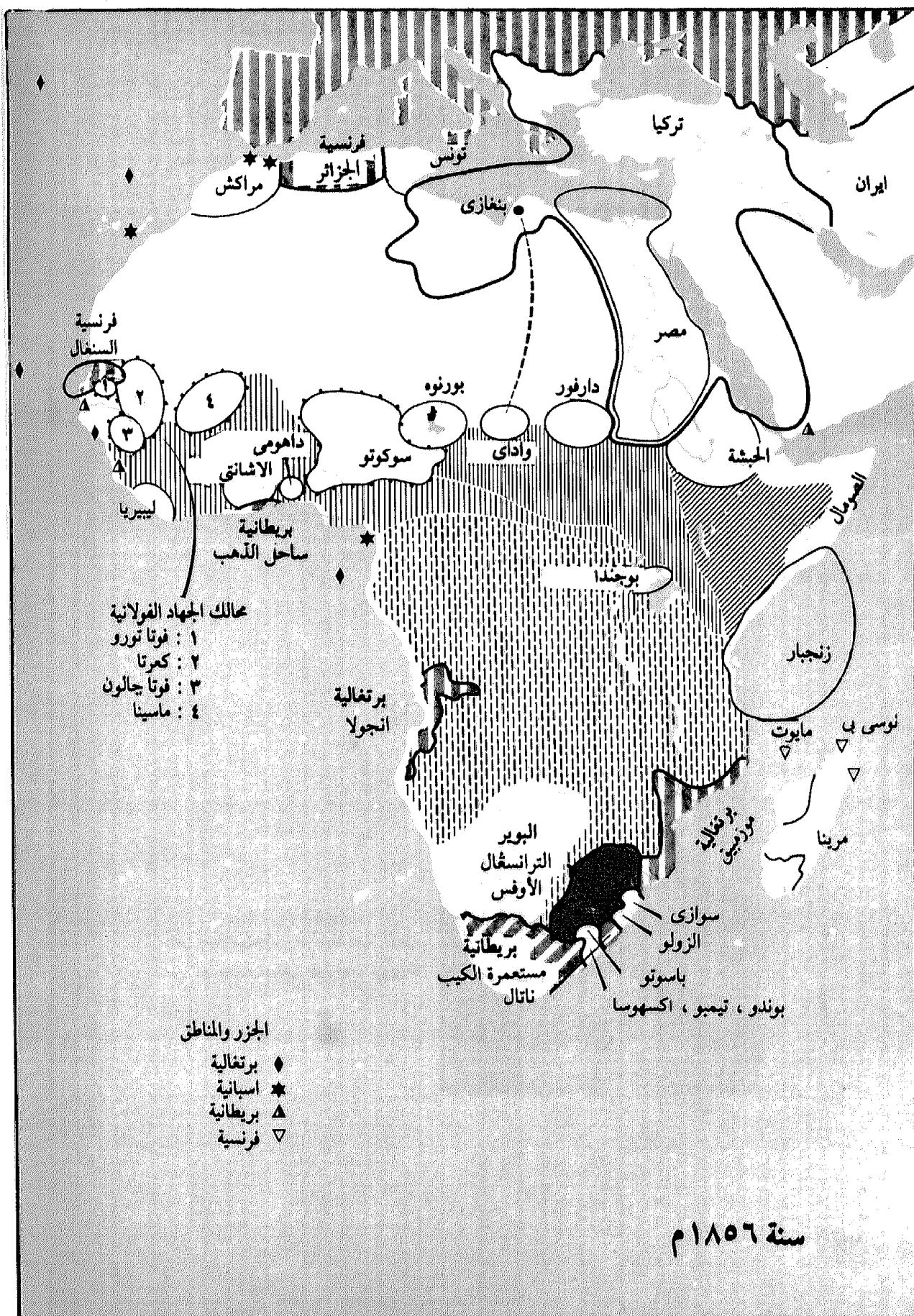
وكان النظام الاجتماعي في تلك المملكة الجديدة يقوم على أساس فرض قبائل انجوبي كطبقة حاكمة . تليها طبقة أخرى تمثل في قبائل السوتو التي انضمت إليهم خلال عبورهم منطقة المروج العليا . أما الطبقة الثالثة والأخيرة ، فتكون من السكان الأصليين من قبائل الشونا .

أما بالنسبة لمناطق شمال أفريقيا ، فقد عزم الفرنسيون على البقاء في الجزائر . وفي سنة ١٨٤٠ م قاموا بالسيطرة على كل المنطقة الساحلية بالجزائر . ومع ذلك فلم يتمكن الفرنسيون من فرض سيطرتهم على القبائل التي كانت تعيش بجبال أطلس تحت قيادة الأمير الباسل الشجاع « عبد القادر » .

وفي سنة ١٨٣٥ م أعاد العثمانيون سيطرتهم المباشرة على أقليم طرابلس ، رغم أنه لم



رأس عصا صولجان أحد ملوك بنين القدماء .  
من معارضات متحف المتروبولitan بنيويورك .



سنه ١٨٥٦

الجيب و٣٠٠٠ روبية في جهوريات البوير و٧٥٠٠ روبية في إقليم ناتال [ . هذا بالإضافة إلى نحو ٣٠٠٠ من البرتغاليين الذين يعيشون في أنجولا وموزمبيق :

وفي منطقة جنوب غرب الصحراء الكبرى . واصل الفرنسيون تقدمهم في مناطق السنغال . وقد أدى ذلك إلى اصطدامهم بقوات « الحاج عمر » آخر قادة دول الجهاد التي انشأتها قبائل الفولاني ، وهازم دولة كورتا Kaarta . ولكن هذا الاصطدام قد أدى في النهاية إلى نتيجة متوازنة ، فلم يتقدم الحاج عمر للاستيلاء على القلعة التي انشأها الفرنسيون في منطقة مدینة Medina ، كما لم يواصل الفرنسيون تقدمهم إلى ما وراء هذه النقطة .

أما في مناطق سواحل شرق أفريقيا ، فقد انفصلت زنجبار عن دولة عمان بموت السلطان سيد سنة ١٨٥٦ م . كما أقام الفرنسيون حاميات عسكرية في جزيرة مايوت Mayotte [ من مجموعة جزر القمر ] . وفي منطقة نوسى بي بجزيرة مدغشقر Nosy Be [ سنة ١٨٤١ م ] .

وأخيراً فقد ظهرت الطريقة السنوسية وأصبحت القوة المسيطرة على قبائل البدو الذين يعيشون بأواسط الصحراء الكبرى . وقد سيطر السنوسيون<sup>(١)</sup> على الطريق التجاري الجديد الذي ينخرق الصحراء ويربط بين بنغازى في إقليم برقة وملكة وادى بالسودان .

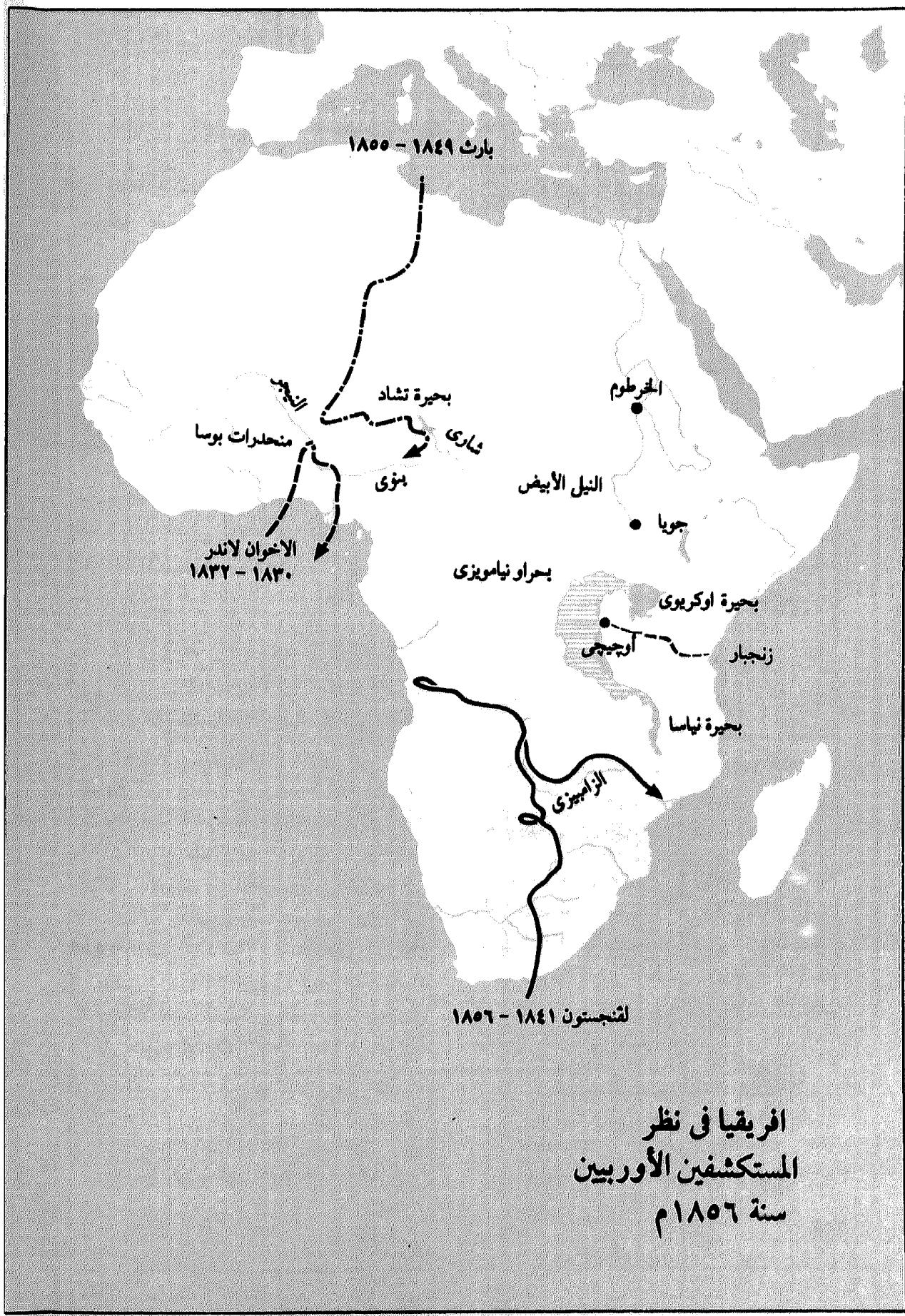
وقد انتشرت السنوسية في واحات فزان والكفرة ، ولها أئراد وأسرار خاصة . ونادت بالجهاد في الفقه والشريع الإسلامي . وكان لها دور لا ينكر في مقاومة الاحتلال الإيطالي والفرنسي [ المترجم ]

وقد أدى استمرار المنازعات بين البوير الذين استوطنا إقليم ناتال والأهالي المحليين من قبائل البانتو ، إلى تدخل بريطانيا لحسن هذا النزاع . وبالتالي أصبح إقليم ناتال مستعمرة بريطانية ، وأصبح من المحتم على البوير أن يرحلوا من هذا الأقليم . فقاموا بهجرة جماعية أخرى حتى اخترقوا جبال دراكتز برج وعادوا إلى منطقة المروج العليا .

وفي هذه المرة اعترف البريطانيون للبوير بحقهم في البقاء . وفي سنة ١٨٥٢ م اعترفوا رسمياً بدولة البوير المستقلة في إقليم الترانستفال Transvaal . وفي سنة ١٨٥٤ م اعترفوا أيضاً بدولة أورانچ الحرة Orange Free State .

وفي شمال أفريقيا ، تمكّن الفرنسيون بقيادة الپخراں بوجو Bugeaud من احتلال الجزائر والانتصار على مقاومة قبائل جبال الأطلس بقيادة الأمير عبد القادر . وذلك بعد العديد من المعارك الحربية التي استمرت من سنة ١٨٤١ م حتى استسلام عبد القادر سنة ١٨٤٧ م . وعلى الفور تدفقت جموع غفيرة من الأوروبيين ليستوطنوا الجزائر . أقلية من الفرنسيين وأغلبيتهم من الإسبان والإيطاليين والمالطيين . وفي سنة ١٨٥٦ م وصل عدد هؤلاء المستوطنين الأوروبيين إلى نحو ١٧٠،٠٠٠ أوروبي ، وهو عدد يكاد يكون مائلاً لعدد المستوطنين الأوروبيين البيض في مناطق جنوب أفريقيا [ ١٤٠،٠٠٠ في منطقة

(١) - السنوسية: أحدى الطرق الصوفية . أسسها محمد بن علي السنوسي الادريسي (١٧٨٧ - ١٨٥٩ م) الذي ولد بالجزائر وتوفي بواحة جفوب التي اختارها مقراً لهذه الطريقة .



## أفريقيا في نظر المستكشفيين الجغرافيين الأوروبيين

سنة ١٨٥٦

العرب الذين كانوا يقومون برحلاتهم من زنجبار حتى وصلوا إلى منطقة أوجيچي Ojiji بـشواطئ بحيرة تنجانيقا . فقد أورد هؤلاء التجار العرب تقاريراً تفيد بوجود بحيرتين كبيرتين أخرىين : أحدهما بحيرة أوكرىوي Ukerewe التي تقع شمالاً . وثانيةها بحيرة نياسا التي تقع جنوباً .

وكان هناك اعتقاد شاع لدى الأوروبيين الذين كانوا يستوطنون المناطق القريبة من منطقة البحيرات الأفريقية ، أن هذه البحيرات الثلاث جميعها عبارة عن جزء من بحر داخلي كبير عرف باسم بحر أونيامويزي Unyamwezi . وأيضاً كانت مدعى صحة هذا الاعتقاد ، فقد ثبت أن بحيرة نياسا هي نفسها البحيرة التي أطلق عليها البرتغاليون الذين كانوا يستوطنون مناطق نهر زامبيزي اسم آخر هو بحيرة مارافي Lake Maravi .

أما نهر الزامبيزي نفسه فقد تم استكشافه تماماً وأعدت له خرائطه الدقيقة بمعرفة دايفيد لفينجستون David Livingstone ، المبشر الذي استهوره عملية الاستكشاف . ولم تكن الرحلة التي قام بها في خلال عامي ١٨٥٥ - ١٨٥٦ هي رحلته الأولى التي توغل فيها إلى داخل المناطق الأفريقية . ولكنها الرحلة التي كانت أكثر ذيوعاً وانتشرت أخبارها في بريطانيا ، الأمر الذي حث الحكومة البريطانية على أن تقدم المساعدة إلى لفينجستون وتزويده بالأموال اللازمة لاستمرار عملياته الاستكشافية .

وفي ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية

فيما بين عامي ١٨٣٠ - ١٨٣٢ م قام الأخوان لاندر Lander Brothers بـكشف الغموض الذي كان يكتنف موقع مصب نهر النيل . فقد قام الأخوان بالسفر براً من خليج غينيا حتى منطقة منحدرات بوسا [ حيث قتل مونجو بارك ] . ومن هناك أبحر الأخوان عبر أدنى النهر حتى وصلاً إلى البحر .

ومع ذلك فقد استمر الغموض يحيط بالرافد الرئيسي لنهر النيل وهو نهر بنوى Benue كان يظن فيما سبق أنه كان ينبع من بحيرة تشاد ، وهو ظن خاطئ ، وضحت عدم صحته بعد قيام هنريش بارث Heinrich Barth باستكشاف المنطقة وتقريره بأن نظام بحيرة تشاد ونهر شاري Chari الذي يخرج منها نظام مغلق ومستقل ومنفصل تماماً عن نظام نهر النيل .

وفي الجانب الآخر من القارة ، أخذ محمد على على عاتقه مهمة محاولة اكتشاف منابع النيل ، فارسل عدة بعثات استكشافية بدأت رحلاتها من مدينة الخرطوم ، وواصلت الصعود في مجرى النيل الأبيض ، وانخرفت منطقة السدود حتى وصلت إلى شلال چوبا Juba . وذلك في خلال الفترة ما بين عامي ١٨٣٩ - ١٨٤٢ م . ومعنى ذلك أن مجرى النيل أصبح معروفاً كله عدا بضعة مئات قليلة من الأميال تفصل بين جوبا والمنابع التقليدية لنهر النيل في منطقة البحيرات بشرق أفريقيا .

وكانت هناك بعض المعلومات القليلة عن منطقة البحيرات بشرق أفريقيا ، نقلها التجار

مناطق حوض النيل . ولذلك فلا يمكن بالتالي أن تكون هذه البحيرة منبعاً للنيل .

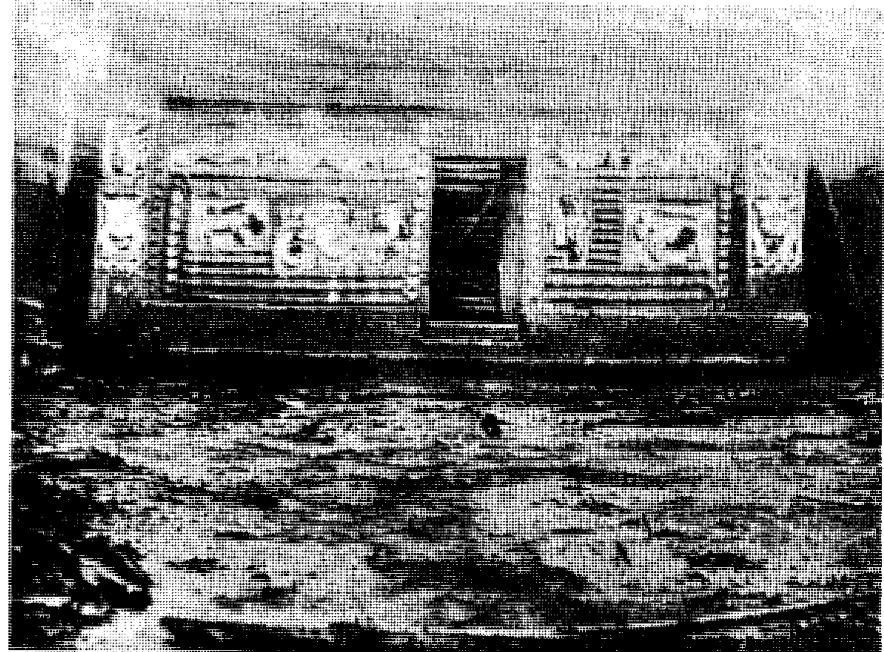
وفي طريق العودة ، أصر سبيك على أن يقوم وحده بالرحلة إلى الشمال بقصد الوصول إلى بحيرة أوكريري Ukerewe .. وقد وصل إليها بالفعل وأطلق عليها اسمًا جديداً هو بحيرة فيكتوريا . وعاد فوراً لكي يلحق ببرتون حيث أخبره باكتشافه الجديد لمنابع النيل . غير أن بيرتون عارضه في ذلك على أساس أن الأيام الثلاثة التي قضتها سبيك على شاطئ تلك البحيرة المترامية الأطراف ، لا تكفي كدليل على أنها منبع النيل ، حيث يقتضي الأمر الدوران حول محيطها الواسع للتأكد من أن النيل يخرج منها فعلاً . ومادام سبيك لم يتمكن من ذلك فلا يمكن الجزم بوجود آية علاقة بين هذه البحيرة ونهر النيل . وبالتالي فقد حدث خلاف شديد بين بيرتون وسبيك لدرجة أنها عندما عادا إلى زنجبار مرة ثانية ، كانوا لا يتبدلان فيما بينهما كلمة واحدة .

ضالعة على نحو بسيط في العمليات الاستكشافية في إفريقيا ، حيث تعهدت باعانت بعثة بيرتون وسبيك Speke لاستكشاف مناطق البحيرات بشرق إفريقيا .

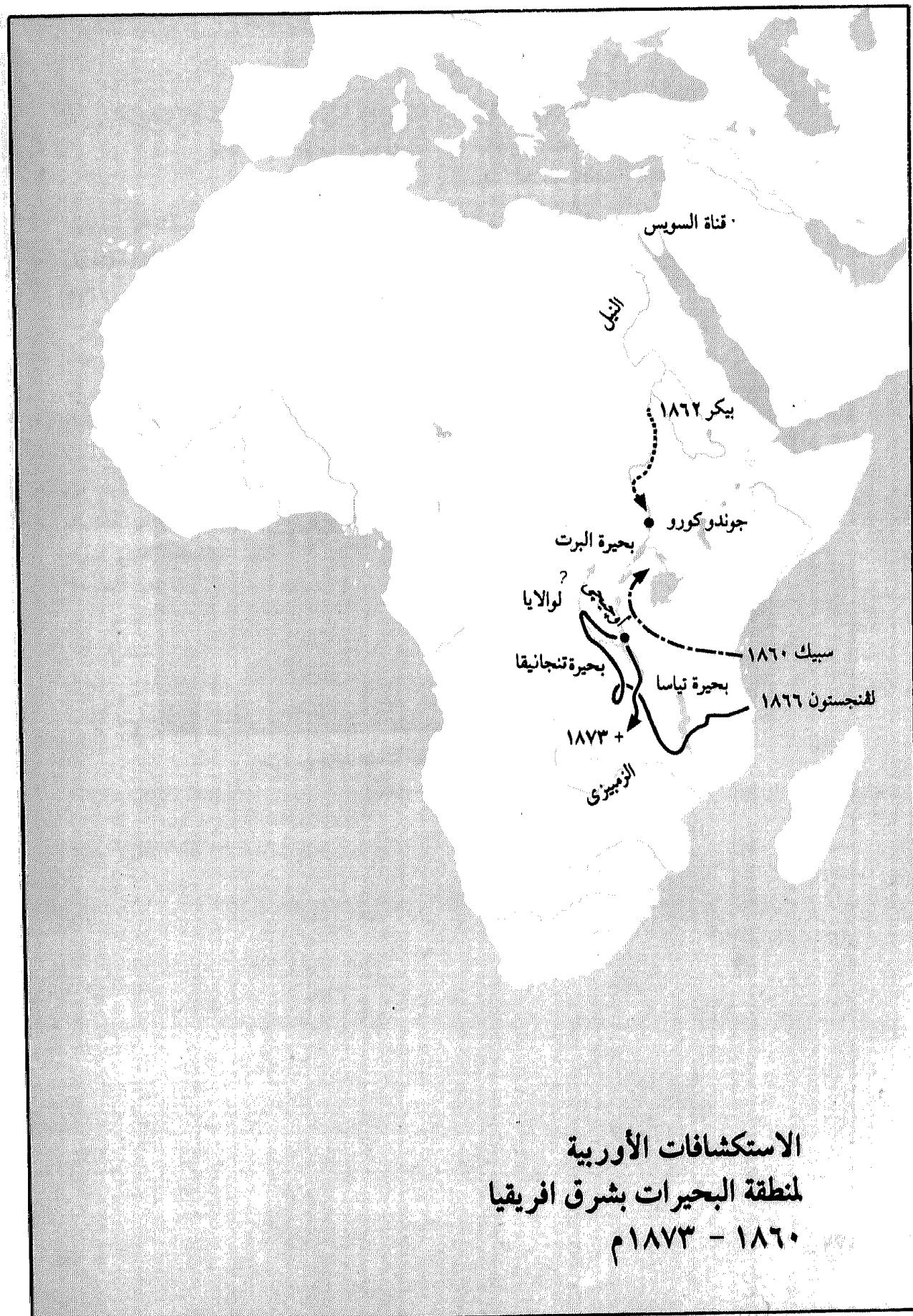
وكان بيرتون رحالة أكثر منه مستكشفاً . وقد سبق له القيام بالعديد من الرحلات التي استغرقت فترة طويلة من حياته ، وقام فيها بكتابة التقارير عن البلاد التي زارها مثل مدينة مكة ومملكة داهومى ومدينة بحيرة الملح Salt Lake City . وكانت خطة بيرتون أن يخترق نفس الطريق الذي كان يخترقه التجار العرب من زنجبار إلى أوجيچي على بحيرة تنجانيكا .

أما سبيك ، فقد كانت تستحوذ عليه فكرة واحدة هي الوصول إلى منابع النيل ، ولم يكن لديه عدا ذلك أي مطعم آخر .

وكانت العلاقة على ما يرام بين بيرتون وسبيك حتى وصلا معاً إلى أوجيچي . وهناك صدم سبيك عندما وجد أن بحيرة تنجانيكا تقع في منطقة ذات مستوى أكثر انخفاضاً من مستوى



صورة فوتوغرافية التقطت سنة ١٨٩٧ م ليت أحد رؤساء القبائل في بنين .



## الاستكشافات الأوربية لمنطقة البحيرات بشرق افريقيا [ من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٨٧٣ م ]

هذا الموضوع الذى استهوى الكثيرين في بريطانيا ، لم يبذل لفنجستون الأب الروحى للاستكشافات الأفريقية كثيراً من الجهد في جمع التكاليف اللازمة لقيامه برحلة استكشافية يضع فيها حداً لهذا الجدل . وفي سنة ١٨٦٦ م بدأ لفنجستون رحلته الجديدة من منطقة بحيرة نیاسا [ التي استكشفها خلال رحلاته بين عامي ١٨٥٨ - ١٨٦٣ م ] واتجه إلى بحيرة تنجانيقا . وفجأة اختفى لفنجستون وانقطعت أخباره عن العالم لمدة خمس سنوات متالية .

وأقامت حملة صحفية واسعة النطاق للدعوة إلى البحث عن لفنجستون ومعرفة مصيره . وفي سنة ١٨٧١ م وصل هنرى مورتون ستانلى Stan-ley إلى أوچيجى ، حيث عثر على لفنجستون منهوك القوى . وكان لفنجستون - مثل بيرتون - يؤيد الفكرة القائلة بأن بحيرة تنجانيقا هي منبع النيل ، وقد عثر على ما يعنى هذه الفكرة متمثلاً في نهر لوالابا Lualaba الذي يخرج من بحيرة تنجانيقا ويتجه شمالاً بغرب . وعلى هذا فيمكن اعتباره نهر النيل في طريقه إلى بحيرة البرت .

وقام ستانلى ولفنجستون بالتأكد من أن نهر لوالابا هو النهر الوحيد الذي يخرج من بحيرة تنجانيقا . وعلى هذا فقد عاد ستانلى وحده إلى زنجبار تملأه السعادة بكشفه الجديد .

أما لفنجستون فلم يغادر افريقيا . وفي سنة ١٨٧٢ م شرع في رحلة استكشافية جديدة للوصول إلى المناطق العليا بحوض نهر لوالابا .

في سنة ١٨٦٠ م عاد سبيك مرة أخرى إلى افريقيا . وفي سنة ١٨٦٢ م بعد إقامة طويلة في بلاط الملك موتسا Mutesa ملك بوجندا Buganda واصل سبيك رحلته حتى وصل إلى شلالات ريبون Rippon Falls وهى سلسلة من مساقط المياه التى تخرج مباشرة من بحيرة فيكتوريا ، ويولد منها أشهر أنهار الدنيا . . نهر النيل . وعلى هذا واصل سبيك رحلته واتجه شمالاً وهو في قمة السعادة باكتشافه الجديد .

وفي منطقة جوندوكورو Gondokoro تقابل سبيك مع الزوجين مستر ومسز بيكر Bak-er اللذين رحلا من الخرطوم واتجاهها جنوباً ليتقى بها . وخبرهما سبيك باكتشافه الجديد لمتبع النيل ، وخبرهما كذلك بالاشاعات التى سمعها عن بحيرة أخرى تقع إلى الغرب من بحيرة فيكتوريا .

وفي سنة ١٨٦٤ م وصل الزوجان بيكر إلى هذه البحيرة وأطلقا عليها اسمها جديداً هو بحيرة البرت Lake Albert ولكنها وجداً أن نيل فيكتوريا الذى اكتشفه سبيك يصب في الطرف الشمالي الشرقي من هذه البحيرة ، أما النيل الحقيقي فيخرج من الطرف الشمالي الغربى للبحيرة . ومعنى هذا أنه إذا كانت الأطراف الجنوبيّة لبحيرة البرت تتدلى إلى الجنوب أكثر من امتداد الشواطئ الجنوبيّة لبحيرة فيكتوريا ، فلا يمكن وبالتالي اعتبار هذه البحيرة الأخيرة منبعاً لنهر النيل كما قال سبيك .

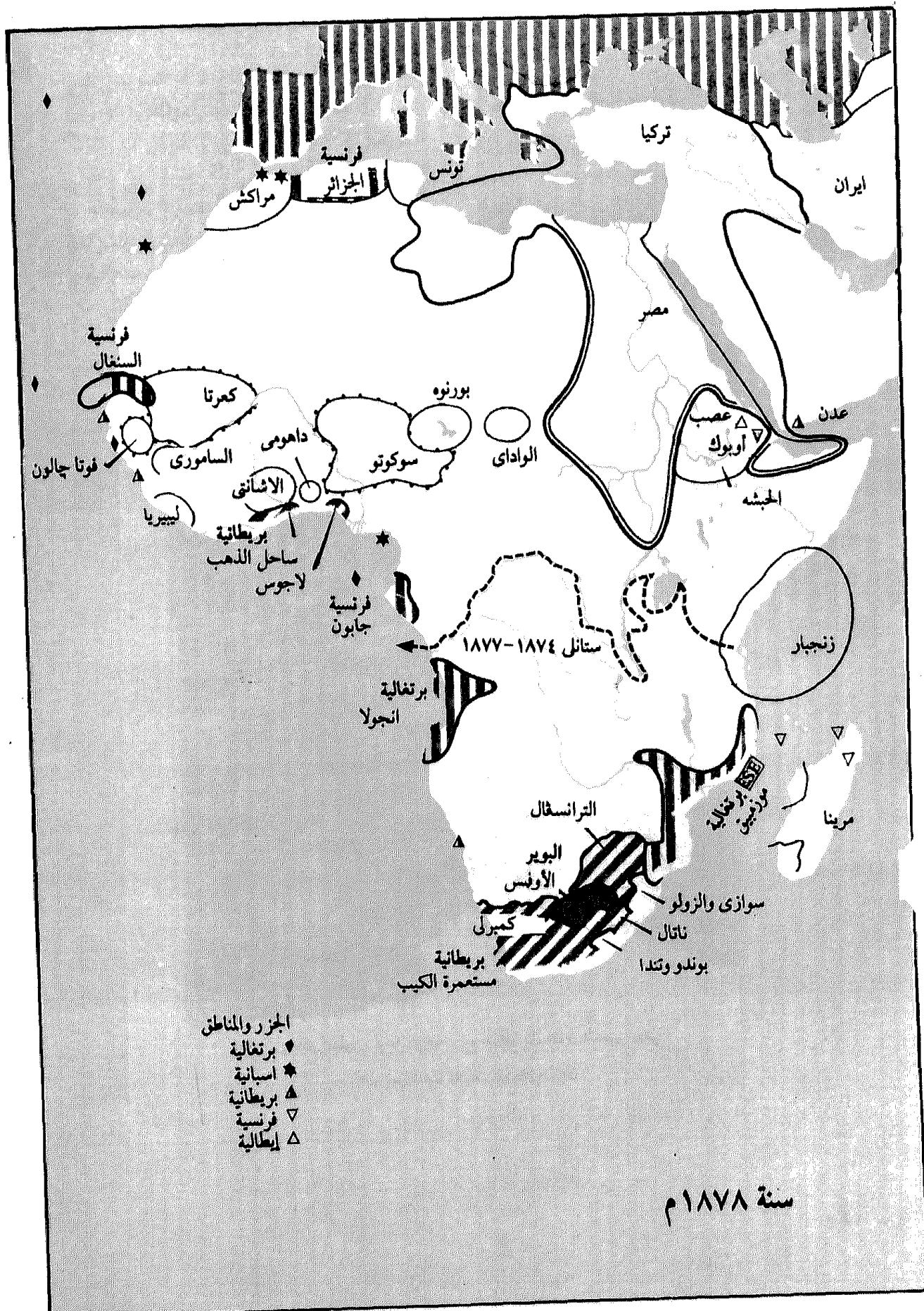
وبينما استمر الجدل بين سبيك وبرتون حول

وكان مهرجان افتتاح قناة السويس أهم الأحداث العالمية في تلك الفترة، وتلقى الخديوي اسماعيل [ حفيد محمد على ] التهان من كافة أنحاء العالم . وبدأت مرحلة جديدة من دخول مصر والمصريين إلى الحياة العصرية الحديثة . وفرح الفرنسيون عندما اعتبروا أنفسهم الشركاء الرئيسيين للخديوي اسماعيل ، وأن علاقتهم الجديدة بخديو مصر ستعود عليهم بالكثير من الربح وعلو المكانة .

وفي سنة ١٨٧٣ م ، وفي منطقة تقع الآن على الحدود بين دولتي زامبيا وزائير مات لفنجستون وبينها انصرف اهتمام البريطانيين إلى اكتشاف منابع النيل ، كان الفرنسيون يشرفون على حفر أهم مرماثي في إفريقيا . ففي سنة ١٨٦٩ م انتهى فرديناند دي لسبس من حفر قناة السويس ، بعد التغلب على مجموعة من المصاعب المالية والسياسية وال الهندسية استمرت لحوالي عشر سنوات متالية .



صيادو النمور . لوحة افريقية يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر .  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



وفي الفترة ما بين عامي ١٨٧١ - ١٨٧٣ م استاجر الخديوي اسماعيل المستكشف صمويل بيكر Samuel Baker للقيام باستكشاف منطقة أعلى النيل الأبيض ، وهى المنطقة التى ضمها إلى امبراطوريته تحت اسم المديرية الاستوائية .

وفيها بين عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ م ضم أيضاً أقليم دارفور Darfur بناء على صفقة اتفق عليها مع الزبير ، وهو تاجر مصرى ، كان قد استولى على هذا الأقليم بجيشه الخاص الذى كان يعمل في منطقة بحر الغزال .

وفي سنة ١٨٧٥ م حاول الخديوي اسماعيل غزو الحبشة . ولكن محاولته هذه باءت بالفشل الذريع . ذلك لأن الخزانة المصرية في تلك الفترة أصبحت في حالة ميؤوس منها . وكان الخديوي في حاجة ماسة إلى المال . فماذا فعل ليحصل عليه !؟

باع الخديوى للبريطانيين حصة مصر التي تبلغ نحو ٤٤٪ من أسهم قناة السويس ، في مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضئيل سرعان ما تبخر قبل نهاية العام .

وفي العام التالي تلاحت الهزائم في منطقة الحبشة ، وأعلن إفلاس الخزانة العامة للدولة ، اعقبه انذار من الدائنين الأوروبيين ، كانت نتيجته المباشرة وضع الميزانية المصرية تحت اشراف وسيطرة الدائنين الأجانب . وبذلك انزلقت مصر إلى الوقوع في براثن الاستعمار ، واصبحت تمثل شكلاً من أشكال المحبيات الدولية Inter-national Protectorate طلقة واحدة .

وبعد نحو عام من وفاة لفنجدستون ، عاد هنرى مورتون ستانلى مرة أخرى إلى إفريقيا . وكان مزوداً هذه المرة بالامكانيات المالية والقدرة على تنظيم العمل لحل المشكلات والتساؤلات السابقة . وقام ستانلى أولاً بالدوران حول بحيرة فيكتوريا [ سنة ١٨٧٥ م ] . ثم حول بحيرة تنجانيقا [ سنة ١٨٧٦ م ] . ثم تغلب على كل الصعوبات التي اعترضته حتى وصل إلى نهر لوالابا حيث أنزل فيه قاربه المصنوع من الصلب [ والسمى ليدى آليس Lady Alice ] . وظل مبحراً في مجراه حتى وصل إلى البحر في أغسطس ١٨٧٧ م . وأعلن ستانلى النتائج والمعلومات التي توصل إليها بتلك الرحلة : فنهر لوالابا هو نفسه نهر زائر Zaire ، وبحيرة فيكتوريا هي منبع النيل .

ومن أهم التطورات السياسية التي حدثت في تلك الفترة قيام الخديوى اسماعيل الذى حكم مصر من سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٩ م بارسالبعثات الاستكشافية في المجاهين مختلفين : الاتجاه الأول نحو المناطق الجنوبية للبحر الأحمر . [ وهو اتجاه كان مرتبطاً بفتح قناة السويس ] . أما الاتجاه الثاني فكان نحو أعلى النيل .

وفي سنة ١٨٦٥ م حصل الخديوى اسماعيل على موافقة السلطان العثمانى بوضع كل من سواكن Suakin ومصوع Massawa تحت اشراف الحكم المصرى . وفي الفترة ما بين عامي ١٨٧١ - ١٨٧٥ م أقامت مصر حاميات عسكرية في معظم الموانى الواقعه على الساحل الافريقي للبحر الأحمر وعلى خليج عدن .

على رؤساء القبائل وحكام الأقاليم . وقد تحقق ذلك على يد الملك تيودور الثاني ، في خسینات القرن التاسع عشر ، الذي سعى إلى تحقيق هذا الهدف باصرار يشوبه نوع من جنون العظمة . وقد نجح تيودور الثاني في ذلك إلى حد كبير ، ولكنه اصطدم في النهاية بحاجته الملحة إلى الموارد لتمويل عملياته الحربية .

وفي سنة ١٨٦٤ م ، ويسبب عدم تلقيه الرد على أحد خطاباته التي أرسلها إلى الملكة فيكتوريا ، قام تيودور الثاني باستدعاء القنصل البريطاني إلى قصره ، ووضع القيد الحديدي في يديه ، وأمر بسجنه في قلعة مجدا Magdala .

وحتى تتمكن بريطانيا من تخلص فنصالها أرسلت جزءاً من جيوشها التي كانت تحتل الهند ، يتكون من ٣٢٠٠ جندي للقيام بهذه العملية . وبذلت هذه القوة مسیرتها من ميناء مصوع متوجهة إلى مجدا . وذلك عبر سكة حديدية كانت تمدها القوة بنفسها أولاً بأول ، حتى وصلت إلى مجدا واقتحمت قلعتها وحررت القنصل البريطاني الذي لم يكن قد الحق به أى أذى . وبعد ذلك عادت هذه القوة العسكرية إلى ميناء مصوع ومنه أبحرت عائدة إلى الهند .

ومن أهم نتائج هذه الحملة ، أن أصبحت الجبهة تعانى الفوضى مرة أخرى ،خصوصاً بعد أن انتحر تيودور الثاني باطلاق النار على رأسه عندما بلغه خبر سقوط مجدا .

ولكن هذا الوضع تغير بسرعة عندما تولى الملك چون الرابع عرش الجبهة وانتهت نفس سياسة سلفه . واستعاد السلطة الملكية على معظم أنحاء البلاد ، كما استطاعت قواته أن تصد الهجمات التي قام بها المصريون خلال عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ م . كما استفاد من الوضع الناتج من تراجع القوات المصرية عن حدود بلاده .

ومن الناحية التاريخية فقد وجه اللوم إلى الخديوي اسماعيل باعتباره السبب الذي أدى بمصر إلى هذا الوضع . كينا وجه إليه اللوم لأسباب كثيرة أخرى وأحياناً بلا سبب . لقد كانت طريقة حل المشاكل هي اغراقها بالأموال ، وربما كان مثل هذا السلوك مناسباً للحياة الخاصة لحاكم ينتهي إلى أسرة مالكة . ويتصور أن عروقه ثغرى فيها دماء ملكية ، ولكن المؤكد أن مثل هذه الطريقة لا تصلح مطلقاً لإدارة شئون الدولة .

ومع ذلك فلم يوجه اللوم إلى هذا الخديوي بسبب أفكاره وطموحاته ، فقد كان بعضها معقولاً ومحبلاً على نحو ما . ولكن يرخي عليه قيامه بالاتفاق على تحقيق كل هذه الأفكار والطموحات في وقت واحد وبطريقة تتسم بالاسراف الشديد . فقد واصل العمل على محدود امبراطوريته دون أن يتحقق أى عائد أو ربح من وراء هذا التوسيع . بل على العكس فقد عاد هذا التوسيع عليه بخسائر جسيمة . وفي نفس الوقت كان يعيث الأموال بدفع مرتبات سخية جداً للأوربيين الذين استخدموهم ل لتحقيق اطماعه [ كان صمويل بيكر على سبيل المثال يتتقاضى ١٠٠٠ جنيه كمرتب سنوي ] .

وقد عاد هذا الاسراف بالفيال على الخزانة العامة للدولة التي لم تتحمل كل هذا الارهاق . واضطرب الخديوي اسماعيل في النهاية أن يبيع أحسن مشروعاته [ قناة السويس ] في نفس الوقت الذي بدأ فيه شركة قناة السويس تحقق أرباحاً لا يأس بها .

وفي السوق الذي خيبت فيه مصر آمال اصدقائها ومحبها ، خرجت الجبهة ، دون أي توقع أو احتمال من حالة التشوش والتفكك التي كانت تعانيها . فقد تم استعادة السلطة الملكية

تارينهم إلى أقصى حد ، وأصبحت الدول الأوربية تقوم بهذه المهمة .

لقد اقتربنا الآن من بداية الفترة التي سميت فترة الزحف والتکالب على إفريقيا . حيث تحركت القوى الاستعمارية وزحفت إلى القارة وقسمتها فيها بينما كالغنية . وتشير من الآن إلى أن الخرائط المست القادة ، وهى تعبّر عن الأحداث التي وقعت بأفريقيا خلال سبعين سنة تالية على تاريخ هذه الخريطة ، تدل على أن مصير القارة قد أصبح تحت سيطرة الأوربيين . ونادرًا ما كان الأفريقيون يظهرون في الصورة .

ترى ما الذي دفع الأوربيين فجأة إلى التغلغل داخل إفريقيا ، بينما كانوا على مدى القرون الخمسية الماضية يدورون حول أطراف سواحل القارة ، ولا يحاولون النزول إليها إلا في أضيق نطاق ممكن ؟ .. ربما تكمن الإجابة على هذا التساؤل في كلمات أغنية انتشرت في ذلك الحين تقول :

نحن لا نريد أن نحارب ..  
إلا أنها وطنيون متطرفون ..  
ولدينا رغبة في السيطرة على الآخرين ..  
ولدينا السفن والرجال ..  
ولدينا أيضًا أموال طائلة ..

لقد ثقت أوروبا بنفسها ثقة زائدة عن كل حد ، وساد الاعتقاد بين الأوربيين بأنه لا توجد أية قوى في العالم القديم كله ، يمكنها مواجهة الأسلحة الأوروبية . حتى الامبراطوريات القديمة الواسعة الأرجاء كالصين مثلا ، أصبح من الممكن السيطرة عليها أو قمعها باعداد قليلة من الجنود المسلمين بالأسلحة النارية المتقدمة . كذلك فإن الدول الأوروبية كانت تمتلك الثروات والموارد المالية الكافية لاستمرار وامتداد العمليات الحربية إذا اقتضى الأمر . وعلى عكس

أما بالنسبة لبقية المالك الأفريقية الأخرى في أنحاء القارة ، فليس هناك الكثير من الأحداث التي تجدر الإشارة إليها ، فيما عدا قيام الحاج عمر حاكم كعرتا بالاستيلاء على ماسينا Masina في سنة 1862م . وفي سنة 1866م قام أحد قادة الجنود المرتزقة باسمه ساموري توري Samori Toure بتأسيس إمارة في بيساندوجو Bisandugu التي تقع حالياً بدولة غينيا .

كذلك قام البريطانيون في سنة 1874م بالزحف إلى كوماسي Kumasi عاصمة مملكة الأشانتي ، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك .

ooo

ونود أن نشير إلى التغيير الهام الذي حدث في طريقة رسم وتصميم هذه الخريطة . فقد اختفت تماماً المساحات المظللة المختلفة التي كانت تشير إلى أماكن وجود وتوزيع وهجرات القبائل الأفريقية المختلفة في مناطق جنوب الصحراء الكبرى ، كما أغفلت أسراء معظم تلك القبائل . ولذلك فمن الأن فصاعداً إذا أراد القارئ معرفة مكان وجود إحدى القبائل [ كقبيلة الماساي Masai مثلاً ] فعلية الرجوع إلى الخرائط السابقة ، أو يلجأ إلى فهرس الأماكن والأعلام والأحداث الذي أعده « المترجم » في آخر الكتاب .

وقد رأينا تعديل رسم الخرائط القادة على هذا النحو الجديد حتى يمكن أن نعرض بوضوح أحداث المائة سنة التالية على تاريخ هذه الخريطة ، وهي أحداث ازدادت بسرعة وكانت بالغة التعقيد ، وإن كانت ترمي في الوقت نفسه إلى ما كان يدور في العالم من أحداث سياسية أدت مباشرة إلى تقليل دور الأفريقيين في صنع

١٨٧٣ م . وهكذا سيطرت بريطانيا على جنوب إفريقيا ، وأصبحت لها القواعد العسكرية التي صارت تحكمها من فرض إرادتها وتوجيه الأحداث في تلك المنطقة .

وفي الطرف الآخر للقارة ، كان افتتاح وتشغيل قناة السويس عامل جذب للاستثمارات الأوروبية في سواحل البحر الأحمر . حيث كانت السفن البخارية الحديثة التي كانت تعبير القناة في تلك الأيام ، في حاجة إلى تزويدها بالفحم اللازم لا استمرار رحلاتها . وأصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء محطات لتزويد السفن بهذا الوقود . وكان البريطانيون قد انشأوا لسفنهم محطة تموين في عدن في سنة ١٨٣٩ ، ثم قام الفرنسيون بإنشاء محطة تموين في ميناء أوبيوك obok سنة ١٨٦٢ . وقام الإيطاليون بشراء موقع انشأوا عليه محطة تموين في ميناء عصب سنة ١٨٦٩ .

ونظراً لأن بريطانيا كانت في ذلك الوقت على رأس قائمة الدول البحرية في العالم ، فقد تصدرت أيضاً قائمة الدول الاستعمارية وتليها فرنسا في الترتيب . وربما كان هذا الوضع لا يعكس حقائق الأمور في تركيبة النظام السياسي لأوروبا . ذلك لأن المانيا احتلت فرنسا سنة ١٨٧٠ ، وأصبح من الممكن أن تتبعوا المكانة التي كانت تحتلها فرنسا في النشاط الاستعماري ، غير أن المانيا لم تكن تمتلك القوة البحرية اللازمة لذلك ، كما أن المستشار الألماني بسمارك Bismark كان يعارض فكرة قيام المانيا بتكون إمبراطورية لها فيها وراء البحار .

وتلقى البرتغال في المرتبة الثالثة في قائمة الدول الاستعمارية ، رغم أنها كانت غير ذات تأثير فعال في توجيه السياسة الأوروبية في ذلك الوقت . أما المرتبة الرابعة فكان يتحلها شخص

مصر ، كانت أوروبا قادرة على تمويل الحروب التي لا تعود عليها بأرباح فورية سريعة . وكان التفوق التكنولوجي للأوربيين واضحًا في إفريقيا لمدة طويلة من الزمن . ورغم هذا فقد عجزت بريطانيا عن إنشاء إمبراطورية إفريقية ماثلة لا مبراطوريتها في الهند بسبب الأمراض الأفريقية «المتوطنة» وعلى رأسها مرض الملاريا .

ولكن في سنة ١٨٤٧ م اكتشف أحد الأطباء العاملين بالاسطول البريطاني ، أن تناول جرعة يومية من مشروب الكينين Quinine [ وهو مادة شبه قلوية شديدة المرارة ] تعطي المناعة وتتوفر الحماية من الإصابة بالملاريا . وفي سنة ١٨٥٤ م أبحرت مجموعة تتكون من اثنى عشر جندياً في قارب عبرت به أعلى النiger ونهر بنوى دون أن يصاب أحدهم بهذا المرض . ولم يعد يسمع بعدئذ القول الشائع الذي كان يردده البحارة من الجيل السابق :

إياك إياك من خليج بنين ..  
كثيرون يذهبون إليه ..  
وقليلون يعودون سالحين ..

وهكذا أصبحت أكثر المناطق خطورة في إفريقيا ، مفتوحة تماماً أمام الاستغلال الأوروبي . وكانت أولى التائج لذلك ، قيام بريطانيا بالاستيلاء على لاجوس Lagos سنة ١٨٦١ م .

وبطبيعة الحال فقد كان من اللازم توفير الأموال اللازمة لاستمرار التحرك الاستعماري . وفي سنة ١٨٦٧ م اكتشفت مناجم الماس في منطقة كمبرلي Kimberley الواقعة على الحدود بين مستعمرة الكيب ودولة أورانج الحرة التي اشأنها البوير . وعلى الفور تدفقت جموع المهاجرين البريطانيين إلى تلك المنطقة . ثم ضمت بريطانيا منطقة كمبرلي إلى مستعمرة الكيب في سنة

أما الواقعة الثانية فتمثل في قيام بريطانيا بعد حدود مستعمرة الكيب لتضم منطقة كمبرل ومناطق أخرى بالساحل الشرقي سنة ١٨٦٦ . كما استولت أيضا على معظم مناطق باسوتولاند Basutoland سنة ١٨٧١ م . [ أما بقية مناطق باسوتولاند الأخرى فقد كانت تحت حكم البوير - دولة أورانج الحرة - منذ سنة ١٨٦٦ م ] . كما استولت بريطانيا أيضا على قليم الترانسفال في سنة ١٨٧٦ م .

وقد قبل بوير الترانسفال حكم البريطانيين وخضعوا له بعد أن تعرضوا للإفلاس بسبب حروبهم الطويلة المستمرة ضد الأهالي المحليين من قبائل الباينتو [ الزولو على وجه الخصوص ] . وترضية هؤلاء البوير ، وعدتهم بريطانيا بشن الحرب ضد الزولو والقضاء عليهم نهائيا .

وفي سنة ١٨٧٩ م زحفت القوات البريطانية إلى مناطق الزولو ، ونشبت أول معركة بين الفريقين في إيساندا لوانا Isandhlwana عاص فيها البريطانيون من نقص الذخيرة وتعرضوا للذبحة مروعة ولكنهم عادوا مرة أخرى بعد ثلاثة شهور ، وكانتوا مزودين هذه المرة بالمدافع الرشاشة [ من طراز مكسيم Gun ].

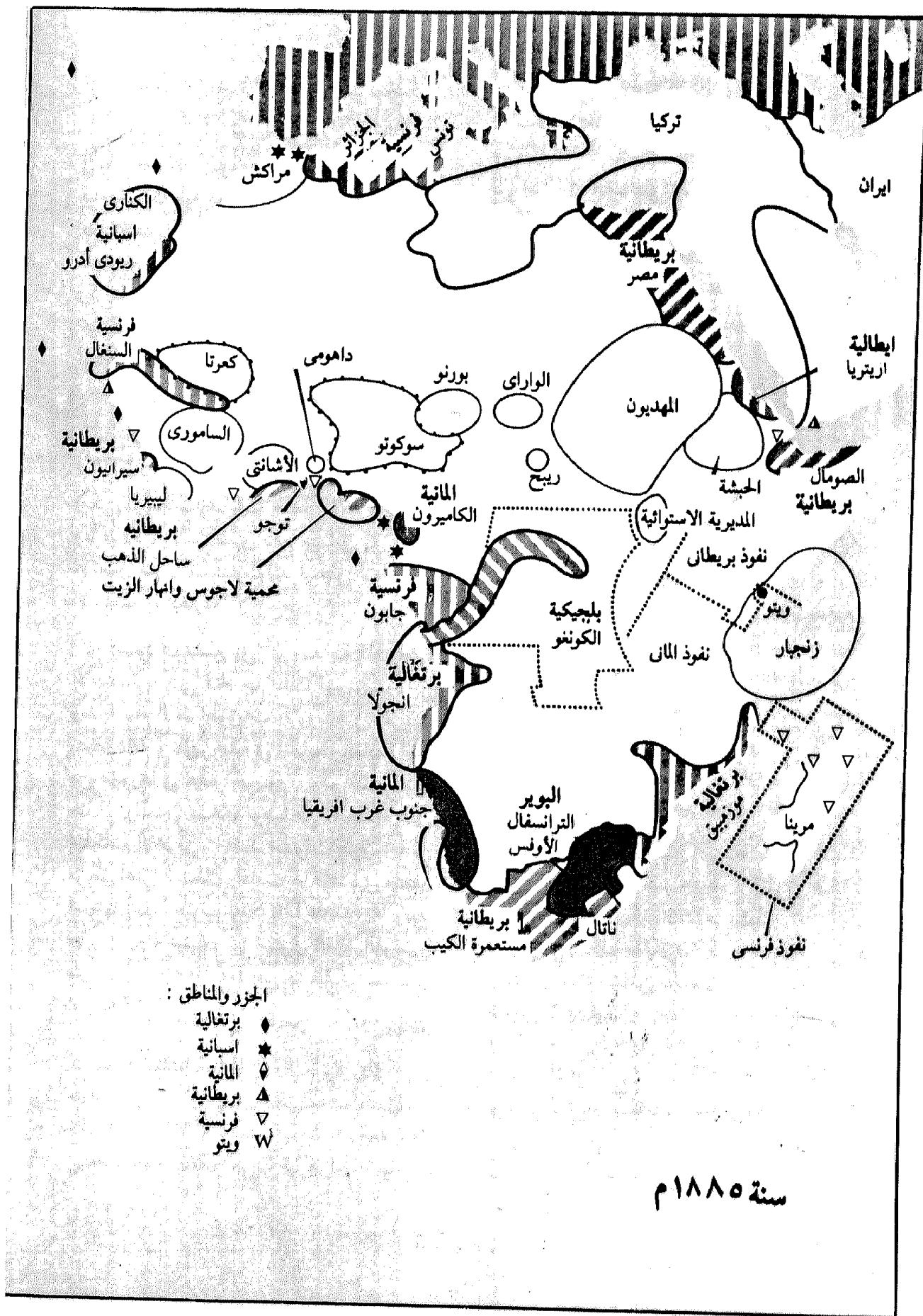
وكان استعمال هذا السلاح المروع ضد الفريقين ، بداية لعصر جديد ، تمثل في هذا القول الحالى من البطولة للشاعر بيلوك :  
ليكن بعد ذلك ما يكون ..  
فحن ثملك رشاش مكسيم ..  
وهم لا يملكون !

فرد هو الملك ليوبولد Leopold ملك بلجيكا .

وقصة ليوبولد قصة غريبة تجدر الاشارة إليها . فقد كان البرمان البلجيكي غير راغب في قيام بلجيكا بأية مغامرات استعمارية . ولذلك فقد اضطر الملك ليوبولد إلى أن يتکفل بتمويل طموحه الاستعماري من خزانته الخاصة . وكانت خطته الأصلية ترمي إلى إنشاء شبكة تجارية في منطقة الكاميرون Cameroon . إلى أن تقابل الملك مع ستانلى في سنة ١٨٧٨ م .

وكان ستانلى يطمع آثذا في فتح مناطق حوض نهر زاير للمتاجرة مع أوروبا ، وكان يرى أن بريطانيا هي خير من يعاونه في هذه المهمة . ولكن بريطانيا قابلت هذه الفكرة بفتور ولا مبالاة ، الأمر الذي دفع ستانلى إلى قبول الاتفاق مع الملك ليوبولد ليحقق له رغبته الاستعمارية العارمة .

ونسدو أن نشير إلى أن بداية المغامرة الاستعمارية التي قام بها الملك ليوبولد ، بل وبداية بناء الامبراطوريات الأوربية في أفريقيا بصفة عامة ، تظهر جلية في الخريطة القادمة أكثر من ظهورها في هذه الخريطة . ومع ذلك فنشير هنا إلى واقعتين تتشابه نوعاً من الاعتداء على ممتلكات الآخرين : فقد استولت فرنسا على مناطق أعلى السنغال وأقامت لها قاعدة في منطقة اسمتها أنهار الجنوب Rivieres Du Sud وتقع حالياً في دولة غينيا ، كما استولى القائد الفرنسي دي برازا De Brazza على منطقة الجابون Gabon.



ستة مائة

تطور يدعو إلى الدهشة لقيام مثل هذه الثورة في بلد كان خاضعاً تماماً للسيطرة الأجنبية . وسرعان ما احتج الدائتون الأوروبيون حكوماتهم على التدخل لمواجهة هذا الوضع الجديد في مصر . وعلى الفور تدخل البريطانيون لإعادة النظام وأقراره ، ثم تسلست الأحداث واحدة وراء أخرى ، إلى أن وقع حادث عارض في يونيو ١٨٨٢م أخذته البريطانيون ذريعة للهجوم على مصر واحتلواها .

ورغم ما كان يدعوه البريطانيون في ذلك الوقت ، وما كانوا يؤكدونه في كل المجالات ، من أن احتلالهم لمصر احتلال مؤقت إلا أن هذه الخطوة من جانب البريطانيين قد أثارت ثائرة الفرنسيين الذين أخذوا على غرة ، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لحشد قواتهم لمشاركة البريطانيين في هذا الاحتلال . وكانت فرنسا على يقين من أن مصر التي كانت حتى وقت قريب محمية دولية تلعب فيها فرنسا دوراً رئيسياً بين الدول الأوروبية الأخرى التي تدير شؤون البلاد ، أصبحت الآن - كأمر واقع - جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، الأمر الذي يعد انتهاكاً من جانب البريطانيين للاتفاق القائم بين القوى الأوروبية .

وقد أخذ الاحتلال البريطاني لمصر ذريعة دفعت الدول الأوروبية الأخرى للتدخل في الشؤون الأفريقية . فإذا كانت بريطانيا قد استطاعت أن تلتهم جزءاً من إفريقيا على مثل هذا النحو ، فإن الدول الأوروبية الأخرى في استطاعتها أن تفعل الشيء نفسه . وسرعان ما ارتفع في أوروبا صخب وضجيج التعرّيات الوطنية التي أخذت تتطلع إلى البحث عن مناطق

شدد الأوروبيون زحفهم وتكميلهم على إفريقيا . وفي عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر ، مزق الأوروبيون أوصال القارة واقتسموها فيما بينهم . وما أن انتهى هذا العقد حتى تحددت بوضوح الحدود النهائية للأمبراطوريات الأوروبية في معظم المناطق الساحلية حول القارة . وبين هذه الخريطة الحصص التي استولت عليها الدول الأوروبية المختلفة في المناطق الساحلية . أما تقسيم وتوزيع المناطق الداخلية بالقارة ، فقد بدأ بالكاد في تلك الفترة .

ويكن النظر إلى عملية الزحف والتكميل على إفريقيا من عدة زوايا . فمن ناحية تسلسل الأحداث والواقع التاريخي ، يمكن القول بأن فرنسا هي التي بدأت تلك العملية . وربما كان ذلك رد فعل للهزيمة المذلة للفرنسيين حين احتلتmania بلادهم [ سنة ١٨٧٠م ] ، الأمر الذي دفعهم إلى ممارسة السلوك العدوانى في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك قارة إفريقيا .

وعلى هذا ، أعلنت تونس محمية فرنسية سنة ١٨٨١م . وفي السنغال واصل الفرنسيون زحفهم على مناطق نهر النيجر في الفترة ما بين عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٣م . وفي الجابون غمّن القائد دي برازا من فرض التبعية الفرنسية على قبائل الفانج Fang التي تعيش بالمناطق الداخلية .

أما إذا نظرنا إلى عملية الزحف والتكميل على إفريقيا من الناحية الدبلوماسية ، فسوف نجد أن بريطانيا هي التي قلبت الأوضاع القائمة رأساً على عقب . ففي سنة ١٨٨١م قاد الضابط المصري أحمد عرابي ثورة وطنية في مصر ، وهو

النفوذ فيها وراء البحار .

حتى بسمارك نفسه ، اضطر إلى تغيير مواقفه السابقة ، واشترك في هذا الصخب ، وأعلن الحماية الألمانية على المناطق الأفريقية التي كانت تعمل فيهابعثات التبشيرية الألمانية [مناطق توجو والكاميرون وجنوب غرب إفريقيا] . كما أعلن نوعاً منها من الحماية والسيادة على سلطنة زنجبار [ بما في ذلك الجزر والمدن الأفريقية الداخلية التي كانت تابعة لها ] ، وكذلك سلطنة الويتو *Witu* الصغيرة الواقعة على الساحل الأفريقي ] . الأمر الذي أدى إلى حدوث نوع من التداخل بين النفوذ الألماني والمصالح البريطانية في تلك المنطقة . ونتيجة لذلك فقد اضطرت الدول الأوروبية الضالعة بعملية-الزحف والتکالب على إفريقيا ، إلى قبول الدعوة إلى عقد مؤتمر برلين سنة 1885 م ، لتفق فيما بينها على تقسيم إفريقيا بين الأطراف المعنية دون حدوث تداخل بين مناطق النفوذ التابعة لكل طرف .

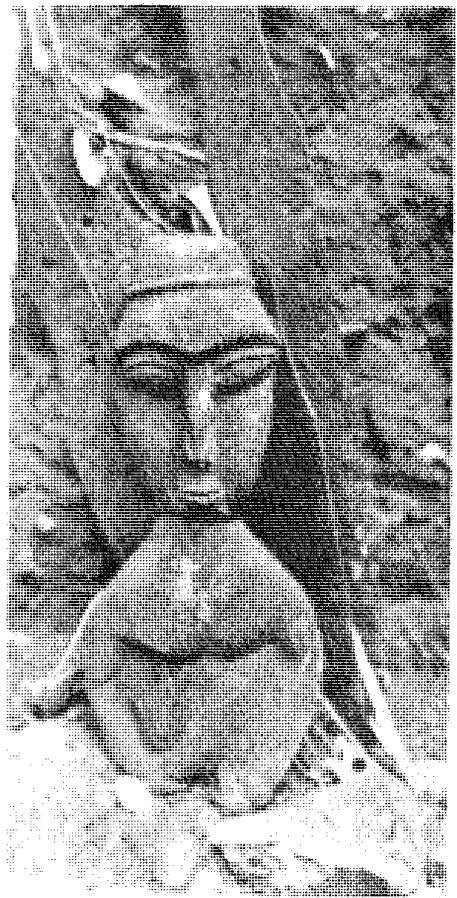
وكانت النتيجة المباشرة لهذا المؤتمر هي توزيع الحصص الأفريقية على الدول الأوروبية على النحو المبين بهذه الخريطة .

كما توضح هذه الخريطة أيضاً حدوث واقعتين هامتين بالنسبة لتطور الأوضاع بداخل القارة : حدثت الواقعة الأولى في مناطق أعلى

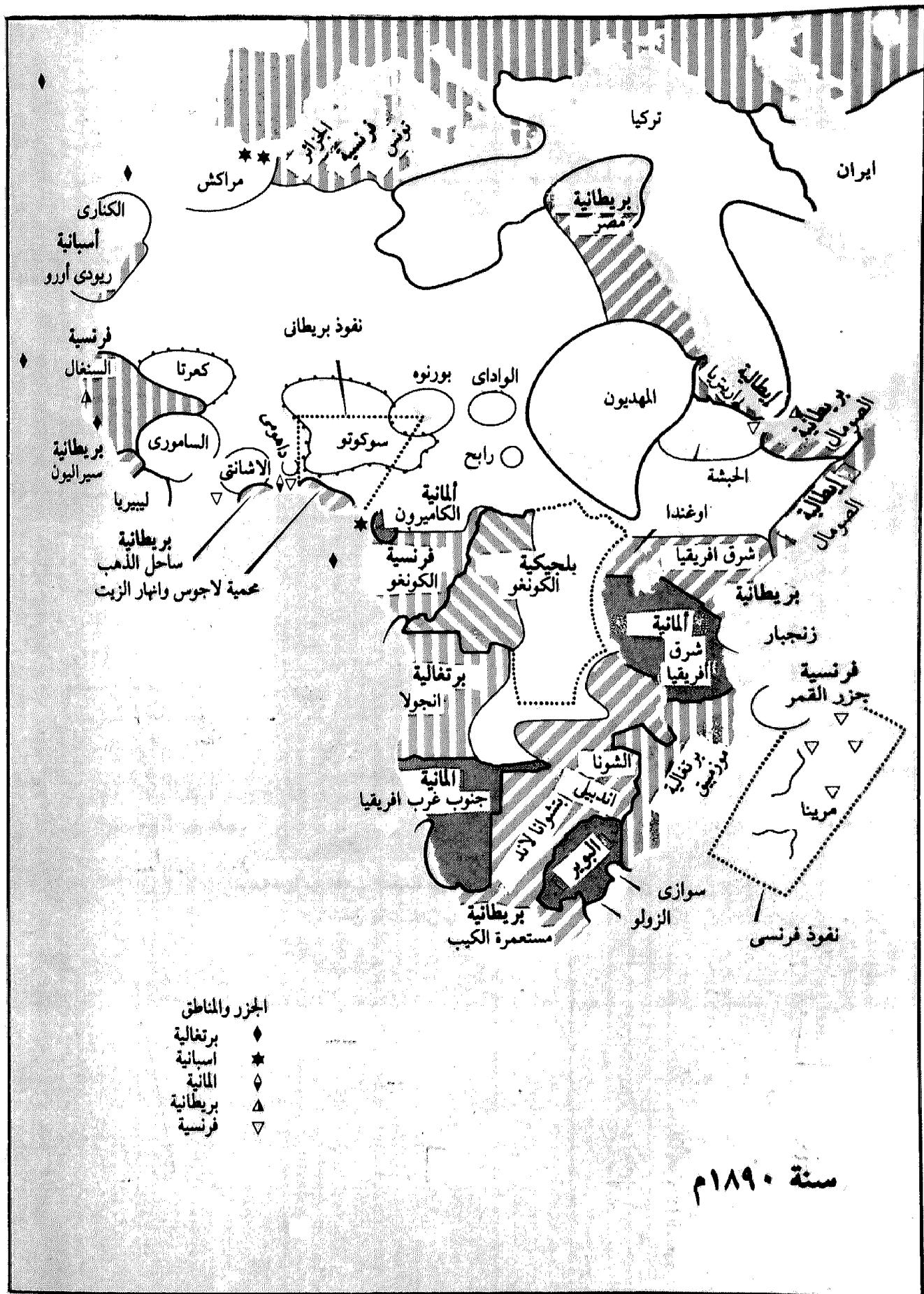
النيل ، حين نشبت الثورة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدى في السودان سنة 1881 م . واخرجت المصريين من جميع المناطق التي كانت تحت نفوذهم جنوب الجندل الثاني [ فيما عدا المناطق الساحلية بجنوب البحر الأحمر فقد تم اقتسامها بين البريطانيين والإيطاليين ] وقد تركت المديرية الاستوائية كما هي معزولة عن العالم كله تحت حكم النمساوي أمين باشا .

أما الواقعة الثانية فقد حدثت في حوض نهر كبير آخر بـإفريقيا الوسطى ، وهو نهر زائير [ الكونغو ] وقد أعاد ستانلي استكشاف مناطق هذا النهر بعد أن أصبح وكيلًا لأعمال الملك ليوبولد ملك بلجيكا . وفي الفترة بين عامي 1879 - 1884 م ، قام ستانلي بإنشاء سلسلة من المراكز والمحطات التجارية على طول مجرى النهر . ونتيجة لذلك قامت امبراطورية شخصية تابعة للملك ليوبولد نفسه [ وقد اعترفت الدول الأوروبية في مؤتمر برلين بهذه التسمية ] . وهي امبراطورية واسعة الأرجاء تشمل معظم المساحات الشاسعة الداخلية في إفريقيا الوسطى .

أما في مناطق جنوب إفريقيا ، فقد قام بوير الترانسفال بـاجلاء البريطانيين " وحصلوا على استقلالهم سنة 1881 م .



تعريقة قديمة من الخشب المنحوت على شكل «حارس البوابة»، كانت تعلق  
على مدخل بيوت بعض رؤساء القبائل القديمة.



منطقة شرق افريقيا ، هو منع أية قوى أوروبية أخرى من الوصول أو التأثير على مناطق أعلى النيل . وقد نجح السير صمويل بيكر – ومعه قراء جريدة التايمز – في حث الحكومة البريطانية على انتهاج هذه السياسة ، تحت الادعاء بأن أية قوى أوروبية تصل إلى مناطق أعلى النيل ، تستطيع باستخدام الطرق الهندسية الحديثة ، أن تحجب مياه النيل الأبيض عن مصر ، الأمر الذي يعود بالحراب الحتمى على مصر ، ويعتبر كارثة كبرى للأمبراطورية البريطانية . ومن هذا المنطلق ، قامت بريطانيا بتدعم قواتها في تلك المناطق واحكام السيطرة عليها .

وتجدر الاشارة أيضاً إلى أن بريطانيا قد سقطت في نفس الفترة على المناطق الواقعة جنوب أواسط افريقيا ، بفضل الجهد الذى قام بها سيسيل رودس Cecil Rhodes المالى مليونير الانجليزى الذى حقق ثروات خيالية نتيجة لسيطرته على مناجم الماس بجنوب افريقيا ، والذي وضع ملائينه هذه فى خدمة الامبراطورية البريطانية وتوسيع حدودها في افريقيا .

وعلى الفور انتشر وكلاء رودس شمالاً غزيرين نفس الطريق الذى فتحه لفنجستون في الجيل السابق ، وأخذوا يعقدون « معاهدات الحماية » Treaties of Protection مع كل القبائل الافريقية التي كانت تعيش في تلك المناطق ، وفرضوا عليها النفوذ البريطاني .. تعاقدوا مع قبائل السوتو Sotho التي كانت تعيش في منطقة تسوانا Tswana والتي سميت آنذاك بتشوانا Bechuana ثم بتشوانا لاند Bechuanaland فيما بعد . كما تعاقدوا مع

واجه البريطانيون بحزم ردود الفعل التي حصلت بين القوى الأوروبية الأخرى بسبب قيام بريطانيا باحتلال مصر . وفي مؤتمر برلين حين كانت الدول الأوروبية المشتركة في المؤتمر تدعى مطالبات مبالغ فيها ، فلم يسفر ذلك إلا عن تأكيد سيطرة هذه الدول على المناطق الافريقية التي كانت تسيطر عليها فعلاً .

ومع ذلك فلم يمض وقت طويل حتى شرعت هذه الدول الأوروبية في تحقيق نوع من التوازن بالنسبة لمناطق نفوذها في افريقيا . وخلال فترة الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، اتضحت تماماً أنه عندما ينبع الأمل من بناء الامبراطوريات الأوروبية فيها وراء البحار ، فإن الدول الأوروبية المعنية لا تتنتظر أن تتلقى دروساً من أحد ، ولا تبالي إلا بمصالحها وحدها .

وقد استعادت بريطانيا مركزها المتفوق في افريقيا ، خصوصاً بعد أن تبين لها أن الألمان لا يرغبون حقيقة في توسيع نفوذهم في افريقيا . وعلى ذلك فقد تم الاتفاق سنة ١٨٩٠ م ، على أن تتنازل المانيا لبريطانيا عن المحميات الألمانية في الويتو وزنجبار Witu & Zanzibar . كما قبلت المانيا تقليص الحدود الشمالية لمنطقة نفوذها بشرق افريقيا ، بطريقة أتاحت لبريطانيا السيطرة على أوغندا Uganda . وكانت هذه التنازلات الألمانية كلها ، ثمناً لتنازل بريطانيا عن جزيرة هليجو لاند Heligoland ، وهي جزيرة تقع في مواجهة سواحل المانيا . وكانت بريطانيا قد احتلتها وتحذتها قاعدة بحرية لاسطوفها منذ أيام الحروب النابوليونية .

وكان المدف الرئيسي للسياسة البريطانية في

أهم عاهلين بمناطق أعلى نهر النيل وهو : شيخ أحد ملوك كورتا ، وهو ابن الحاج عمر وخليفة Samori على عرش المملكة ، وساموري توري Toure هازم قبائل الماندي والذى وضع كل القبائل التي كانت تعيش بارتفاعات غينيا تحت سيطرته منذ سبعينيات القرن التاسع عشر .

وأصبح من الواضح بعد ذلك أن الفرنسيين سيتحركون إلى مناطق أبعد من ذلك على طول نهر النيل بمجرد تجهيزهم للقوات اللازمة لتحقيق المزيد من هذه التحركات . وبالتالي فقد أصبح الفرنسيون المنافسين الوحيدين للبريطانيين في إفريقيا .

أما الإيطاليون فقد كان لهم نصيب أيضاً في عملية الزحف والتكتالب على إفريقيا ، حيث تم أخيراً فتحهم لمنطقة إريتريا . كما أعطتهم البريطانيون إذن بضم المنطقة الواقعة بالسواحل الصومالية والتي كانت من قبل تحت سيطرة زنجبار . كما تمكن الإيطاليون من ممارسة الضغط على الحبشة التي أصبحت في حالة بائسها بعد مقتل الملك چون أثناء إحدى معاركه مع المهدية ، وتولى العرش ملك جيش جديد هو منيليك Menelik الذي خضع للإيطاليين ووقع معهم معاهدة يُعرف فيها « بالمصالح الخاصة » لإيطاليا في بلاده .

قبائل الانديسي [ في منطقة ماتا بيليلاند Matabeleland ] . ومع قبائل الشونا [ في منطقة ماشونالاند Mashonaland ] . ومع جميع القبائل الأخرى التي كانت تعيش في جميع المناطق الواقعة بين أعلى نهر الزامبيزى وبحيرة نياسا .

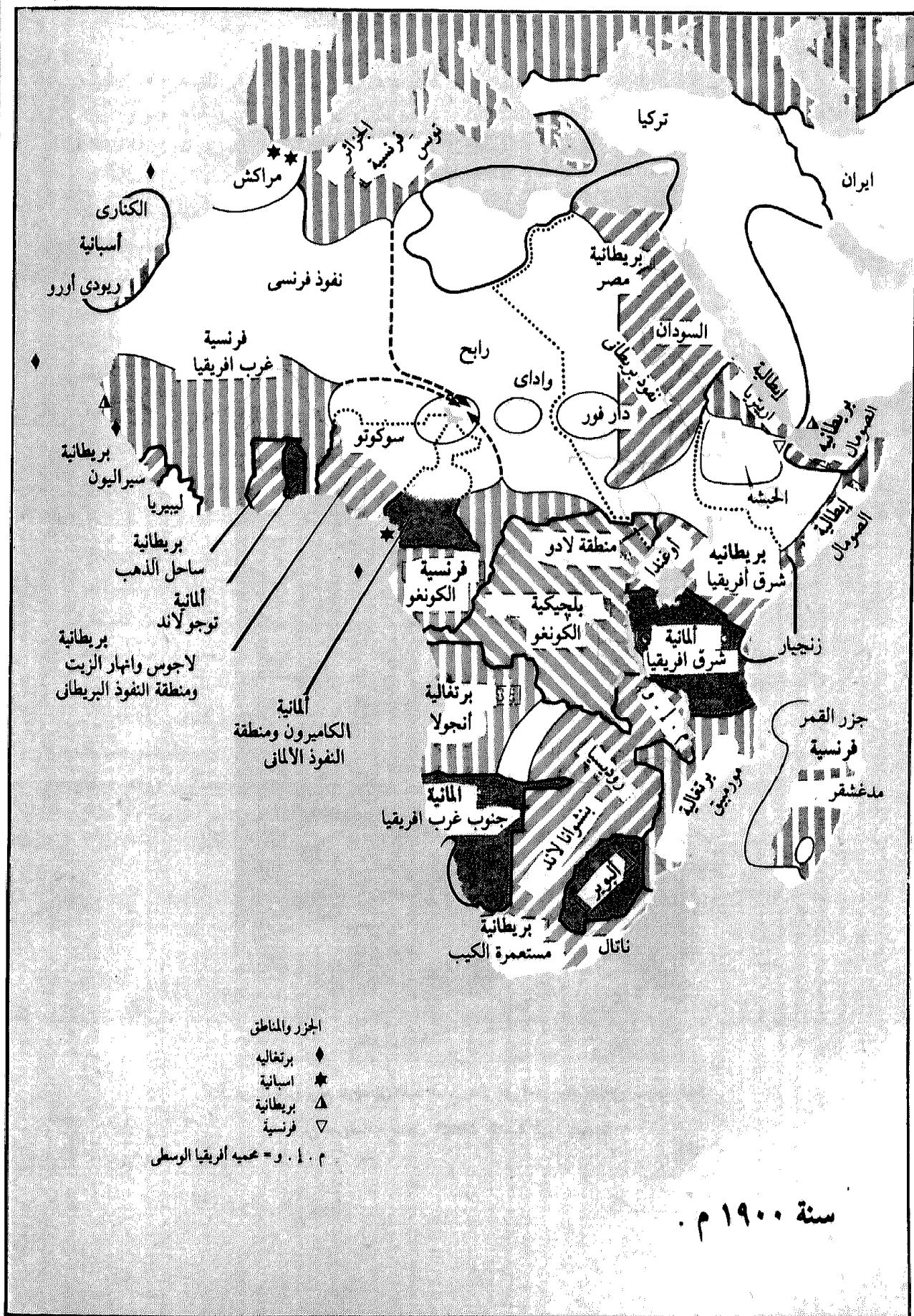
وفي سنة 1890 م ، عندما أصبح سيسيل رودس رئيساً لوزراء مستعمرة الكيب ، قضى رودس نهائياً على أحلام البرتغاليين في السيطرة على المناطق الأفريقية الواسعة بين أنجولا وموزمبيق . كما جرد البوير من أية قدرة على التوسع غرباً أو شمالاً .

ولم يكن لبريطانيا نشاط ملحوظ في مناطق غرب إفريقيا ، وكانت أوضاعها مستقرة على ما هي عليه هناك . وكان المبعوثون الدبلوماسيون الانجليز في تلك المناطق يزودون الحكومة البريطانية بتقارير تؤكد أن فرنسا وألمانيا تحترمان المصالح البريطانية في منطقة نفوذها في نيجيريا .

وعلى العكس من بريطانيا ، ازدادت التحركات الفرنسية في مناطق غرب إفريقيا . وفي سنة 1888 م ، قامت فرنسا بضم فوتا چالون ، كما مارست ضغطاً مستمراً على



تمثال من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر يمثل أحد رجال القبائل بغرب أفريقيا .  
من معارضات متحف الثقافات الشعبية بثيينا بالنمسا .



سنة ١٩٠٠ م.

الاسباب ما يجعلها لا تخزن كثيراً لابعادها عن مناطق النيل . فقد شقت فرنسا لنفسها طريقها في مناطق غرب افريقيا . وقامت بتقلص نفوذ أحدو حاكم كعرتا في سنة ١٨٩٣ م . ثم دخلت تمبوكتو فيما بعد ، كما استطاعت تقلص نفوذ ساموري توري في سنة ١٨٩٨ م .

وبعد أن تمكنت فرنسا من تثبيت مراكزها في منطقة النيل الأوسط [ والتي أطلقت عليها اسم السودان الفرنسي French Sudan ] ، تطلعت إلى وصل تلك المنطقة بالمناطق التابعة لها في ساحل العاج ، وفي اقليم داهومي الذي استولت عليه سنة ١٨٩٤ م . وهكذا أصبحت فرنسا تسيطر على كتلة متصلة واسعة الأرجاء من الأقاليم الافريقية جنوب الصحراء الكبرى . وفي سنة ١٨٩٥ م ، جمعت فرنسا هذه الأقاليم كلها في كيان سياسي واحد ، أطلقت عليه اسم افريقيا الغربية الفرنسية French West Africa .

وقد أدى هذا النجاح إلى تشجيع الفرنسيين على المزيد من الطموح إلى وصل الأقاليم التي تسيطر عليها في مختلف أنحاء افريقيا بعضها بعض . وفي سنة ١٩٠٠ م خرجت ثلاث بعثات عسكرية فرنسية قاصدة الالقاء ببعضها في منطقة بحيرة تشاد . وقد خرجت البعثة الأولى من الجزائر ، وخرجت الثانية من افريقيا الغربية الفرنسية ، وخرجت الثالثة من الكونغو الفرنسي .

وكانت منطقة بحيرة تشاد [ التي كانت فيها مضى مملكة بورنو القديمة ] تعانى حالات من الرعب والفزع الذى أشاعه « رابع » قناصون

في الفترة ما بين عامى ١٨٩٦ - ١٨٩٨ م ، هجم البريطانيون على السودان وقضوا على دولة المهديين نهائياً . وعندما واصروا زحفهم نحو أعلى النيل الأبيض ، فوجئوا بالعلم الفرنسي الشاذ الألوان مرفوعاً على منطقة كودوك Kodok حيث عسكرت بعثة استكشافية فرنسية كانت قد وصلت إلى هذه المنطقة عبر الكونغو . وقد اعتبرت بريطانيا هذا الفعل من جانب الفرنسيين صفة موجهة لها في قلب منطقة نفوذها بأعلى النيل . وعلى الفور أمر الانجليز هذه البعثة الفرنسية بترك المنطقة . وكادت الحرب تشبّ بين انجلترا وفرنسا فعلاً بسبب هذه الحادثة .

لقد واجهت بريطانيا مطامع الفرنسيين بحزم ، كما واجهت أيضاً مطامع الملك ليوبولد بحزم مماثل . فمنذ عام مضى أرسل ليوبولد حملة عسكرية ضد المهديين ، أجلتهم من منطقة لادو [ Lado ] وتعرف حالياً باسم الرچاف Rejaf وهي منطقة تقع داخل حدود المديرية الاستوائية التي تعتبر بدورها داخله ضمن مناطق النفوذ البريطاني . لذلك فقد قامت بريطانيا باختصار الملك ليوبولد بأن في امكانه الاحتفاظ بنفوذه على تلك المنطقة أثناء حياته فقط ، على أن تعاد بعد ذلك إلى السودان [ أى إلى بريطانيا ] بمجرد موته . أما اقليم دارفور Darfur وهو اقليم سوداني ، فقد ابنته بريطانيا تحت حكم أحد السلاطين المحليين الذين يتمون إلى الاسرة الحاكمة القديمة .

وفي حقيقة الأمر كان لدى فرنسا من

بلومفونتين Bloemfontein [ عاصمة الأوفس Ofs ] ، وحقول الذهب في راند Rand [ وقد اكتشفت هذه الحقول سنة ١٨٥٦ م وكانت السبب الحقيقي للمشاكل التي أدت إلى الحرب ] . كما احتلوا بريتوريا Pretoria [ عاصمة الترانسفال ] .

ورغم أن البوير قد حولوا مقاومتهم المريءة إلى حرب عصابات استمرت نحو عامين ، إلا أن النتيجة النهائية لكل ذلك هي أن سيطرة بريطانيا على جنوب إفريقيا أصبحت غير محل شك .

وقد باءت محاولة الإيطاليين للضغط على الحبشة بفشل ذريع في مدينة عدوه Adowa الواقعه جنوب الحدود الإرتيرية الحبشية . حيث تغلبت الجيوش الحبشية التي أرسلها الامبراطور مينيليك على الجيش الإيطالي الذي كان يحاول الاستيلاء على تلك المدينة . وهكذا توقفت إيطاليا عن محاولاتها لفرض حمايتها على الحبشة ، كما تبدلت أحالمها في وصل الأقليمين اللذين تسيطر عليهما في كل من الصومال وارتيريا .

وفي سنة ١٨٩٥ م ، بدأت فرنسا عملية الاستيلاء على معظم أنحاء جزيرة مدغشقر . وكانت قد استولت من قبل - سنة ١٨٨٦ م - على جزر القمر Comoros .

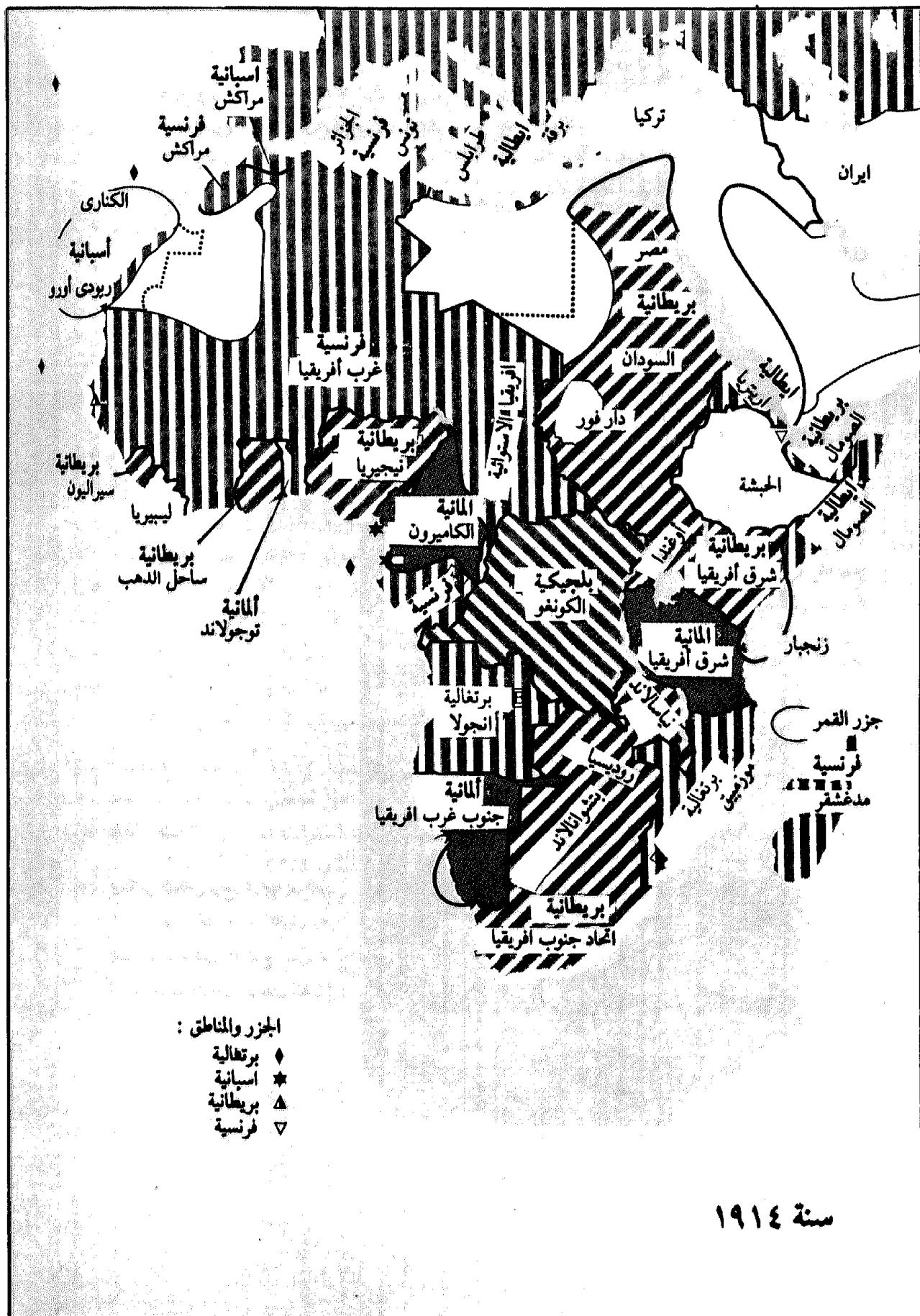
العبيد الذي كان يحكم على المنطقة بين حين وأخر ، منطلقًا من مكان إقامته الأصلي جنوب دارفور . وقد حققت العثاث العسكرية الفرنسية لقاءً لها بنجاح في منطقة بحيرة تشاد طبقاً للخطة المرسومة . وبعد التخلص من رابع هذا ، تذكرت فرنسا من تحقيق الوصول بين إفريقيا الشمالية الفرنسية ، وإفريقيا الغربية الفرنسية ، والكونغو الفرنسي .

وفي سنة ١٨٩٥ م ، أطلق سيسيل رودس اسمه على روسيبيا ، الأمر الذي أدار رأسه وجعله يتلهف إلى تحقيق غايته في القضاء على البوير . فشن عليهم حلة عسكرية سميت [ غارة جيمسون سنة ١٨٩٦ ] . وقد فشلت هذه العملية فشلاً ذريعاً دعا الحكومة البريطانية إلى التدخل في الحرب التي كانت قائمة بين البوير وقوات رودس . ومع ذلك فقد تلاحت بعض المزاعم المركبة على القوات البريطانية المحلية في خلال عام ١٨٩٩ م .

وفي بداية عام ١٩٠٠ م ، وصلت بعض الوحدات الرئيسية من الجيش البريطاني للاشتراك في الحرب الدائرة ، وسرعان ما راجحت كفة البريطانيين . وفي مدى بضع شهور قليلة احتلوا كافة النقط والمراكز الرئيسية بما في ذلك



لوحة من التحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر قبل ساحر القبيلة وهو يمسك بكرياج لطرد الأرواح الشريرة .  
من معارضات المتحف البريطاني بلندن .



النفوذ البريطاني في إفريقيا ، فتمثل في الاستيلاء على نيجيريا الشمالية فيما بين عامي ١٩٠١ - ١٩٠٣ ، وفي سد الفجوة التي كانت تفصل بين السودان وأوغندا ، وذلك بضم منطقة لادو بعد موت الملك ليوبولد سنة ١٩٠٩ . وفي اعلان اتحاد جنوب إفريقيا Union of South Africa بعد دمج مستعمرة الكيب واقليم ناتال ودولة أورانج الحرة واقليم الترانسفال في سنة ١٩١٠ م .

ويلاحظ أن تعداد الأوروبيين البيض قد ازداد في تلك الفترة في منطقة جنوب إفريقيا ، حيث وصل إلى نحو مليون وربع مليون نسمة ، وهو عدد كبير يمثل نحو ٢٢٪ من التعداد الإجمالي المفترض للأهلي السود الذي كان يقدر في ذلك الوقت بنحو ستة ملايين نسمة .

كذلك فقد وصل عدد الأوروبيين في الجزائر إلى نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة . أي حوالي ١٤٪ من إجمالي عدد الجزائريين الذي كان يقدر بنحو خمسة ملايين وربع مليون نسمة .

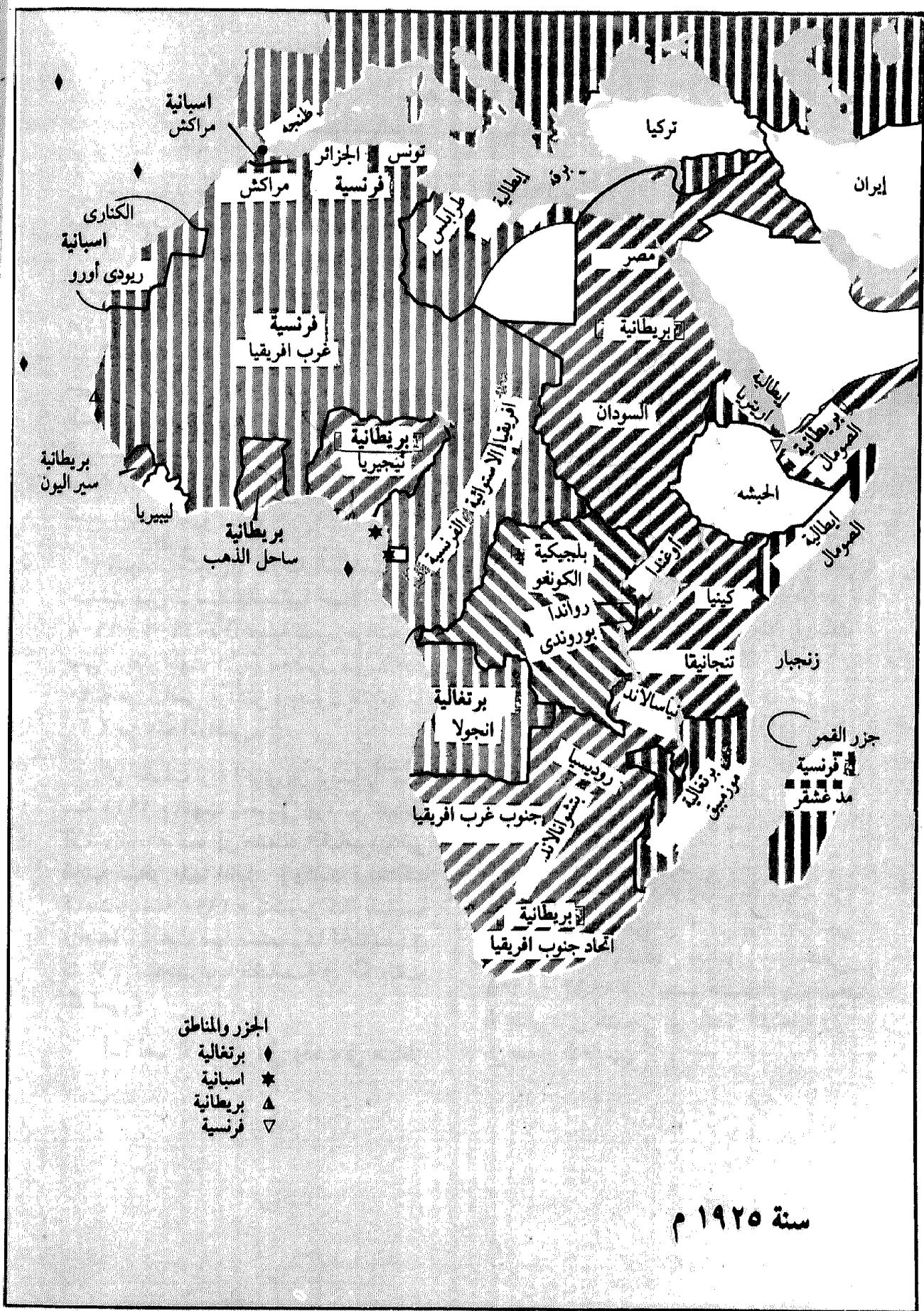
ونشير أخيراً إلى قيام إيطاليا بالاستيلاء على المنطقة الساحلية لكل من إقليمي برقة وطرابلس اللذين كانا يتبعان تركيا . وذلك في خلال عامي ١٩١١ - ١٩١٢ م . ومع ذلك لم ينجح الإيطاليون في التغلغل إلى المنطقة الداخلية لأي من هذين الأقاليمين .

منذ نهاية حرب البوير [ سنة ١٩٠٢ ] ، وبداية الحرب العالمية الأولى [ سنة ١٩١٤ ] ، حدث نوع من التماسك والمساندة بين الإمبراطوريات الأوروبية في إفريقيا . فقد قام كل من الفرنسيين والبريطانيين باحتلال جميع المناطق التي كانوا يطمحون إلى احتلالها ووضعها تحت سيطرتهم . كما تعددت معالم معظم الحدود السياسية التي تفصل بين كل من الإمبراطوريات الفرنسية والبريطانية وغيرهما من الإمبراطوريات أو الأدارات الاستعمارية الأوروبية الأخرى في مختلف أنحاء القارة .

ونود أن نشير إلى الأزمة السياسية التي حدثت بين فرنسا وإسبانيا خلال عامي ١٩٠٥ - ١٩٠٦ حول عملية تقسيم مراكش فيها بينها . فقد انتهت الأزمة بحصول فرنسا على ٩٠٪ من أراضي مراكش وحصول إسبانيا على ١٠٪ من هذه الأرضى .

كما حصلت أزمة أخرى بين فرنسا وألمانيا في سنة ١٩١١ م انتهت بتحويل جزء من إفريقيا الاستوائية الفرنسية إلى منطقة الكاميرون التي كانت تسيطر عليها المانيا . [ وكانت فرنسا قد قامت في سنة ١٩١٠ م بتكوين كتلة سياسية واحدة ، أدمجت فيها مستعمرتها الجديدة في تشاد ، بمستعمرتها القائمة في الكونغو الفرنسي ] .

أما أهم الأحداث التي وقعت في مناطق



سنة ١٩٢٥ م

من الناحية العملية – بين كل من بريطانيا أو فرنسا ومستعمراتها التي أصبحت واضحة المعالم والحدود في مختلف مناطق إفريقيا . وكانت تركيا قد اشتركت في الحرب العالمية

الأولى إلى جانب المانيا . وكان سلطان دارفور من بين الذين استجابوا لنداء « الجهاد » ضد قوات الحلفاء . وفي سنة ١٩١٦ تم القضاء عليه وقتلها ، وضم أقاليمه إلى حدود السودان .

أما بالنسبة إلى إيطاليا التي اشتركت في الحرب إلى جانب الحلفاء ، فقد واصل السنوسيون من بدو الصحراء الليبية جهادهم ضد القوات الإيطالية . وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير ، ولم تتمكن إيطاليا إلا على السيطرة على الموان البحرية على الساحل الليبي . ونتيجة لذلك فقد تم تعريض إيطاليا باعطاها الأقاليم الشمالي الشرقي من كينيا ، حيث قامت بضمها إلى الصومال الإيطالي . [ وكان هذا حلاً منطقيا ، لأن أغلب سكان هذا الأقاليم كانوا من الصوماليين ] . هذا بالإضافة إلى تعديل الحدود الليبية لصالح إيطاليا وعلى حساب كل من إنجلترا وفرنسا .

وبالرغم من هذا فقد كان من الصعب على إيطاليا أن تسيطر سيطرة فعلية على الأقاليم الداخلية بصحراء ليبيا ، حيث واصل السنوسيون نضالهم في المناطق الداخلية بإقليم برقة إلى أن تم القضاء على مقاومتهم سنة ١٩٢٨ .

ونشير إلى أن المعاهدة المبرمة سنة ١٩١٢ بشأن تقسيم مراكش بين كل من فرنسا وإسبانيا ، كانت تتضمن نصاً يقضي بتدويل طنجه . ومع

في سنة ١٩١٤ اكتسحت الجيوش الألمانية حدود بلجيكيًا بادئًا بذلك معارك الحرب العالمية الأولى . وبعد أربع سنوات من المخروب المضنية ، انهزم الألمان ، وغيروا نظامهم القيصري ، وتوقفوا – في ذلك الوقت – عن ممارسة أفكارهم وطموحهم إلى حكم العالم .

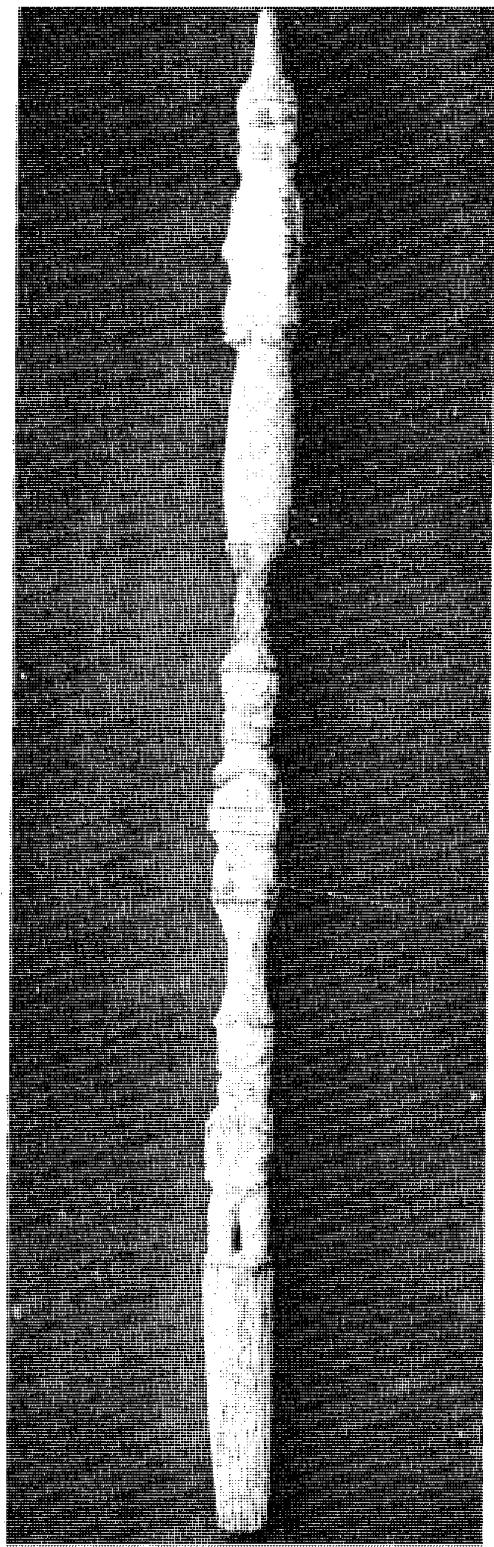
أما الحلفاء المنتصرون فقد خرجوا من الحرب يلعنون جروحهم ، ولم تكن لديهم أسلاب أو غنائم يقتسمونها فيما بينهم سوى الامبراطورية الألمانية فيها وراء البحار ، التي وضعت على المائدة لتقطيعها وتوزيع أجزائها بأقصى سرعة .

وقد تحملت بريطانيا وفرنسا الجهد الأكبر بين قوات الحلفاء التي اشتركت في تلك الحرب . ولذلك فلم يكن من الغريب أن تحصل الدولتان على نصيب الأسد من المستعمرات الألمانية في إفريقيا . وعلى هذا فقد حصلت بريطانيا على المستعمرتين الألمانيتين في جنوب غرب إفريقيا وفي رواندا وبوروندي . أما فرنسا فقد حصلت على الكاميرون [ عدا شريط يمتد على حدودها الغربية صار ضمه إلى نيجيريا البريطانية ] . كذلك فقد تم توزيع توجoland بين بريطانيا وفرنسا .

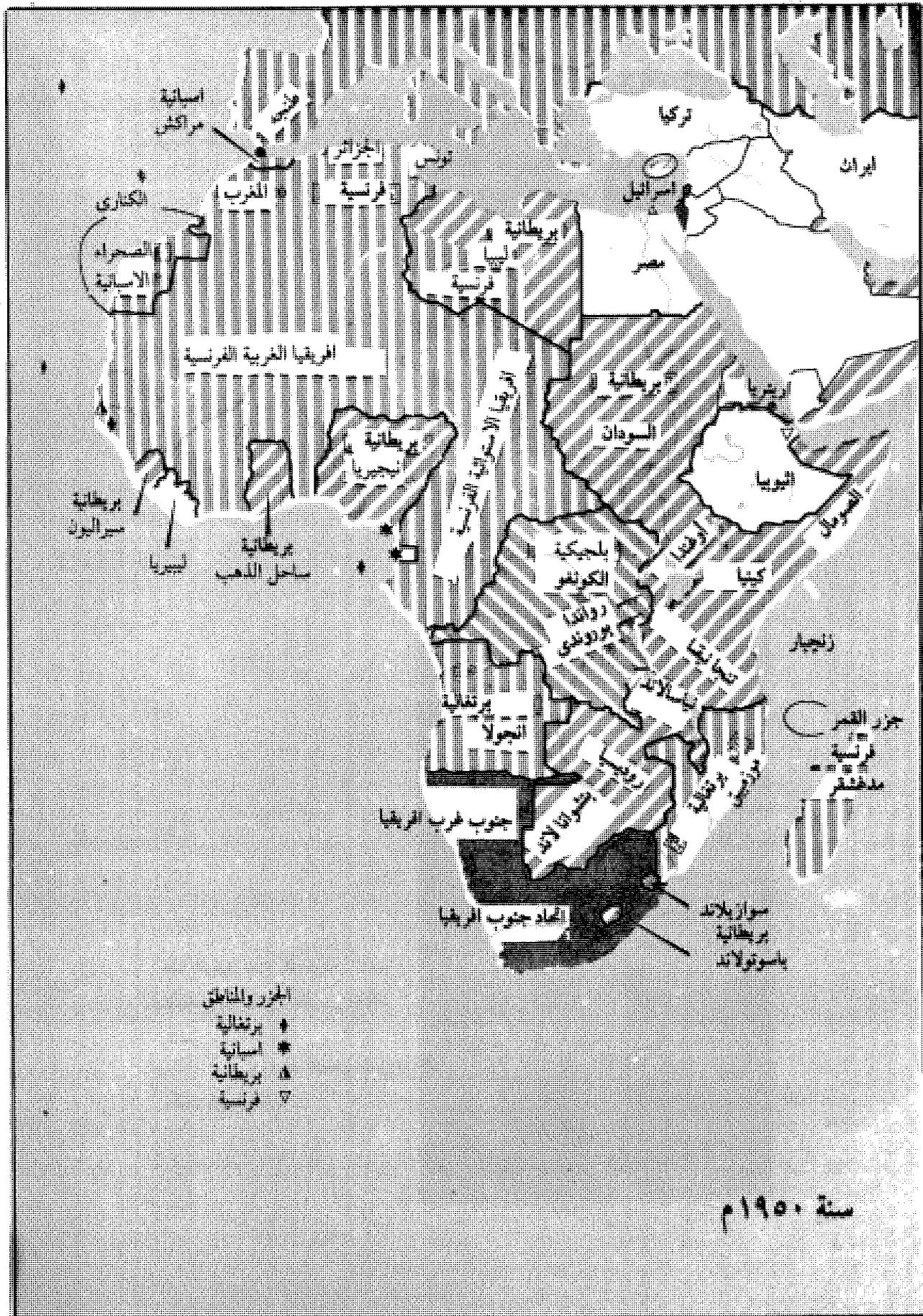
وقد تم توزيع كل تلك الأقاليم بمعرفة عصبة الأمم League Of Nations التي أنشئت في فترة ما بين الحربين العالميتين ، كنموذج أولى مبكر لميثة الأمم المتحدة United Naions . وحتى ذلك الوقت لم تكن ثمة اختلافات أو منازعات –

هذا الوضع في سنة ١٩٢٤ ، واعلنت طنجه  
منطقة دولية مرة اخرى وبصفة فعلية .

ذلك فقد انتهكت اسبانيا هذا الالتزام بمجرد  
اندلاع الحرب العالمية الأولى . ولكن تم تعديل



عصا أفريقية مخلاف بالزخارف . كانت  
تستخدم في بعض الطقوس المتعلقة  
بالسحر .  
من معارضات المتحف القومي  
بكونيابجن بالدغارك .



卷之三

لتلك المشاعر الوطنية بعد أن تيقنت من أن من المستحيل عليها أن تستمر في الاحتلال هاتين الدولتين ، فخرجت نهائياً من الهند ، واعترفت باستقلالها ، كما خرجت من المناطق الداخلية بمصر ، ولكنها أصرت على الاحتفاظ بقواتها في منطقة قناة السويس ، ولو على سبيل الاحتفاظ بظاهر عقيم للفكر الاستراتيجية التي عفى عليها الزمن ، إذ ما فائدة الاحتفاظ بقناة السويس بعد أن ضاعت منها الهند؟ .. ولم يقنع البريطانيون بعمق هذا الاصرار حتى أجبرهم المصريون على الجلاء من بلادهم .

كذلك فقد زال النفوذ البريطاني عن جنوب أفريقيا . ففي انتخابات ١٩٤٨ ، فاز حزب البوير الوطني بأغلبية المقاعد في البرلمان ، وأصبح بالتالي قادراً على تنفيذ سياسية التمييز العنصري ، واستبعاد الأغليبية السوداء التي تعيش داخل اتحاد جنوب أفريقيا من أن يكون لها أي تأثير مباشر في الأوضاع السياسية والاقتصادية .

والجزء المظلل بهذه الخريطة ، يوضح المناطق التي تسيطر عليها حكومة اتحاد جنوب أفريقيا وتطبق فيها هذه السياسة . كما يوضح الأقليمين اللذين ما زالا تحت الحكم الاستعماري البريطاني في تلك الفترة وهما : سوازيلاند Swaziland وباسوتولاند Basutoland.

كذلك فقد قامت بريطانيا بإعداد كل من ليبيا والصومال للاستقلال مستقبلاً . وحاولت تعديل الحدود لصالح الصومال بأن ناشدت الأثيوبيين [ وهو الاسم الذي أصبح الإنجاش يفضلونه رسميًا ] بأن يتخلوا عن

في سنة ١٩٣٥ ، صمم الدكتور الفاشيستى موسولينى الذى كان يحكم إيطاليا آنذا ، على أن يمحو من الأذهان الذكرى المؤلمة لمذبحة الإيطاليين في منطقة عدوه Adowa بالحبشة . لذلك فقد قامت القوات الإيطالية في تلك السنة بغزو الحبشة مرة أخرى . وقد استغل الإيطاليون هذه المرة جبروت الفاشية ، واستعملوا غاز الخردل السام في عملياتهم الحربية . وفي سنة ١٩٣٦ انكسرت مقاومة الحبشة وخضعت تماماً للسيطرة الإيطالية .

ويعد نحو أربع سنوات من ذلك ، بدأت المانيا معارك الحرب العالمية الثانية ، ووقفت إيطاليا إلى جانبها [ المحور ] . وانتهزت هذه الفرصة ، وحققت أحلامها باحتلال كل مناطق القرن الأفريقي وطرد البريطانيين من الأقليم الذي كانوا يمثلونه من الصومال .

ولكن معاقبة إيطاليا على هذا الفعل لم تتأخر كثيراً . ففي سنة ١٩٤١ هزمت بريطانيا كل القوات الإيطالية بمناطق شرق أفريقيا . وفي سنة ١٩٤٣ قامت الجيوش البريطانية بطرد الإيطاليين من ليبيا ، بالرغم من المساعدة الفعالة التي وفرتها الجيوش الألمانية التي اشتراك إلى جانب إيطاليا في تلك المعركة . وبالرغم من ذلك فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، لم يكتسب الوجود البريطاني في أفريقيا أية قوة جديدة .

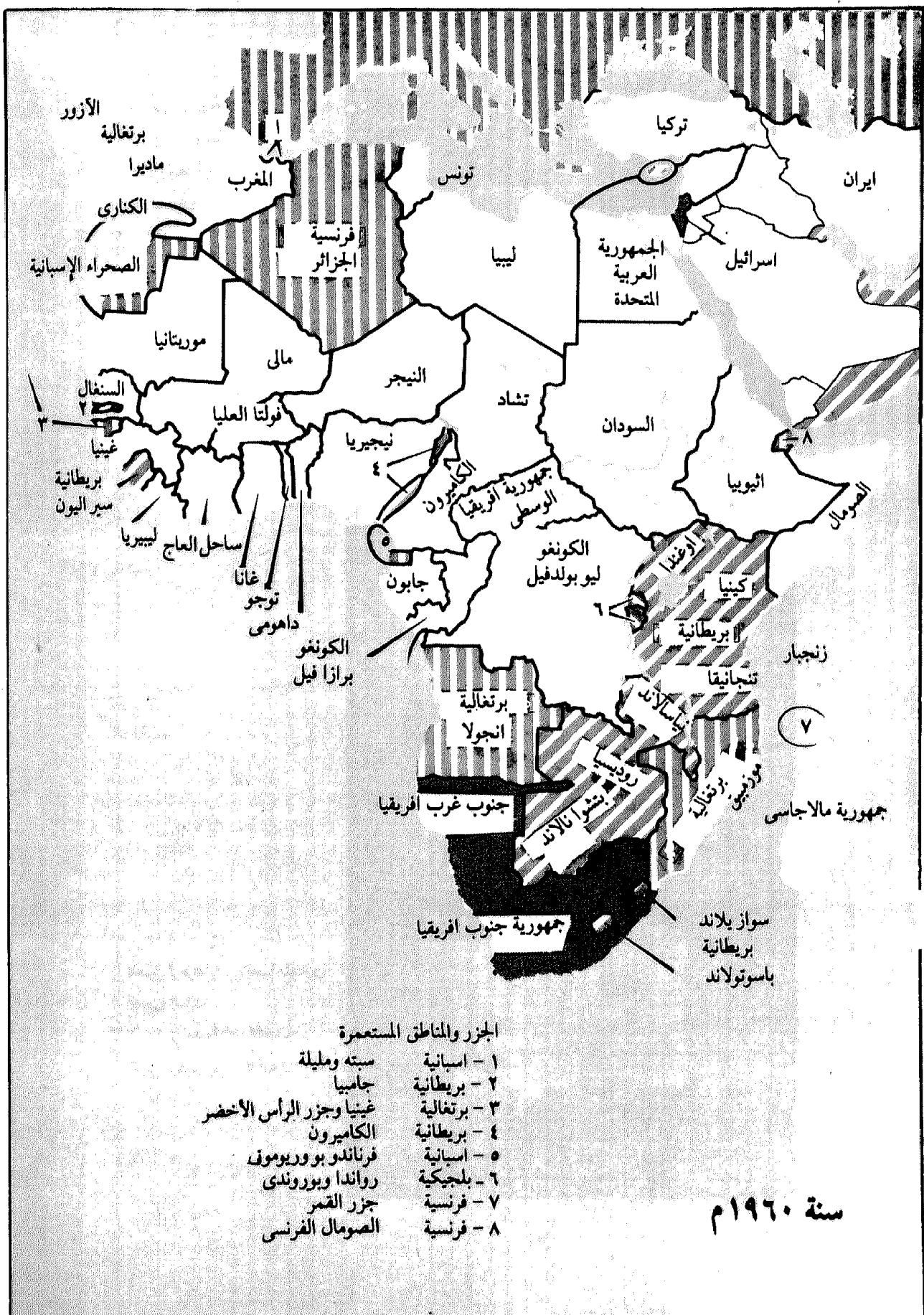
بل على العكس ، فقد أصبح الوجود البريطاني مهدداً بالزوال بفضل التصاعد المستمر للمشاعر الوطنية في كل من الهند ومصر . وفي سنة ١٩٤٧ قبلت بريطانيا على مضض الخضوع

الحصول على استقلالهم ، ولكنهم وجدوا أنفسهم - سنة ١٩٥٢ - مضطرين إلى الدخول في اتحاد مع إثيوبيا ، سواء أكانوا يقبلون هذا الوضع الجديد أم يرفضونه على الاطلاق .

أوجادين Ogaden ، وهو أقليم صحراء مجده ولا قيمة له إلا بالنسبة للقبائل الصومالية القليلة التي تعيش فيه . ولكن الإثيوبيين لم يقبلوا ذلك . أما الإريتريون فقد كانوا يطمحون إلى



تفصيل لزخرفة رأس العصا المبعة في  
الصورة السابقة .  
من معرضات المتحف  
القومي بكوبنهاجن بالدنمارك



الجزر والمناطق المستعمرة

- |  |  |
|--|--|
| <b>سبتة ومليلة</b><br><b>جامبيا</b><br><b>غينيا وجزر الرأس الأخضر</b><br><b>الكامبوفون</b><br><b>فرناندو بوربومونت</b><br><b>رواندا وبوروندي</b><br><b>جزر القمر</b><br><b>الصومال الفرنسي</b> | <b>١ - إسبانية</b><br><b>٢ - بريطانية</b><br><b>٣ - برغالية</b><br><b>٤ - بريطانية</b><br><b>٥ - إسبانية</b><br><b>٦ - بلجيكية</b><br><b>٧ - فرنسية</b><br><b>٨ - فرنسية</b> |
|--|--|

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية من المساهمين في تلك الشركة ، ولكن إنجلترا وفرنسا وهما من أصحاب أكبر حصص الأسهم ، تأمرتا مع إسرائيل لكي تشن حرباً خاطفة ضد مصر ، يتخذها البريطانيون والفرنسيون ذريعة للتدخل «لأقرار النظام». وهي نفس الحجة التي قيلت في الأيام الماضية سنة ١٨٨١ م.

غير أن هذه الخليل الاستعمارية العتيبة لم تعد مقبولة الآن . وأدان الرأي العام الدولي هذا العدوان الثلاثي السافر والذى قدر له الفشل حتى قبل أن يبدأ . لقد انتهى الآن تماماً عصر الاستعمار الصريح الذى كان يكشف عن وجهه سافراً ومعتمداً على استخدام الأسطوanel الخرية .

أما أفريقيا السوداء فقد كان من المفترض أن يتأنى استقلالها قليلاً بعد حصول الدول العربية على استقلالها في مناطق شمال أفريقيا . ومع ذلك فقد هبت رياح التغيير بسرعة على معظم المناطق التي كانت داخلة ضمن نفوذ الإمبراطوريات القديمة . وفي سنة ١٩٦٠ كان عدد الدول الأفريقية الجديدة المستقلة بمناطق جنوب الصحراء الكبرى يكاد أن يتساوى مع عدد المستعمرات التقليدية التي ما زالت قائمة .

وكانت أول دولتين حصلتا على الاستقلال هما : ساحل الذهب [التي سميت دولة غانا Ghana] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٧ ، وغينيا الفرنسية [التي سميت دولة غينيا Guiné] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٦٠ حصلت نيجيريا على

في فترة الخمسينيات ، ازدادت عمليات زوال النفوذ الاستعماري عن كثير من المناطق والدول الأفريقية . ففي سنة ١٩٥١ خرجت بريطانيا من ليبيا . وفي سنة ١٩٥٦ خرجت من السودان وأجلت قواها عن قاعدة قناة السويس . وفي نفس السنة ، انسحب فرنسا من تونس ، كما انسحب من مراكش هي وأسبانيا .

وكانت الجزائر أقل حظاً حيث كان يعيش فيها نحو مليون من المستوطنين البيض الذين تمسكوا بقوة بطالبة الحكومة الفرنسية تنفيذ تعهداتها غير الواقعى السابق بدمج الجزائر في فرنسا باعتبارها أرضاً فرنسية . وفي سنة ١٩٥٤ نشب الحرب بين القوات الفرنسية المحتلة وبين ثوار جبهة التحرير الجزائري Algerian Li-beration Front الذين اكتسبوا التأييد والمساندة من جانبأغلبية الدول الإسلامية ، كما اكتسبوا تعاطف كل المجتمعات الدولية بصفة عامة .

وقد حدثت محاولات قليلة الأهمية من جانب القوى الاستعمارية لارجاع التاريخ إلى الوراء . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل في نهاية عام ١٩٥٦ ، وهناك بعض الواقع والأحداث السياسية التي قد تعتبر خارجة عن نطاق القارة الأفريقية ولكنها مع ذلك أدت دورها في التأثير على الأوضاع السياسية الأفريقية . من أهم تلك الواقع والأحداث مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ، وال Herb الباردة التي كانت لم تزل ناشبة بين أمريكا وروسيا ، وتدحرج العلاقات المصرية الأمريكية ، واعلان مصر تأميم شركة قناة السويس .

كذلك فقد انسحب البلجيكيون من الكونغو البلجيكي ، وانسحبت بريطانيا وإيطاليا من قسمى الصومال [ وقد سمحت هيئة الأمم المتحدة لليطاليين بالعودة إلى الصومال الإيطالي لاعداده وتجهيزه ل يوم الاستقلال ] . كذلك فقد انسحب الفرنسيون من جزيرة مدغشقر وسميت دولتها باسم جمهورية مala جاسي Malagsy .

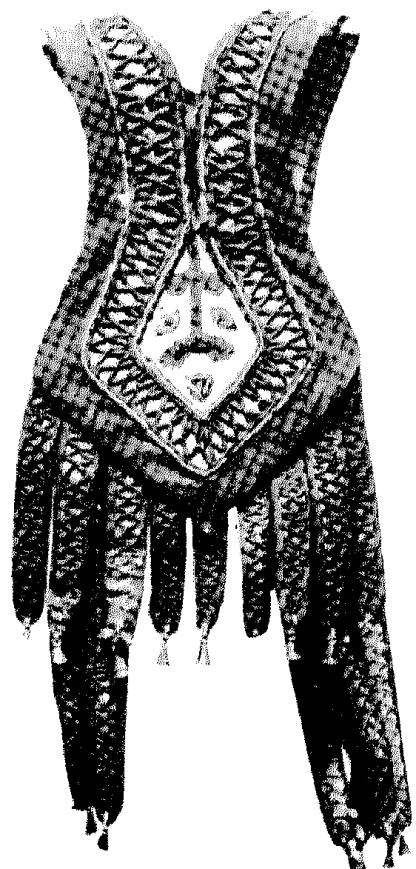
ويلاحظ أن دولتي الكونغو السابقتين : الكونغو الفرنسي والكونغو البلجيكي ، قد ميزتا نفسها بأن أطلقت كل واحدة منها إسم عاصمتها مقرونا باسمها .

ويلاحظ كذلك حدوث تغيير في اسم مصر ، فبعد طرد الملك فاروق بقيام الثورة التي قادها ضباط الجيش المصري [ سنة ١٩٥٢ ] ، اندمجت مصر مع سوريا [ سنة ١٩٥٨ ] في دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة .

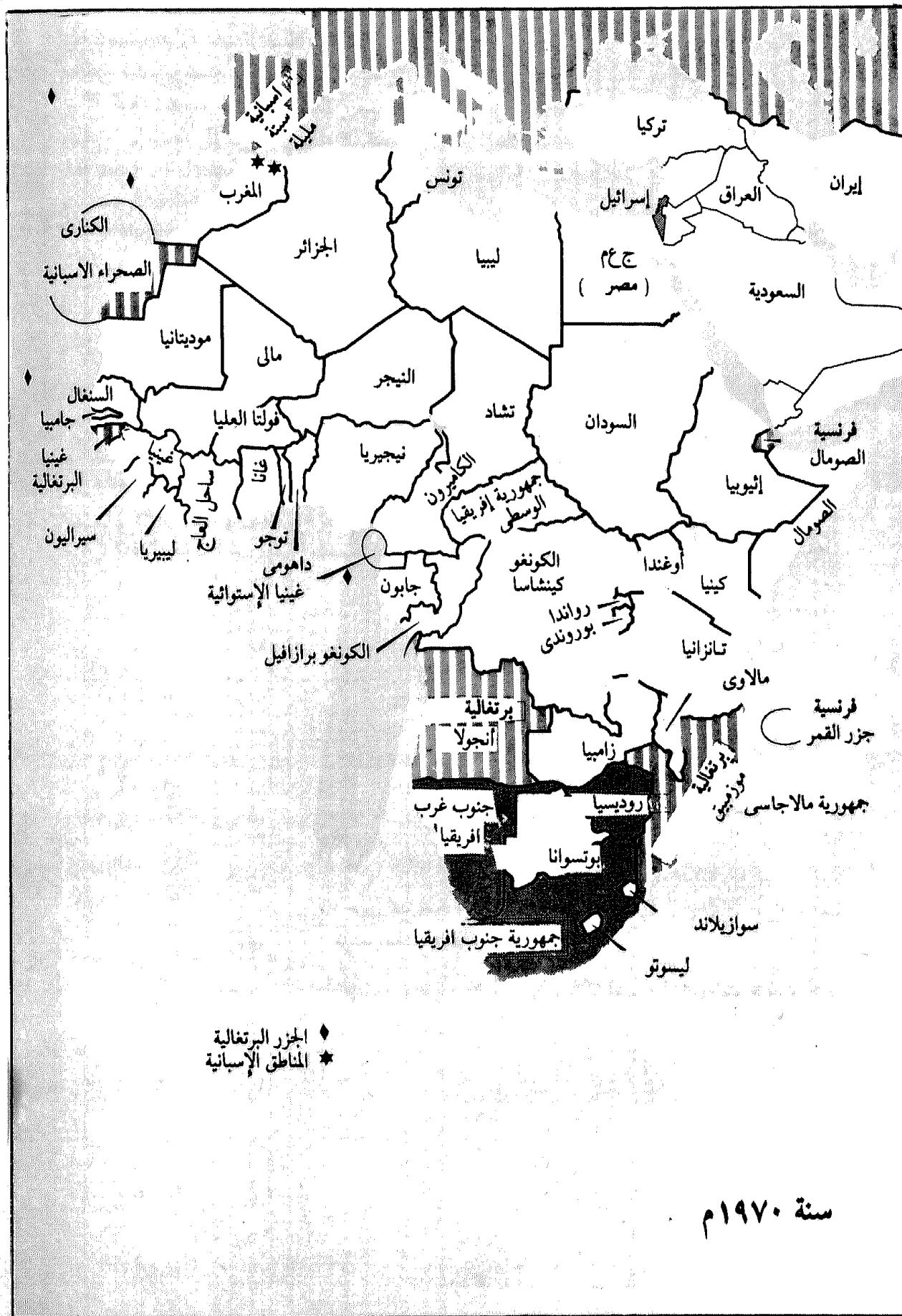
استقلالها عن بريطانيا ، وهي أكبر دولة إفريقية من ناحية تعداد السكان . كما انسحبت فرنسا كلية من جميع المناطق التي كانت تحتلها في إفريقيا السوداء واعترفت بكل دولة على حدة من الدول التي كانت مندوبة في كتلة سياسية وإدارية واحدة .

ففي الكتلة التي كانت معروفة من قبل باسم إفريقيا الغربية الفرنسية ، استقلت دول عديدة هي : موريتانيا ، والسودان الفرنسي التي سميت مالي ، والنيجر ، والسنغال وغولدا العليا ، وساحل العاج ، وتوجو ، وداهومي .

ومن الكتلة التي كانت معروفة باسم إفريقيا الاستوائية الفرنسية استقلت دول أخرى هي : تشاد ، وأوبيانجي شاري Ubangi Shari التي سميت جمهورية إفريقيا الوسطى ، والكاميرون ، وجابون ، والكونغو .



رداء حربي كان يستخدمه مغاربو بين القدماء .  
من معارض المتحف البريطاني بلندن .



المحاولة قد أخفقت . وبهذا نجحت روديسيا – ولو إلى حين – في اقرار النظام العنصري ، والانضمام إلى جبهة جنوب إفريقيا .

وعلى جانبي تلك الجبهة العنصرية التي تتكون من روديسيا وجنوب إفريقيا ، تقع المنطقتان اللتان كانت تسيطر عليهما البرتغال : موزambique في الشرق ، وانجولا في الغرب . وقد أعلن البرتغاليون أنهم لن يخرجوا أبداً من أي من هاتين المنطقتين .

كذلك فقد كانت هناك ثلاث مناطق تقع داخل حدود تلك الجبهة ، وكانت تابعة للاستعمار البريطاني . وفي سنة ١٩٦٦ منحت Botswana بريطانيا الاستقلال لكل من بتسوانا [Botsuana] ، وليسوتو [Lesotho] [بتشوانا لاند سابقاً] . وفي سنة ١٩٧٨ حصلت سوازيلاند [Swaziland] على استقلالها . أما منطقة جنوب إفريقيا ، فقد استمرت تحت حكم إنتداب جنوب إفريقيا [وكانَت هذه المنطقة قد وضعت تحت إنتداب اتحاد جنوب إفريقيا بقرار صادر من عصبة الأمم القديمة . وقد وافقت هيئة الأمم المتحدة على مضض على استمرار هذا الإنتداب بقرار صادر سنة ١٩٦٦] .

وفي سنة ١٩٦٢ استسلمت فرنسا أخيراً للأمر الواقع وخرجت من الجزائر بعد حرب استمرت ثمان سنوات . وخرجت بلجيكا من رواندا ويورندي .

وفي سنة ١٩٦٩ أعادت إسبانيا منطقة إفني Ifni إلى المغرب . كما أنشأت دولة جديدة Equato-Guinea الاستوائية-

في السنوات الأولى من فترة الستينات ، استمرت عملية زوال النفوذ الاستعماري عن الدول والمناطق الأفريقية بلا مشاكل . ففي سنة ١٩٦١ انسحبت بريطانيا من سيراليون ، وتونجانيا ، ومن الشريط الذي كانت تختلله في منطقة الكاميرون .

[ وقد اختار الأهالي الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من هذا الشريط أن يتضمنوا إلى دولة نيجيريا . أما الأهالي الذين كانوا يسكنون النصف الجنوبي من هذا الشريط ، فقد اختاروا الانضمام إلى دولة الكاميرون ] .

وفي سنة ١٩٦٢ انسحبت بريطانيا كذلك من أوغندا . وفي سنة ١٩٦٣ انسحبت من كينيا وزنجبار . وفي سنة ١٩٦٤ انسحبت من Zambia [روديسيا الشمالية سابقاً] ، ومن مالاوي Malawi [نياسالاند سابقاً] . وفي سنة ١٩٦٥ انسحبت من جامبيا .

وهنا بدأت المشاكل بالنسبة للدولة روديسيا [روديسيا الجنوبية سابقاً] . فقد كان هناك نحو ربع مليون من المستوطنين البريطانيين البيض يقيمون في روديسيا بصفة دائمة ، وكيان مثل هذا العدد من المستوطنين البيض كافياً لإقامة نظام عنصري على غرار النظام المطبق في جنوب إفريقيا . وفي سنة ١٩٦٥ أعلن هؤلاء المستوطنون استقلالهم من تلقاء أنفسهم ، وانشأوا حكومة عنصرية بيضاء تحكم في الدولة بما في ذلك الملايين الستة من الأهالى السود .

وقد رفضت بريطانيا استخدام القوة السحرية ضد المستوطنين البيض . واكفت بفرض بعض العقوبات الاقتصادية ، إلا أن هذه

أصبح رئيس أي من هذه التنظيمات أو الأحزاب السياسية رئيساً للدولة بمجرد اعلان الاستقلال . كما أصبح الحزب الذي يرأسه هو القوة السياسية الوحيدة في الدولة . وذلك مثلما حدث في غانا فور استقلالها ، حيث أعلن كوامي نكروما Kwame Nkrumah رئيساً للدولة ، باعتباره رئيساً لحزب المؤمن الشعبي الذي أسسه في فترة ما قبل الاستقلال .

وفي الحالات التي كان يفشل فيها السياسيون الأفريقيون في ادارة وتنظيم حكومة مقبولة ، كان العسكريون يستولون على نظام الحكم على أمل انشاء هذه الحكومة . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث في الكونغو البلجيكى . فقد انسحب البلجيكيون منه قبل أن يتوقع أحد ، وتركوا البلاد تعانىفوضى شاملة إلى أن استولى الجنرال موبيتو Mobutu على الحكم في سنة ١٩٦٥ . وبالرغم من أن حكم موبيتو قد واجه كثيراً من المشاكل إلا أنه مازم قائمًا ومستقراً حتى اليوم .

وهناك كثير من السياسيين المدنيين الذين رأسوا بلادهم فور استقلالها ، واستمرروا في الحكم فترة طويلة ، حتى أصبح من الصعب آثذ تصور البلاد بدونهم . ونذكر منهم الحبيب بورقيبه في تونس ، ولويول سنجورو في السنغال ، وسيكتورى في غينيا كوناكري ، وفليكس هوفويه بوانيه في ساحل العاج ، وأحمدو أهيدجو في الكاميرون . وذلك بالاضافة إلى الآباء المؤسسين الذين ترأسوا بلادهم فور استقلالها واستمر حكمهم لفترات طويلة خصوصاً في دول شرق افريقيا . ونذكر منهم جomo كينياتا في كينيا ، وجوليوس نيريرى في تانزانيا ، وكينيث كواندا في زامبيا ، وهاستنجلس باندا في مالاوي . أما بالنسبة للرجال العسكريين الذين ترأسوا

rial Guinea وت تكون من جزيرة فرناندو بو المستعمرة القريبة منها والواقعة بأرض الساحل والتي كانت تسمى مستعمرة Rio Muni . [ سنة ١٩٦٨ ] .

وب مجرد انتهاء عصر الاستعمار في افريقيا ، عادت إلى الظهور بعض الأسر المالكة القديمة لتصبح على رأس نظام الحكم في بعض الدول المستقلة الجديدة . وانجح ثورج للأسر المالكة الافريقية كان في المغرب التي مازلت تتبع النظام الملكي حتى اليوم . وذلك على عكس ما حدث بالنسبة للأسرة المالكة في جزيرة زنجبار . وبعد أسبوعين فقط من حصولها على استقلالها ، قامت جماعة ثورية تمثل الأغلبية السوداء من أهالي الجزيرة الأصليين بالاطاحة بالسلطان ، واستولت على الحكومة ، وطالبت فوراً بالانضمام إلى تنزانيا التي قبلت هذا الاتحاد مع زنجبار ، واطلقت اسم تانزانيا Tanzania على هذا الاتحاد الجديد .

وقد حقق هذا الاتحاد نجاحاً كبيراً ، واستمر قائماً دون حدوث أية مشاكل ، وكان في صالح قسمى الاتحاد معاً . وذلك على عكس ما حدث بالنسبة للوحدة التي تمت بين كل من مصر وسوريا في سنة ١٩٥٨ ، حيث انفصلت سوريا سنة ١٩٦١ ، ومع ذلك فقد استبقت مصر اسم الجمهورية العربية المتحدة .

٠٠٠

وفي سنة ١٩٧٠ ، كانت قد مررت نحو عشر سنوات على استقلال معظم الدول الافريقية . وهي فترة كافية لاستنتاج أن نظام الحكم في هذه الدول لم تنتهي النهاية البرلمان الذي أوصاه به المستعمرون الأوروبيون قبل أن يرحلوا . وبالنسبة للدول التي كانت توجد بها تنظيمات سياسية كافحة من أجل الحصول على الاستقلال ،

لنظام حكمه . ففي سنة ١٩٦٥ أطاح العقيد هوارى بومدين – وهو عسكري صارم – بأحمد بن بيلا رئيس الجزائر الذى كان من قبل رئيسا للجناح السياسي لجبهة التحرير الجزائرية .

ويبدو أن أغلبية الدول العربية في شمال إفريقيا ، كانت ترى أن النظم العسكرية هي الأسلوب الصحيح للحكم حتى يتبوأ العرب مكانهم في هذا العالم . وكان عام ١٩٦٩ هو عام انتشار الانقلابات العسكرية . فقد استولى العسكريون على زمام الحكم في كل من ليبيا والصومال والسودان [ بالنسبة للسودان لم تكن هذه هي المرة الأولى لاستيلاء العسكريين على السلطة ] .

في ليبيا عزل العقيد معمر القذافي الملك السنوسي الذى نصبه البريطانيون على عرش ليبيا منذ سنة ١٩٥١ . وادعى القذافي لنفسه حق الدعوة إلى إنشاء دولة إسلامية كبيرة تضم الدول الإسلامية المعاصرة . واستغل القذافي موارد ليبيا وعائداتها من البترول في تكريس هذه الدعوة . ولكن كان من الواضح أن دعوته هذه لم تلق التأييد حتى من جيران ليبيا من الدول العربية المجاورة الذين رأوا أن مثل هذه الدعوة أصبحت لا تناسب الأوضاع السائدة في القرن العشرين . وقد رفضت مصر [ سنة ١٩٧٣ ] ، وتونس [ سنة ١٩٧٤ ] العرض الذى قدمه القذافي للوحدة مع كل منها .

أما اللواء جعفر النميرى رئيس السودان في ذلك الوقت<sup>(١)</sup> فقد كان يواجه وضعًا مختلفا . فالسودان مثله في ذلك مثل دول الساحل العشرين بجنوب الصحراء كان مستقطبا لكل من عرب الشمال والأفارقة السود في الجنوب . وعندما تولى النميرى دفة الحكم ، كان العداء بين

الدول الإفريقية المستقلة ، فقد تفاوتت أقدارهم . فقد انشأ بعضهم نظام حكم قريراً استمر لمدة طويلة . وأوضح غودج على ذلك نظام الحكم الذى ترأسه عبد الناصر في مصر بعد ثبات ثورة ١٩٥٢ . فقد استمر عبد الناصر رئيسا للبلاد من سنة ١٩٥٤ حتى وفاته في سنة ١٩٧٠ .

وبالرغم من أن حكم عبد الناصر كان حكماً فردياً مطلقاً [ أوتوقراطياً ] ، فلا ينكر أحد مدى اخلاصه لشعبه ونجاحه في توفير مستوى أفضل لحياة المصريين العاديين .

وعلى المستوى العالمي بصفة عامة ، وبالنسبة للعرب بصفة خاصة ، عاش عبد الناصر أزيد أيامه بعد مواجهته للعدوان الثلاثي [ البريطاني الفرنسي الإسرائيلي ] سنة ١٩٥٦ . فقد واجه هذا العدوان بشجاعة دون سمعتها في أرجاء العالم . ولكن على المدى الطويل ، ويسبب ظهور الكثير من الحركات التحريرية في مختلف أنحاء العالم ، استنزفت مصر مواردها في تدعيم هذه الحركات ، في الوقت الذى كانت فيه أحوج ما تكون إلى هذه الموارد لاستثمارها في التنمية الداخلية .

وفي سنة ١٩٦٧ نشب حرب جديدة بين مصر وإسرائيل التي اكتسحت الجيش المصري في ستة أيام ، تبيّنت فيها المرة الواسعة بين تقدير عبد الناصر لقوة جيشه ، والقوة الفعلية التي كانت متاحة له في تلك الأيام . وبعد موت عبد الناصر ، خلفه نائبه أنور السادات وكان أيضًا من العسكريين . واتسم حكمه في البداية بنظرية أكثر واقعية في إدارة شؤون البلاد . [ ولقى مصرعه في ٦ أكتوبر ١٩٨١ ] .

وعند موت عبد الناصر في سنة ١٩٧٠ ، كانت هناك مجموعة من الحكومات الإفريقية التي يرأسها عسكريون وتتبع نظام حكم ماثلاً تقريبا

(١) عزل من الحكم في أبريل ١٩٨٥

حصلت على الاعتراف الدبلوماسي من العديد من الدول الأفريقية الأخرى ، فقد تم القضاء عليها نهائيا . ثم قامت الحكومة الاتحادية [ العسكرية ] بتقسيم نيجيريا إلى وحدات إدارية صغيرة ، تقف كلها على قدم المساواة ، الأمر الذي يصعب معه حدوث مثل هذا الانقسام مرة أخرى .

ولذا وضمنا في الاعتبار أن رسم الحدود بين الدول الأفريقية قد تم في الأصل بمعرفة القوى الاستعمارية التي رسمت هذه الحدود بما كان يلائم مصالحها ، فلم يكن من الغريب إذن أن معظم الدول الأفريقية الجديدة قد عانت الكثير من المتاعب والصعوبات للاحتفاظ بوحدة ترابها . فمعظم هذه الدول كان يشغل بالفعل مساحات إقليمية أوسع كثيراً من حدود المساحات أو الأقاليم التي تشغلهما القبائل المحلية . كما أن بعض هذه الدول - مثل السودان ونيجيريا - كانت تتكون من شعوب مختلفة عرقياً وعاقلياً وتاريخياً .

ومع ذلك فمن الملاحظ أن الحركات الانفصالية لم تتحقق حتى الآن أي نجاح ، حتى في زائر [ الكونغو كينشاسا ] نفسها ، وهي دولة متaramية الأطراف وتشغل مساحات واسعة . وعندما خرج منها البلجيكيون ، تركوها دون أي نوع من التمهيد الإداري الذي كان يمكن أن يساعد على إقرار النظام ، الأمر الذي أدى إلى حدوث الفلاقل والاضطرابات في السنوات الأولى التالية على الاستقلال . وحتى تتمكن زائر من السيطرة على تمسك الأقاليم التابعة لها ، اضطربت إلى الاستعانة بقوات عسكرية أوروبية بين حين وأخر . رغم أن هذا الإجراء لم يلق ترحيباً من الدول الأفريقية الأخرى ، ولم يكن لائقاً بكرامة الحكومة الزائرية نفسها . ومع ذلك فقد كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة أمام تلك

الشمال والجنوب قد تصاعد بينها حتى وصل إلى مرحلة الحرب السافرة ، حيث أصر الجنوبيون على الحصول على الاستقلال الكامل عن الخرطوم . وقد أعلن النميري منح الجنوب نوعاً من الحكم الذاتي . وكان ذلك قراراً سياسياً حكيمًا يناسب الأوضاع والظروف القائمة ، ووضع حدًا للحرب الأهلية ، ونجح في تحقيق المصالحة الوطنية .

أما العسكريون الذين استولوا على نظم الحكم في دول إفريقيا السوداء ، فلم يحققوا لدولهم أي نجاح ، كما لم يصل أي منهم إلى مكانة بين بني وطنه تمايز المكانة التي وصل إليها الحكم المدنيين مثل كينياتا ونيريري وكواندا وياندا . وربما يرجع ذلك إلى أن نظام الحكم المدني لم يفقد بريقه بين شعوب تلك الدول على عكس الوضع بين شعوب شمال القارة . وبهذا يمكن تفسير الوضع الذي حدث في غانا عندما استولى العسكريون على الحكم واذاجوا كواامي نكروما سنة 1966 . فقد أعلن القادة العسكريون أن حكومتهم حكومة انتقالية مؤقتة ، وأنهم سيعيدون الحكم للمدنيين بمجرد حل واصلاح الكوارث الاقتصادية التي سببها نكروما بتبنيره . ومن المدهش أن قادة الجيش الغانى قد أوفوا بوعدهم ، وعادوا الحكم إلى المدنيين في سنة 1969 .

وكذلك الحال بالنسبة لنيجيريا . فعندما استولى العسكريون على الحكم سنة 1966 ، أعلنوا أنهم سيعيدونه للمدنيين بمجرد قيامهم باقرار النظام في الدولة . ولكن نيجيريا كانت تعانى وقتئذ كثيراً من مشاكلها الخاصة . فقد نشب حرب أهلية استمرت من سنة 1967 حتى سنة 1970 ، بسبب انسحاب قبائل الإيبو Ibo من الدولة ، وانشائهم دولة خاصة بهم سموها بياfra Biafra . وبالرغم من أن هذه الدولة قد

الحكومة للاحتفاظ بالأمر الواقع داخل حدود الدولة .

أما مشكلة الصومال فتعتبر أكثر تعقيداً .

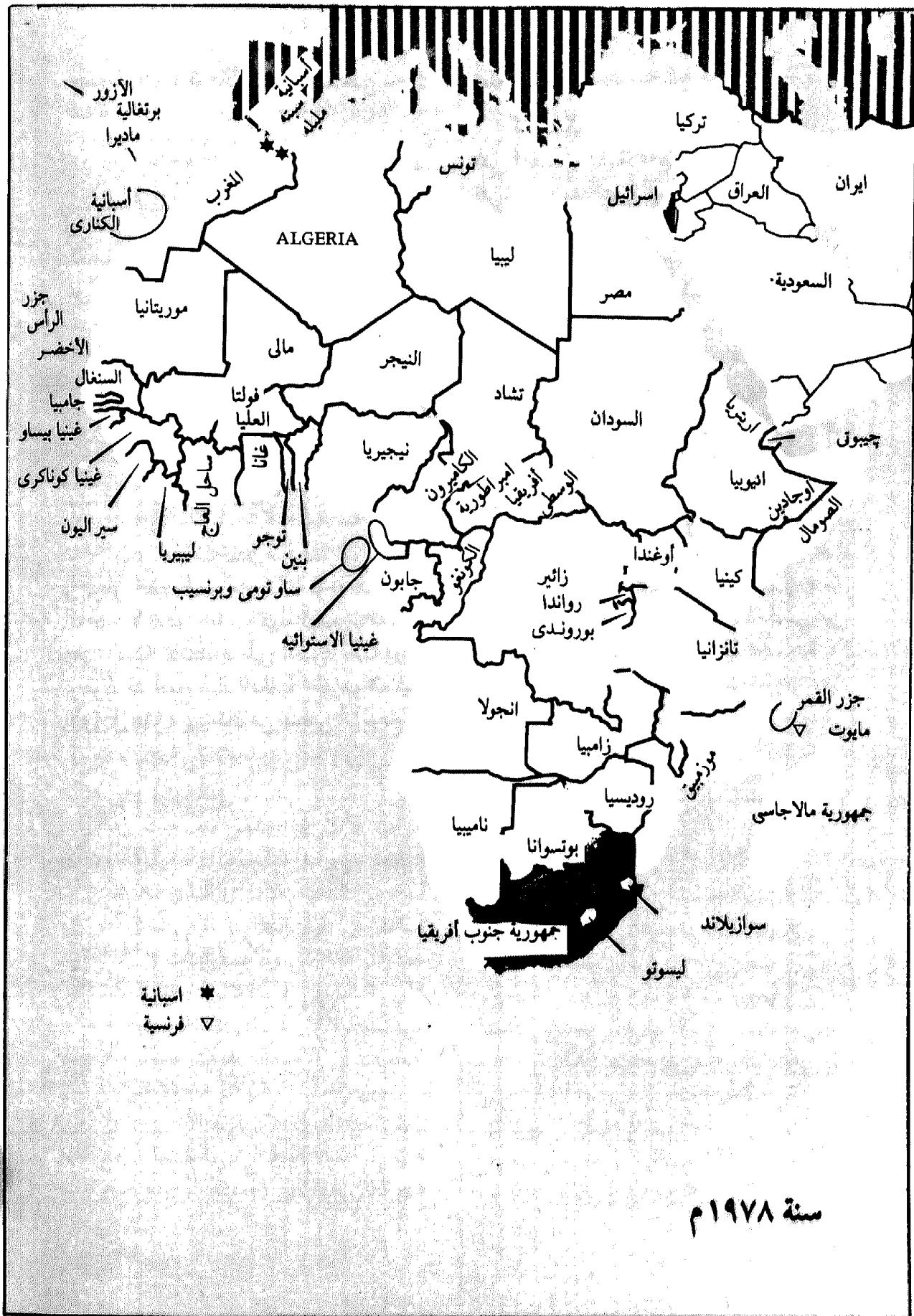
فهي أعقاب نهاية العصر الاستعماري في إفريقيا ، وجد الصوماليون أنفسهم مشتتين بين خمسة نظم سياسية هي : الصومال الفرنسي ، والصومال البريطاني ، والصومال الإيطالي ، وأقاليم أوجادين في إثيوبيا ، ومنطقة الحدود الشمالية لدولة كينيا .

أما جمهورية الصومال المستقلة [ والتي تتكون من الصومال البريطاني والصومال الإيطالي سابقاً ] فقد اختارت رمزاً للأقاليم الخمسة التي كان يجب أن تتكون منها . ويتمثل هذا الرمز في الجمة الخمسية الأطراف التي تتوسط العلم الصومالي . وليس من المتوقع أن ينضم الصومال الفرنسي إلى هذه الجمهورية في يوم ما . أما الأقليمان الآخرين اللذان يتكلم اهلهما اللغة الصومالية في كل من إثيوبيا وكينيا ، فليس من المتوقع انضمامها إلى جمهورية الجديدة إلا باستخدام الحرب . وقد بدأت هذه الحرب فعلاً في أقاليم أوجادين سنة ١٩٦٤ .

ومن الملاحظ أن معظم الأفريقيين يقبلون النتائج التي تؤدى إليها الحركات الانفصالية . وذلك على أساس أن القارة لديها مشاكلها الخاصة الكافية ، ولا ينقصها أن ينشأ النزاع والشجار على مناطق الحدود بين دولها .

ومع ذلك فإن مشاكل الحدود بين الدول الأفريقية تعتبر قليلة للغاية ويمكن عدها على أصابع اليد الواحدة . وبطبيعة الحال فإن بعضًا من هذه الدول تخرج خارجة من تلك المشاكل ، ومع ذلك فإن « منظمة الوحدة الأفريقية » تصدق غالباً على نتائج هذه المشاكل .

ولعل أهم مشكلتين من هذا النوع حدثتا في توجو والصومال . أما مشكلة توجو فتمثل في أن جزءاً لا يستهان به من قبيلة الإيوي Ewe - وهي القبيلة الأساسية التي تكون منها دولة توجو . قد أدمج منذ اعقاب الحرب العالمية الأولى في غانا ، بينما كان من المنطقى أن يدمج في



سنة ١٩٧٨ م

تنطلق من قواعدها في كل من موزمبيق وزامبيا . أما جنوب أفريقيا ، فقد ظلت بعند الحصن الحصين لسياسة التمييز العنصري ضد الأغلبية السوداء . وذلك بالرغم من أنها اضطرت في سنة ١٩٧٩ إلى قبول استقلال جنوب غرب أفريقيا ، حيث نشأت دولة جديدة أطلقت على نفسها اسم ناميبيا Namibia . ويشك كثير من المراقبين في أن الدستور المقترح لتلك الدولة سيضم من استمرار البيض الذين لا يتجاوز عددهم ٪ ١٠ من إجمالي السكان في السيطرة على إدارة دفة الحكم في تلك الدولة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن بعض الدول الأفريقية المتحررة ، لم تخلو من داء التنازع فيما بينها وعلى سبيل المثال ذكر التزاع الذي حدث في منطقة الصحراء الإسبانية في شمال غرب أفريقيا . فقد اتفقت إسبانيا على تقسيم هذا الشريط الصحراوي الذي كانت تعتله بين كل من المغرب وموريطانيا . ولكن الجزائر عارضت هذا الوضع بشدة ، وقامت بمساندة وتدعم إحدى الحركات المحلية التي تناهى باستقلال هذا الأقليم ، والتي تمارس حرب العصابات ضد القوات المحتلة .

ونشير كذلك إلى أن إثيوبيا قد حاقت بها المنازعات من جهتين . فقد بدأ الصوماليون زحفهم التدريجي للاستيلاء على أوجادين ، بينما ظهرت في إريتريا بعض الجماعات السياسية التحررية التي أعلنت الكفاح في سبيل الاستقلال عن إثيوبيا . وقد سيطرت هذه الجماعات بالفعل على المناطق الريفية بالأقليم ، بينما ظلت المدن الرئيسية تحت سيطرة الأثيوبيين .

في الستينات تمسك البرتغاليون ببدأ التصميم على عدم مغادرة المناطق التي يحتلواها في أفريقيا . وذلك في عهد الحاكم الرجعي سالازار . ولكن في سنة ١٩٧٠ ، وبعد أربع سنوات من موت سالازار ، قامت ثورة في البرتغال نظرت إلى هذا الأمر من وجهة نظر جديدة فقد خشيت البرتغال في عهدها الجديد من الشورات العنيفة التي اشتعلت أوارها في داخل المناطق الأفريقية التي تحتلها ولهذا قررت الحكومة البرتغالية الجديدة أن تسحب من أفريقيا كلية وعلى الفور .

وخلال عامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، انسحب نحو ثلاثة أرباع المليون من المستوطنين البرتغاليين وعادوا إلى وطنهم . وبالتالي فقد استقلت كل من أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية ، التي عرفت باسم غينيا بيساو Guinea Bissau كما استقلت أيضا جزر رأس فير ( جزر الرأس الأخضر ) ، وساو تومي وبرنسيب . وفي أنجولا حدث نزاع - من أجل السيطرة عليها - بين ثلاث من الحركات السياسية التي كانت تكافح من أجل استقلالها ، إلى أن سيطرت عليهما الجماعة الماركسية التي يساندها الكوبيون . كما سيطر الماركسيون أيضا على موزمبيق .

وكان لانسحاب البرتغال من أنجولا وموزمبيق تأثير بالغ على روبيديا ، إلى أن انتهى الأمر أخيرا في عام ١٩٧٩ بخضوع المستوطنين البيض لحكم الأغلبية السوداء . وفي نهاية ذلك العام تغير اسم روبيديا وأصبحت تسمى زيمبابوى Zimbabwe . وقد تعرضت زيمبابوى إلى التدخل من جانب فرق حرب العصابات التي

يكن يتم بهذا الموضوع أصلًا .

ثم توالى سلسلة الانقلابات العسكرية في النيجر سنة ١٩٧٤ ، وفي تشاد سنة ١٩٧٥ ، وفي موريتانيا سنة ١٩٧٨ .

وفي سنة ١٩٧٥ اعلنت استقلالها ثلاثة من الجزر المسلمة من مجموعة جزر القمر . أما الجزيرة الرابعة التي يسكنها المسيحيون ( جزيرة مايوت ) Mayotte فقد رفضت الانضمام إلى تلك الجزر المستقلة الثلاث ، واختارت استمرار الحالة القائمة باعتبارها محمية فرنسية .

وفي سنة ١٩٧٧ حصل الصومال الفرنسي على الاستقلال ، واقامت دولة جديدة هي جمهورية جيبوتي Djibouti ( اسم المدينة الرئيسية في هذا الإقليم ) .

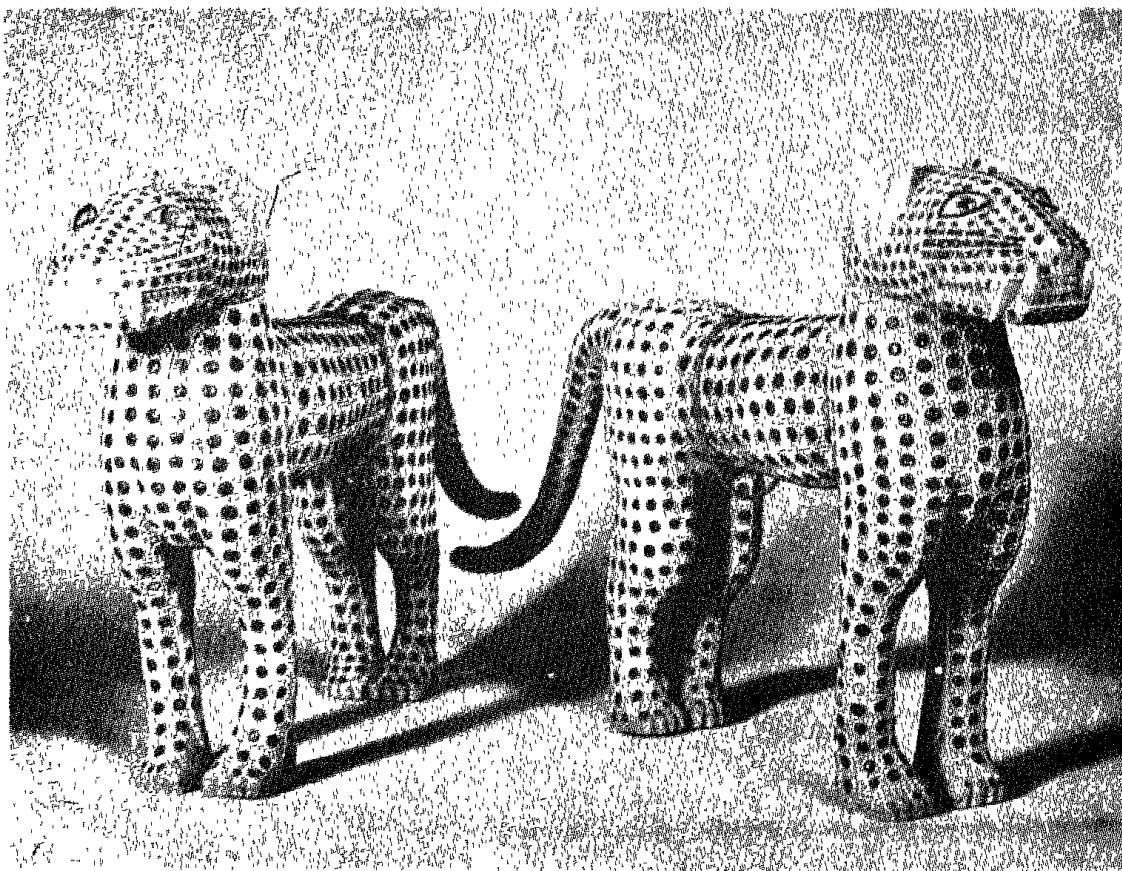
وكانت داهومى قد قامت بتغيير اسمها إلى بنين Benin في سنة ١٩٧٥ . وهواسم قد يؤدى إلى الخلط إذا وضعنا في الاعتبار المكان الذى كانت توجد فيه امبراطورية بنين القديمة .

وفي سنة ١٩٧٧ قامت جمهورية افريقيا الوسطى بتغيير اسمها إلى امبراطورية افريقيا الوسطى .

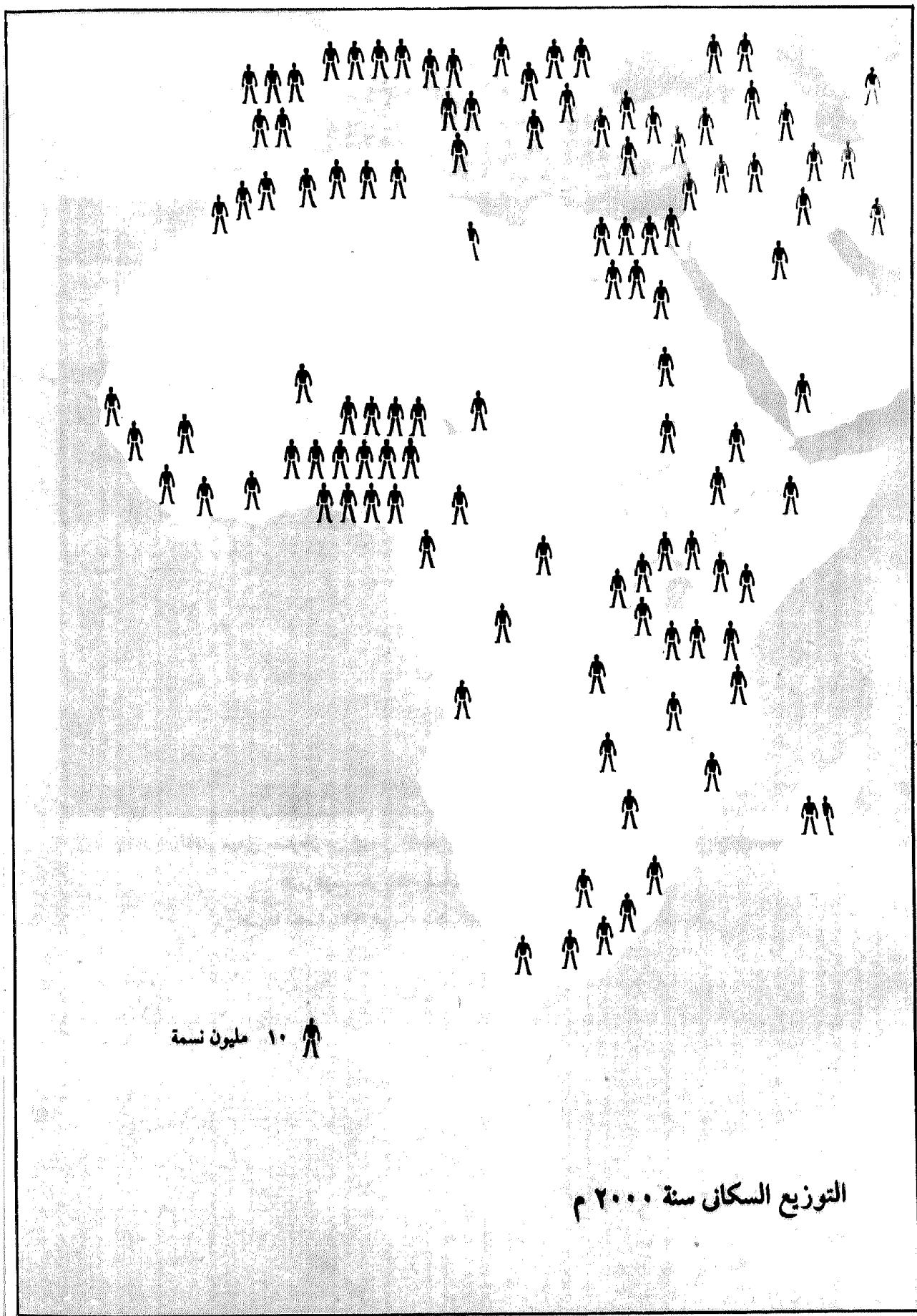
وفي سنة ١٩٧٤ حدث في إثيوبيا انقلاب عسكري أطاح بالامبراطور هيلاسلاسي ، وكان من نتيجته سيطرة العسكريين الماركسيين على نظام الحكم . وقد ساندت روسيا هذا النظام وساعدته ضد الصوماليين . وقد نجح هذا النظام واستمر حتى الآن ، بينما فشل الماركسيون من الجماعات السياسية في إقليم اريتريا ( متصف عام ١٩٧٨ ) .

ونشير كذلك إلى دولة تشاد التي تعانى الكثير من المشاكل ، حيث تدعى ليبيا – بل واحتلت – شريطا من أرضها في حدودها الشمالية . كما أن بقية أقاليمها الصحراوية أصبحت تحت سيطرة حركة سياسية تحريرية كونتها القبائل المحلية من الطوارق وتوبو .

كذلك فقد استمرت قائمة الانقلابات العسكرية في الأزيداد . وفي سنة ١٩٧١ استولى الجنرال عيدى أمين على نظام الحكم فى أوغندا ، كما استولى الجنرال أشيمبونج على نظام الحكم فى غانا . ( ويلاحظ أن الجيش الغانى الذى قام بهذا الانقلاب قد وعد مرة أخرى بأنه سيعيد الحكم إلى المدنيين بمجرد أن ينتهى من اقرار النظام . أما الجنرال عيدى أمين فلم يعد بمثل ذلك ، بل ولم



اثنتان لمهدين مصنوعان من النحاس الأصفر المزجف بالعاج والنحاس الأحمر يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر وكانا يوصدان على جانبي كرسى أحد ملوك بيت من مجموعة الخاصة بالملكة إلبرايث ملكة إنجلترا ومتروضان بالمتحف البريطاني بلندن.



## التوزيع السكاني سنة ٢٠٠٠

أما المناطق التي احتفظت بمعدل النمو السكاني على نحو من الثبات ، فهي المناطق الفقيرة التي تعانى مشاكل القحط والجفاف في الساحل الأفريقي وفي القرن الأفريقي .

ولا نشير في هذه الخريطة إلى الاختلافات العرقية بين سكان إفريقيا . ومع ذلك فلا يسعنا إلا أن نشير إلى التفاوت الواضح بين تعداد البيض وتعداد السود في جنوب إفريقيا . فطبقاً للمعايير الحالية ، سيصل تعداد البيض في نهاية هذا القرن إلى نحو ٦٥ مليون مقابل ٣٥ مليون من السود ، بالإضافة إلى الجماعات الأخرى من الملوك والآسيويين والذين سيصل تعدادهم إلى نحو ٦ ملايين .

ومن هذا الاحصاء يتبين لنا أن نسبة البيض في انخفاض مستمر ، فهي الأن تمثل نحو ١٧٪ من إجمالي السكان ، وكانت نحو ٢٢٪ في الرابع الأول من هذا القرن ، وستصل إلى نحو ٥٪ فقط في نهاية القرن ، ولا شك في أن هذا الانخفاض المستمر في نسبة السكان البيض سيعرضهم للخطر حتى إذا أصرروا على اعتبار أنفسهم جنساً متميزاً يستحوذ على كل الأشياء الطيبة لنفسه فقط دون اعتبار للأغلبية الساحقة السوداء . ومع ذلك فإذا استمر وجود البيض في جنوب إفريقيا حتى نهاية هذا القرن ، فمن المتوقع أن تستمر سيطرتهم على سلطة الحكم ، إلا إذا حالت دون ذلك ظروف أخرى .

ويعتبر معدل زيادة السكان في إفريقيا والذي يصل إلى نحو ٥٪ سنوياً ، من أعلى معدلات الزيادة في سكان العالم ، والتي يبلغ متوسطها نصف هذه النسبة على وجه التقرير . ومعنى

ما سوف يحدث من تغيرات في الخريطة السياسية لأفريقيا اعتباراً من وقتنا الحاضر حتى نهاية القرن العشرين ، يعتبر ضرباً من ضروب التخمين ، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بشكل هذه الخريطة على سبيل اليقين . ومع ذلك فقد يكون من قبيل التنبؤ المعقول ، أن يصبح شكل الخريطة الديموغرافية (الخاصة بتوزيع السكان) على هذا النحو المبين بالخريطة المرسومة بالصفحة المقابلة .

وهذه الخريطة الأخيرة ماثلة للخريطة التي عرضناها سابقاً والخاصة بتوزيع السكان في إفريقيا سنة ١٨٠٠ م . مع فارق هام هو أن الأعداد المبينة في خريطة سنة ١٨٠٠ ستزداد إلى عشرة أضعاف مما كانت عليه . ومقارنة هاتين الخريطتين ، نلاحظ على الفور أن التعداد الإجمالي لسكان إفريقيا في سنة ١٨٠٠ (وكان يقدر بنحو ٧٠ مليون نسمة) سيصبح في نهاية القرن نحو ٧٠٠ مليون نسمة الأمر الذي يعني أن الأفريقيين قد تضاعفوا عشر مرات على مدى قرنين فقط من الزمان .

ومقارنة الخريطتين سيصبح لنا أيضاً مدى التفاوت وعدم التوزان في زيادة السكان المرتبطة بالاحوال الاقتصادية بين منطقتين إفريقيتين في أقصى شمال القارة وأقصى جنوبها . فمصرف على سبيل المثال تعانى حالة من الانفجار السكاني تدفع المخططين إلى حالة من اليأس وقد انالأمل ، في حين أن جنوب إفريقيا – وكانت تعتبر سنة ١٨٠٠ من الدول النامية – أصبحت الآن من أكثر مناطق القارة ازدهاراً من الناحية الاقتصادية .

المؤكد أن الأفريقيين يعلمون جاهدين لاعطاء قارتهم مزيداً من الأهمية في عالم الغد .

ورغم أن القارة تعانى الآن كثيراً من المشاكل ، إلا أن أهلها لديهم من الحيوية قدراء يمكنهم من التغلب على هذه المشاكل والقضاء عليها . ولا شك أن الفصول التالية في التاريخ الأفريقي ستتضمن الكثير من البيانات والمعلومات المثيرة .

هذا أن الأفريقيين سيمثلون ١٢٪ من إجمالي سكان العالم المتوقع في سنة ٢٠٠٠ م . في حين انهم كانوا يمثلون نحو ١٠٪ من سكان العالم سنة ١٩٧٥ ، ونحو ٧٪ فقط في سنة ١٨٠٠ م .

ومعظم هذه الاحصائيات والمقارنات أصبحت الآن عمل دراسة حتى يمكن وضع الخطط والحلول التي تكفل عدم تخلف أفريقيا وراء غيرها من قارات العالم الأخرى . ومن

## فهرس تصنیفی عام

---

قنا بإعداد هذا الفهرس التصنیف العام كبدیل للفهرس التصنیف الذى أعده المؤلف فی  
النص الأصل للکتاب . ولايعنی على فطنة القارئ أن الاختلافات بين اللتين الانجليزية  
والعربية ، وكذا ترتیب الأبيجدیة العربية يجعل ترجمة الفهرس التصنیف الأصلی غير مناسبة ولا  
مطابقة لأصول اللغة العربية .

لذلك فقد تم إعداد هذا الفهرس التصنیف العربي مستقلا تماماً عن الفهرس التصنیف الذى  
أعده المؤلف طبقاً لأصول اللغة الانجليزية .

وعلى أية حال فقد أوردنا في هذا الفهرس التصنیف العربي «مواداً» مستقلة عن الغالبية  
العظمى من المعلومات التي يتضمنها الكتاب بعد الترجمة ، والتي تتناول أسماء الأعلام والأماكن  
والأقاليم والمدن والبلدان ، وأسماء المالك والإمبراطوريات القدیمة والجمهوريات والدول  
المحدثة ، وأسماء القبائل والأنهار والبحيرات والجبال ، بالإضافة إلى معظم الواقع والأحداث  
المامة في تاريخ أفريقيا كقارة ، وفي تاريخ شعوبها وجماعاتها الإنسانية .

المترجم

[أ]

أسبانيا : ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ١١٠ ،  
 ، ١٤١ ، ١٢١ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ١٤١  
 ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٧٣ ، ١٦٥  
 . ٢٢١ ، ٢١٥  
 أستراليا : ١٩  
 الاستعمار : ٢١١ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٣  
 . ٢١٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٦  
 إسرائيل : ٢١١ ، ٢١٧ .  
 الاسكندر الأكبر : ٥١  
 الاسكتلندية : ٥١  
 الإسلام : ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧  
 ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥  
 ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩  
 ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٦٣  
 . ٢١٧ ، ٢١١ ، ١٥٨  
 أسوان : ٤٣ .  
 الأشانتي قبائل / وملكة : ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٨٥ .  
 الأشوريون : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ .  
 إيشيمبونج / المپنزال : ٢٢٢ .  
 الأغالبة : ٧٩ .  
 الإغريق : ٤٩ .  
 أغسطس / الامبراطور : ٥٥ .  
 أفغانستان : ٥١ .

ابن بطوطة : ١٠٢ ، ١٠١  
 أبيلو كاجوا : ١٠  
 إتحاد جنوب أفريقيا : [أنظر أيضاً جنوب أفريقيا]  
 . ٢١٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠١  
 الأتراك السلاغقة : ٨٧  
 إثيوبيا : [أنظر أيضاً الحبشة] ٢١ ، ٢٠٧  
 ، ٢١٩ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٠٨  
 . ٢٢٢  
 أحمد بن بيلا : ٢١٧ .  
 أحمد عراني : ١٨٩ .  
 أحمسو أميدجو : ٢١٦ .  
 أحمسو لوبو : ١٦٢ .  
 الأخدودان العظيان : ٢١ ، ٢٢ ، ٥٦ ، ٥٩  
 . الأدارسة : ٨٠ .  
 إدريس علمية : ١٣٤ .  
 إدوارد / بحيرة : [أنظر بحيرة إدوارد] ٢٢ .  
 أدوليس : [أنظر عدال ، وعلول] ٥٢ .  
 أرجوين : ١١٣ .  
 أرض التعب : ٧٦ ، ١١٣ .  
 إريتريا : ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٧٦ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٠٨

- اندبيل / قبائل : ١٦٩ ، ١٩٤ .  
 إندونيسيا : ٢٩ ، ١٣٠ .  
 الإنسان البدال الحديث : ٣١ .  
 الإنسان البدال القديم : ٣٥ .  
 إنسان روديسيا : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .  
 الإنسان القرد الجنوبي : ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٥ .  
 إنسان نياندرتال : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .  
 الإنسان الواقف على قدميه : ٢٩ .  
 أنهار الجنوب : ١٨٧ .  
 أنهار الريت : ١٥٨ .  
 أنور السادات : ٢١٧ .  
 أوينجى شارى : ٢١٢ .  
 أوبيوك : ١٨٦ .  
 أوتيكا : ٤٥ .  
 أوجادين : ١٣٤ ، ١٣٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .  
 أوجييجى : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ .  
 أوداجوست / مدينة : ٨٩ ، ٨٥ .  
 أورانج أوتان : ٢٥ .  
 الأورانج / نهر : ١٥٧ ، ١٦٩ .  
 أوغندا : ٩ ، ١٠ ، ٢١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٩٣ ، ٢٠١ .  
 . ٢٢٢ ، ٢١٥ .  
 أوكرنوي / بحيرة : ١٧٥ ، ١٧٦ .  
 الأويو [قبائل / مملكة] : ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .  
 الإيبو / قبائل : ٢١٨ .  
 إيران : ٨٧ .  
 إساندالوانا : ١٨٧ .  
 إفقي : ٢١٥ .  
 الأفرام [قبائل] : ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٣ .  
 الأكان / قبائل : ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤٩ .  
 الإكسهوسا / قبائل : ١٠٢ ، ١١٠ .  
 أكسوم / مملكة : ٦٩ ، ٦٠ .  
 أكسيم / مدينة : ١٢٩ .  
 ألبرت / بحيرة : ٢٢ ، ١٧٩ .  
 الألان : ٣١ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .  
 . ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ .  
 اليمينا : ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ .  
 إمارة سوا : ١٩٥ .  
 إمارة شوا : ٨٩ .  
 إمارة فرس : ٧٦ .  
 إمبراطورية أفريقيا الوسطى : [أنظر أيضًا جمهورية  
أفريقيا الوسطى] : ٢٢٢ .  
 الأمريون : ٨٠ .  
 الأمير عبد القادر : ١٧٠ ، ١٧٣ .  
 انتركتيكا : ١٧ ، ١٩ .  
 الأنثروبولوجيا : ٣١ .  
 الانجليز [إنجلترا / وبريطانيا / والبريطانيون] :  
 ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٥٧ .  
 ، ١٧٩ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٧٩ .  
 ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٣ ، ١٨٢ .  
 ، ١٩٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٣ .  
 ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ .  
 ، ٢١١ ، ٢٠١ ، ١٩٨ .  
 ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٥ .  
 الجولا : ٩ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ .  
 ، ١٦٤ ، ١٧٣ .  
 النبوني / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

## [ب]

- الإيطاليون : ١٧٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،  
                   ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٨  
                   ، ٢١٩ .
- إيلورين : ١٦٢ .
- الأيوبيون : ٨٩ ، ٩٢ .
- الإيوى / قبائل : ٢١٩ .
- بابل : ٤٣ .
- بادراؤ [صلبيب برتقالي] : ١١٧ .
- بارثولوميو دياز : ١١٨ ، ١٢١ .
- الباروتشى / قبائل : ١٦٩ .
- باسوقولاند : ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ .
- البامبارا / قبائل : ٥٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ .
- بابوك : ٧٦ ، ٨٩ .
- البانتو / قبائل : ١٠ ، ١٠ ، ٥٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩١ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٧ .
- البانجيايا : ١١ ، ١٧ ، ١٩ .
- الجاجة / قبائل : ٤٩ .
- بتشوانلاند : ١٩٣ ، ٢١٥ .
- بحر الغزال : ١٨٣ .
- بحر أونياموزي : ١٧٥ .
- بحيرة تشاد : [أنظر أيضاً تشاد] ٤٣ ، ٩٧ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٨ ، ٢١٢ ، ٢٠١ ، ١٩٨ ، ١٩٧ .
- بحيرة روكتوا : ٢٢ .
- بحيرة الملح / مدينة : ١٧٦ .
- البرابرة : ٦٩ .
- البيرير : ٧٩ ، ٧٥ ، ٥٢ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٨٥ .
- البرتقال : ١١٧ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٥٨ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٧٥ ، ١٧٥ .
- برونخ السويس : [أنظر السويس / وقتنة السويس] : ٢١ .
- برقة : [أنظر أيضاً سيريناكا] ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ٧٣ ، ٢٠١ ، ١٧٣ ، ١٢٥ ، ٨٧ ، ٨٥ .
- برنيكى : ٥٢ .
- بريتوريا : ١٩٨ .
- بسمارك : ١٨٦ .
- البطالة / بطلميوس : ٥٢ ، ٥١ .
- بطلميوس : ٥٢ ، ٥١ .
- بطلميوس الجغرافى : ٩٧ ، ٦٦ .
- البعثات التبشيرية : ١٠ ، ٧٣ ، ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٧٥ .
- بعنخى / الملك : ٤٥ .
- بكين : ٢٩ .
- البلجيك : ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢٠٣ .
- بلومفونتين : ١٩٨ .
- بليني / المؤرخ : ٨ .
- بناء الامبراطوريات : ٩ .
- بنغازي : ١٧٣ .

## [ ت ]

- بيكر / متر ومسار : ١٧٩ .  
بيوري : ٨٩ .  
باتابوليس / المدن الليبية الخامسة : ٤٩ .  
البنجاب : ٥١ .  
بنجويلا : ١٤١ .  
بنو سليم / قبائل : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .  
بنو مرین : ٩١ ، ١١٤ .  
بني هلال / قبائل : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .  
بنيوي / نهر : ١٧٥ ، ١٨٦ .  
بنين : ١١ ، ١٤٥ ، ٢٢٢ .  
بوانا / مملكة : ١٤٦ .  
بوانيه / فيلكس هوغوريه : ٢١٦ .  
بوتوا / مملكة : ١٤٥ ، ١٦٩ .  
بوجندا / مملكة : ٩ ، ١٠٢ ، ١٧٩ .  
بوجي / مدينة : ٨٧ .  
بورونوه / مملكة : ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٩٧ .  
بوروندي : ١٣٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٤١٥ .  
بوسا : ١٥٨ ، ١٧٥ .  
البوشمن / قبائل : ٣٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٤٩ .  
بولا بن آموس : ١١ .  
البولالا / قبائل : ١٠٥ .  
بوليبيوس / المؤرخ : ٨ .  
بومبي / الروماني : ٥١ .  
البوير : ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ .  
بیافرا : ٢١٨ .  
بيرتون : ١٧٦ ، ١٧٩ .  
البيزنطيون : ٧٥ ، ٨٧ .  
بسانلوجو : ١٨٥ .  
تادمكـة / مدينة : ٩١ .  
تاكيـدا / مدينة : ١٠١ .  
تازانيا : ٢١ ، ١٤٩ ، ٢١٦ .  
تجارة العبيد : ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٩ .  
الزانـفالـ : ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ .  
تركـياـ : ٤٣ .  
ترنيـفـانـ : ٢٩ .  
تسوانـاـ : ١٩٣ .  
تشـادـ [بحيرة / دولة] : ٤٣ ، ٤٣ ، ٧٩ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٩٧ .  
التكلـبـ عـلـىـ أـفـرـيـقـيـاـ : ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ .  
التـلـ المـكـسـورـ : ٣١ .  
نمـوكـتوـ / مـدـيـةـ : ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٣ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٩٧ .  
تجـانـيقـاـ [بحـيرـةـ وـإـقـلـيمـ] : ١٠ ، ٢٢ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .  
تـوبـوـ / قـبـائلـ : ٢٢٢ .  
تونـسيـ / قـبـائلـ : ١٤٩ .

توجو : ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢١٩

توبولاند : ٢٠٣

توركانا / بحيرة : ١٤٤ ، ٢١

تووكولور / قبائل : ٨٥

تونس : ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٧٣

، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٢٩

، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢١٦

. ٢١٧

. ١٢٩

تيودور الثاني / ملك الحبشة : ١٨٤

الملايو . ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧

، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٩

، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١١

، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١

جزر الأزور : ١١٠

جزر البولينيز : ٧٠

جزر تيدرا : ٨٥

جزر رأس ثيرد : [أنظر أيضاً الرأس الأخضر /

وكيب ثيرد] : ٢٢١

جزر ساوتومي وبرنسيب / مجموعة : [أنظر أيضاً

ساوتومي وبرنسيب] : ١٣٧

جزر الكناري : ٦٥ ، ١١٠

جزيرة أرجوين : ١١٠

جزيرة فراناندو بو : [أنظر أيضاً فراناندو بو]

، ١١٤ ، ٢١٦

جزيرة ماديرا : ١١٠ ، ١٣٧

جزيرة مايوت : ١٧٣ ، ٢٢٢

جعفر نميري : ٢١٧ ، ٢١٨

جال عبد الناصر : ٢١٧

جمعيات سرية : ٨٣

جمهورية أفريقيا الوسطى : [أنظر أيضاً إمبراطورية

أفريقيا الوسطى] : ٢١٢ ، ٢٢٢

. ٢١٦ ، ٢١٦

الجمهورية العربية المتحدة : ٢١٢ ، ٢١٢

جندل النيل : ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٩٥ ، ١٢٥

، ١٩٠

جنوب أفريقيا : ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٢١

، ٢٢٥ ، ٢٢٥

جنوب غرب أفريقيا : ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٥

، ٢٢١

چوان چوزيف : ١١

## [ث]

الثليبات : ١٧

الثورة المهدية : ١٩٠

## [ج]

الجاپون : ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١٢

جادش / قادش : ٦٥

الجالا / قبائل : ١٣٤

جامبيا : ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢١٥

. ٢٩

جبال أطلس : ١٧٠ ، ١٧٣

جبال الألب : ٥٢

جبال دراكتريج : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٣

جبل طارق / مضيق : ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠١

. ٧٦

الجرابيات / الحيوانات ذات الكيس : ١٧ ، ١٩

## [خ]

- خاصو : ١٥١ .  
 الخديوي إسماعيل : ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .  
 الخرطوم : ٢١٨ ، ٢١٩ .  
 الخلفاء الراشدون : ٧٣ .  
 الخلافة العباسية / العباسيون : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ .  
 خليج سالدانها : ٣١ .  
 خليج عدن : ٢١ ، ٦٥ ، ٦٦ .

## [د]

- الدار البيضاء : ٢٩ .  
 دارفور : ٩٥ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ١٨٣ ، ٢٠٣ ، ١٩٨ ، ١٩٧ .  
 دارون / تشارلس : ٢٥ .  
 الدانوب / نهر : ٥٥ .  
 داهومي [المملكة/ والدولة] : ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢١٢ .  
 دلنا التيل : ٦٥ .  
 دبلادو / البرتغالي : ٩ .  
 دفلة : ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٥ .  
 الدنكا / قبائل : ١٦٣ .  
 الدنماركيون : ١٦٤ .  
 دولة أورانچ الحرة : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠١ .  
 ديلافوس : ٩ .  
 دينجاني / الملك : ١٦٩ .  
 ديرجو كاو : ١١٧ ، ١١٨ .

- جوبا الثاني / الملك : ٦٥ ، ٥٥ .  
 جوير : ١٠٥ ، ١٢٢ .  
 چوستيان / الامبراطور : ٧٣ .  
 چوليوس نيريرى : ٢١٦ ، ٢١٨ .  
 جوموكيناتا : ٢١٦ ، ٢١٨ .  
 چون الثاني / ملك البرتغال : ١١٧ ، ١١٨ .  
 چون الرابع / ملك الحبشة : ١٨٤ .  
 جوندوانالاند : ١٧ ، ١٩ .  
 جوندوكورو : ١٧٩ .  
 چيروقى : ٢٢٢ .  
 جيريت شيزرى : ١١ .  
 چيفى / مدينة : ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٦٢ .

## [ح]

- الجاج عمر : ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٤ .  
 الحاميون : ٣٥ .  
 الحبشه : ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ .  
 الحبيب بورقيبة : ٢١٦ .  
 الحرب العالمية الأولى : ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ٢١٩ .  
 الحرب العالمية الثانية : ٢٠٧ .  
 حروب الكافير : ١٥٢ .  
 الحفصيون : ٩١ .  
 حوض الكونغو : [أنظر نهر الكونغو / نهر زاير] : ٣٥ .  
 الحشيشون : ٤٣ .

[ر]

راداما الأول / الملك : ١٦٢ .  
رأس براسم : [انظر أيضاً رأس دبلادو] : ٦٦ ، ٩٧

رأس بوجادور : ٦٦ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ .  
رأس جاردافى : ٦٦ .

رأس دبلادو : ٦٦ ، ٩٧ .

رأس الرجاء الصالح : ١١٨ ، ١٢١ .

رأس سانتا كاترينا : ١١٤ ، ١١٧ .

رأس سانتا ماريا : ١١٧ .

رأس الصليب : ١١٨ .

رأس العطور [انظر أيضاً رأس جاردافى] : ٦٦ .

رأس قيرد / الرأس الأخضر / كيب قيرد : ١٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

راند : ١٩٨ .

الراين / نهر : ٥٥ .

الرباط : ٢٩ ، ٨٥ .

ريطه : ٦٦ .

الرياحاف : ١٩٧ .

رشاش مكسيم : ١٨٧ .

رواندا : ١٣٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

روبرت / المؤرخ : ٩ .

روديسيا / روبيسي الشمالية / روبيسي الجنوبية :

٩٢ ، ٩١ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٩٨ .

٢٢١ ، ٢١٥ .

روكوا / بحيرة : ٢٢ .

الروماني : ٨ ، ٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٣ .

٧٥ ، ٧٣ ، ٦٩ ، ٦٦ .

. ١٧٩ / ريون / شلالات : .

ريو مون : ٢١٦ .

ريونيون / جزر : ١٤٦ ، ١٣ .

[ز]

زاير [نهر / دولة] : ٣٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١١٧ .

١١٨ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٧ .

١٩٠ ، ٢١٨ .

زاما / بتونس : ٥٢ .

زامبيا : ١٠ ، ٣١ ، ١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

٢٢١ .

زامبيزي / نهر : ٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٥٨ .

١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

الزاندي / قبائل : ٥٦ ، ٥٥ .

زايرا / مدينة : ١٠٥ ، ١٢٢ .

زناته / قبائل : ٨٩ ، ٩١ .

زنجبار [جزيرة / واقليم] : ١٠ ، ٦٦ ، ٦٦ ، ١٧٣ .

١٧٩ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٩٤ .

٢١٦ ، ٢١٥ .

الزنوج / قبائل : ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٩ .

٨٥ ، ٩١ ، ١٤٥ .

١٥٥ .

الزولو / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٧ .

الزيانيون : ٩١ .

الزيريون : ٨٥ ، ٨٧ .

زيلع : ١٢٥ .

الزيبا / قبائل : ١٣٤ .

زيمبابوى / زيمبابوى الكجرى : ٩١ ، ١١٠ ، ٢٢١ .

[ س ]

- الستوسيون : ٢٠٣ .  
 السواحل / لغة : ٧ .  
 سوازيلاند : ٢١٥ ، ٢٠٧ .  
 سواكن : ١٨٣ .  
 سوبوا [ مملكة / إمارة ] : ١٢٢ ، ١٢٦ .  
 السوتور / قبائل : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٩٣ .  
 سوجا / القنس الأثريقي : ١٠ .  
 السودان : ٣٩ ، ٩٥ ، ٨٩ ، ٧٩ ، ٧٥ ، ٦٣ ، ٣٩  
                   ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٩  
                   ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١  
                   ، ٢١٨ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣ .  
 السوسو / قبائل : ٨٩ ، ٩١ .  
 سوقلا / سفالة الزنج / مدينة : ٩٢ ، ٩٧ ، ١٢١ .  
 سوكوتور / مدينة : ١٦٢ .  
 سومطرة : ٧٠ .  
 سوندياتا / الملك : ٩١ .  
 السونغاي [ مملكة / وقبائل ] : ٧٩ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٥  
                   ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٣ .  
 السونينكي / قبائل : ٥٦ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٩ .  
 السويس : ٨٧ .  
 سيجو / مملكة : ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٨ .  
 سيفيليسا / مدينة : ٨٥ ، ١٠١ .  
 سيراليون : ١١٠ ، ١٦٤ ، ٢١٥ .  
 سير جون جراري : ٩ .  
 سيرينابيكا / برقة : ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٧ .  
                   ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .  
 سيسيل رودس : ٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ .  
 سيشل / جزر : ٩٣ .  
 ساحل الذهب : ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ٢١١ .  
 ساحل العاج : ٩ ، ١٠ ، ١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢١٦ .  
 ساحل العبيد : ١٤٥ .  
 الساحل العشبي : ٣٩ ، ٩٧ ، ٧٦ ، ٥٢ ، ٤٣ ، ٢١٧ ، ١٣٧ ، ١٣٠ ، ١٠٦ .  
                   ، ٢٢٥ .  
 صالح القرفة : ٦٥ .  
 مالازار : ٢٢١ .  
 ساموا : ٧٠ .  
 ساموري توري : ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .  
 الساميون : ٣٥ ، ٤٩ .  
 ساو تومي وبرنسيب / مجموعة جزر : ١٤ ، ٢٢١ .  
 سبتة : ١٠٩ .  
 سيبك : ١٧٦ ، ١٧٩ .  
 ستانلي / هنري مورتون : ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٧ .  
                   ، ١٩٠ .  
 السدود / منطقة : ٩٥ ، ٦٦ .  
 سرجون الأكبر / الملك : ٤٣ .  
 السكانا : ١٤٦ .  
 السلقيون : ٥١ .  
 سليمان / الملك : ٩٥ .  
 السنغال [ نهر / دولة /إقليم ] : ٩ ، ٧٥ ، ٥٦ ، ٧٦  
                   ، ٩٧ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٠ .  
                   ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ .  
                   ، ٢١٦ ، ٢١٢ .  
 السنوسى / الملك : ٢١٧ .  
 السنوسية : ١٧٣ .

سيفاوا / قبائل : ٨٩  
سيكتورى : ٢١٦  
سينا : ١٢٩  
سيوه : ٥١

صمويل بيكر : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٣  
صمويل جونسون : ١٠ .  
صنایعه / قبائل : ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ .  
صور : ٦٥ ، ٤٥ .  
الصومال / الصوماليون : ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٤  
، ٢٠٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٨ ، ١٩٤ ، ١٩٤  
. ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢٠٨  
الصين : ٢٩ .

## [ ش ]

شارى / نهر : ١٧٥  
شاكا / الملك : ١٦١ ، ١٦٩  
شاما : ١٢٩  
شاميانزى : ٢٥  
شبه الجزيرة العربية : ٢١ ، ٤٩ ، ٣٥ ، ٧٣ ، ٤٩  
، ٧٣ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٤٦  
الشرق الأدنى : ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠١  
الشعوب الأندونيسية : ٦٩  
الشعوب التشادية : ٤٣ ، ١٠٥  
الشعوب النيلية الصحراوية : ٣٥ ، ٤٣ ، ٧٩  
، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٣٠ ، ١٥٥  
شلال جوبا : ٧٥  
الشونا [ مملكة / وقبائل ] : ٩٢ ، ١١٠ ، ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٦٩  
شيخ أحمدو : ١٩٤ ، ١٩٧  
الشيعة : ٨٣ .

## [ ض ]

ضيافانو : ٨٩ .

## [ ط ]

الطاسيل / قبائل : ١١٤  
طرابلس / تريپوليتانيا : ٤٩ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥  
، ٨٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٥  
، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٠ ، ١٤٩  
طبجة : ١٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤  
طهراقا / الملك : ٤٥ .  
الطوارق / قبائل : ٧٩ ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، ٢٢٢

## [ ع ]

عنان دان فوديو / الملك : ١٦٢  
العثمانيون : ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٤٥  
، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠  
، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٨٣  
عدال / عدوى / أدوليس : ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤  
عدن : ١٢٥ ، ١٨٣ .

## [ ص ]

صحراء كالاماري : ٣٥ ، ٥٩  
صقلية : ٤٥  
الصلبيون : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٢٥

العدوان الثلاثي : ٧.

عدوه : ١٩٨ ، ٢٠٧.

العراق : ٨٧.

العرب : ٢٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ،  
١٢٦ ، ١٠٩ ، ٩٧ ، ٩٢ ، ٨٧ ، ٨٣  
، ١٣٧ ، ١٧٥ ، ١٣٤.

عرب بيت عبد الله / قبائل : ١٢٢ ، ١٢٦.

عرب جهينة / قبائل : ٩٥ ، ١٢٢.

عرب الشاوية / قبائل : ١٣٠.

عصب : ١٨٦.

عصبة الأم : ٢٠٣ ، ٢١٥.

عصر البرونز : ٤٦.

عصر الحديد : ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٣.

الصور الجلدية : ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢.

الصور الحجرية [القديم والوسطى والحديث] :  
٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٩٥.

عل الأكابر / الملك : ١١٣ ، ١١٢.

العانيون / عمان : ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ١٧١ ،  
١٧٣.

عبدى أمين : ٢٢٢.

## [ غ ]

غانا [المملكة القديمة / والجمهورية] : ٧٩ ، ٧٦  
، ٨٩ ، ١١٣ ، ٩١ ، ٨٧  
، ١٤٩ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢١١ ،  
٢٢٢.

غوريلا : ٢٥.

غينيا : ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٢٩ ، ١٩٤ ،  
٢١١.

## [ ف ]

فاروق الأول / الملك : ٢١١٢.

فاسكوف ده جاما : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥.

فالشوده : ١٩٧.

الفاطميون : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩.

الفانق / قبائل : ١٦٤.

الفانج / قبائل : ١٨٩.

القاندال : ٥١ ، ٦٩ ، ٧٣.

الفرات / نهر : ٥٥.

فرانسيسكو لاسيردا : ١٥٨.

الفرس : ٤٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٥.

فرناندو يو / جزيرة ١٤١ ، ١٦٥ ، ٢١٦.

الفرنسيون : ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٦٣.

١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧.

٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٧ ، ١٩٤ ، ١٨٩.

٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢١١.

. ٢٢٢.

فريتاون : ١٦٤ ، ١٦٥.

فزان / واحات : ٥٥ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ١٦٣ ، ١٧٠.

. ١٧٣.

فلسطين : ٣٩ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٥١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢.

فوتا تورو : ١٥١.

فوتا پحالون : ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٩٤.

القردو / عقيدة : ١١.

قرود الإيب : ٢٦ .  
 قرود البابون / الرئاح : ١٩ .  
 قرود بابيون : ٢٥ .  
 قرود بطيءون : ٢٥ .  
 قرود الشاكرا : ٢٥ .  
 القرود العنكبوتية : ١٩ .  
 قرود القشة : ١٩ ، ٢٥ .  
 قرود الليمور : ١٩ .  
 قرود المارموست : ٢٥ .  
 قرود المانكي : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ .  
 قرود المكاك : ١٩ ، ٢٥ .  
 قرود الميمون : ٢٥ .  
 قرود المبار : ١٩ .  
 قبيز : ٤٩ .  
 قناة السويس : ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٠٧ .  
 القوطيون : ٦٩ ، ٧٣ .  
 قيصر / يوليوس : ٧٥ ، ٥١ .

## [ ك ]

كاتسينا : ١٠٥ ، ١٢٢ .  
 كارل رياندورف : ١٠ .  
 كازمبى / قرية : ١٥٨ .  
 كالنجيون / قبائل : ٩٥ .  
 الكاميرون : ٢٠١ ، ١٩٠ ، ١٨٧ ، ٥٥ .

الفولاف / قبائل : ١٥١ ، ١٣٠ ، ١٠٥ ، ٥٦ ، ١٧٣ .  
 قولتا السوداء : ١١٣ .  
 قولتا العليا : ٢١٢ ، ٥٦ .  
 الغونج [ مملكة / وقبائل ] : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٤٩ .  
 فيكتوريا / بحيرة : ٢١ ، ٩٥ ، ٥٩ ، ٥٦ ، ٢٢ .  
 فيكتوريا / مملكة المجلة : ١٨٤ .  
 الفينيقيون / فينيقيا : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٦٥ .

## [ ق ]

القاهرة : ٨٣ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٥١ .  
 القبائل الپرمانية : ٦٩ .  
 قدماء المصريين : ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ .  
 القرد الأفريقي : ٢٥ .  
 القرد العرب : ٢٥ .  
 القرطاجيون / قرطاج : ٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٢ .  
 القرن الأفريقي : ٦٠ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ١٣٤ ، ٢٠٧ .  
 القردة العليا : ١٩ ، ٢٥ .  
 القرود : ١٩ ، ٢٥ .  
 القرود الأمريكية : ١٩ ، ٢٥ .

. ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٠٣ .  
 كامن / مملكة : ٧٩ ، ٨٩ ، ١٣٤ .  
 كانو : ١٠٥ ، ١٢٢ .  
 الكافوري / قبائل : ١٠٥ ، ٧٩ .  
 سرداان : ٩٥ ، ١٤٩ ، ١٥١ .  
 كريستوف ده بجاما : ١٢٦ .  
 كريستوف كولومبوس : ١٢١ ، ١٢٥ .  
 كرونيكال : ١٢ .  
 كمرنا : ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .  
 كلاريدج / البريطاني : ٩ .  
 كمبل : ١٨٦ ، ١٨٧ .  
 كندا : ٢٥ .  
 كواهي نكروما : ٢١٨ ، ٢١٦ .  
 كودوك : ١٩٧ .  
 الكوشيون / التزييون / النوبة : [أنظر أيضاً التزيين والنوبة] : ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٦٣ ، ١٥٥ .  
 كولين ماكيشدي : ١١ .  
 كوماسي / قبائل : ١٤٩ ، ١٨٥ .  
 كوموروس / جزر القمر : ١٤ ، ٩٧ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ، ١٩٨ .  
 الكونغو [ملكة / ونبر] : [أنظر أيضاً زاير] : ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٩٧ .

## [ ل ]

لادو : ٢٠١ ، ١٩٧ .  
 لاجوس : ١٨٦ .  
 لاندر / الأخوان : ١٧٥ .  
 لاوراسيا : ١٧ .  
 لبنان : ٦٥ .  
 لغة الأكان : ٥٦ .  
 لغة الإيجبو : ٥٦ .  
 لغة الجيز : ٤٩ .  
 لغة القرمة / الطقطقة : ٥٩ ، ١٦١ .  
 لغة الكرو : ٥٦ .  
 لغة الكوا : ٥٦ .

كولين ماكيشدي : ١١ .  
 كوماسي / قبائل : ١٤٩ ، ١٨٥ .  
 كوموروس / جزر القمر : ١٤ ، ٩٧ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ، ١٩٨ .  
 الكونغو [ملكة / ونبر] : [أنظر أيضاً زاير] : ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٩٧ .

- لغة الملاجاشي : ٦٩ .
- لنجستون : ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .
- اللغات الحامية : ٤٣ .
- اللغة الفولية : ٥٦ .
- اللغة الماندية : ٩١ .
- اللو / قبائل : ١٣٣ .
- اللوزى / مملكة : ١٦٩ .
- لوالبا / نهر : ١٨٣ .
- لواندا : ١٢٩ ، ١٤١ .
- ليبيا : ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ .
- ليبيريا : ١٦٤ ، ١٦٥ .
- ليسونتو : ٢١٥ .
- ليوبولد سنجرور : ٢١٦ .
- ليوبولد / ملك بلجيكا : ٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ١٩٧ .
- [ م ]**
- ماتابيليلاند : ١٩٤ .
- الماداي / قبائل : ٩٥ .
- ماراثي [ مملكة / وحيرة ] : ١٣٤ ، ١٦٩ ، ١٧٥ .
- مارفي / المؤرخ : ٩ .
- الناساي / قبائل : ١٤٩ ، ١٨٥ .
- ماسيتا : ١٦٢ ، ١٨٥ .
- ماشونا لاند : ١٩٤ .
- ما قبل القرديات : ١٩ .
- الماكولولو / قبائل : ١٦٩ .
- مالاجاشي : ٩٧ ، ١٥٥ ، ٢١٢ .
- مالاوي : ١٦٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
- المالطيون : ١٧٣ .
- مالى [ مملكة / وامبراطورية / جمهورية ] : ٧٩ ، ٩١ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ٢١٢ ، ١١٣ .
- ماليندى : ١٢٢ ، ١٣٤ .
- المالينكى / قبائل : ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ ، ٨٧ .
- الماندى / قبائل : ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٤٩ ، ١٩٤ .
- الماندينجو / قبائل : ٧٩ .
- مانزيكرت / موقعه : ٨٧ .
- مانسا كانكان / الملك موسى الأسود : ٩١ .
- مثلث عفار : ٢١ .
- مجموعة غرب الأطلنطي / لغات : ٥٦ .
- بعدلا / قلعة : ١٨٤ .
- محمد بلو : ١٦٢ .
- محمد توري / الملك : ١٢٢ .
- محمد عَزِيز : ٨٣ ، ٧٣ .
- محمد العزب موسى : ١١ .

- الغرب : [أنظر أيضاً مراكش] : ٣٩ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٥ ، ٦٥ ، ١٣٣ ، ١١٤ ، ١٠٩ ، ١٠١ ، ٩١ ، ٢١٦ ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٣٧ ، ٢٢١ .

مقدونيا : ٥١ .

مقديشيو : ٨٧ ، ١٠١ .

مكة : ٧٦ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٧٦ .

مكسيم / مدفع رشاش : ١٨٧ .

الماليلك : ٩٢ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٢ .

منابي / مملكة : ١٤٦ .

متاجم الملح الصخري : ٧٥ .

النصرور : ١٣٣ ، ١٣٤ .

منطقة البحيرات : ١٧٥ ، ١٧٦ .

منظمة الوحدة الأفريقية : ٢١٩ .

منيليك / ملك الحبشة : ١٩٤ ، ١٩٨ .

اللهدي : ٨٣ .

اللهدية / مدينة : ٨٣ .

اللهدية / والمهديون : ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

موتابا / مملكة : ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ .

موتسا / الملك : ١٧٩ .

موسيقى : ١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٦ ، ٢٢١ ، ٢١٥ .

مؤتمر برلين : ١٩٣ ، ١٩٠ .

محمد علي باشا : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠ .

المحبيات : ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ١٧٣ .

معدشرقر [الجزيرة والمدغشقريون] : ١٤ ، ١٩ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ٢١٢ ، ١٩٨ ، ١٧٣ .

المديرية الاستوائية : ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٧ .

مدينة : ١٧٣ .

المرابطون : ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ .

مراكش : [أنظر أيضاً المغرب] : ٣٥ ، ٨٠ ، ١٤٢ ، ٩١ ، ٨٥ ، ٨٣ .

المروج العليا : ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

مروري : ٤٩ ، ٦٦ .

مرينا / مملكة : ١٦٢ .

مصر : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٨٩ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٥ ، ١٢٥ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ١٨٠ ، ١٧٥ ، ١٧٠ ، ١٦٣ ، ٢٠٧ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٢ ، ٢١١ .

متصوّع : ٥٢ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

معركة الكزار الكبير : ١٣٣ .

معركة الملوك الثلاثة : ١٣٣ .

معصر القذافي : ٢١٧ .



## [ ه ]

هاستنجرس باندا : ٢١٦ ، ٢١٨ .

هانيبال : ٥٢ .

هاواي : ٧٠ .

هایدلبرج : ٢٩ .

المرورو / قبائل : ١٣٠ .

مضبة الحشة : ٢١ .

المند : ٥١ .

هنري الملائج : ١٠٩ ، ١١٠ .

هنريش بارث : ١٧٥ .

هوارى يومدين : ٢١٧ .

هونتيج : ٣٢ .

الهوتستوت / قبائل : ١٤٩ ، ١٦١ .

هونتو / قبائل : ١٤٩ .

الموسما / قبائل : ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٢٢ .

المولانديون : ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٦٩ .

هيئة الأمم المتحدة : ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٥ .

هيرودوت : ٦٧ ، ٨ .

هيلاسلاس : ٢٢٢ .

## [ و ]

واحات فزان : ٥٥ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣ .

واحة جنوبوب : ١٧٣ .

واحة الكفرة : ١٧٣ .

الوادى [ مملكة / وقبائل ] : ١٤٢ ، ١٧٣ .

وادى الأردن : ٣٩ .

وادى دراع : ٧٥ .

والاتا/ مدينة : ٩١ ، ٨٩ .

الوجهـ البحرى / مصر : ٤٥ ، ٤٠ .

الوجهـ القبلى / مصر : ٩٥ ، ٨٣ ، ٤٥ ، ٤٠ .  
١٣٠ .

الولوف / قبائل : ٥٦ ، ١٠٥ .

وهران : ١٢٩ .

الويتو / قبائل : ١٩٠ ، ١٩٣ .

## [ ي ]

العين : ٦٩ ، ٦٩ ، ٧٣ .

اليوروبا / قبائل : ١٠ ، ١٠ ، ١٤٥ ، ٥٦ ، ١٤٩ ، ١٦٢ .

بوليوس قصر : ٧٥ .



## محتويات الكتاب

٥	- مقدمة المترجم .. .. .. .. ..
١٣	- مقدمة المؤلف .. .. .. .. ..
	المؤلف . كولين ماكيليدى
١٧	- منذ ١٧٥ مليون سنة .. .. .. .. ..
١٩	- منذ ٥٠ مليون سنة .. .. .. .. ..
٢١	- منذ ٣ مليون سنة .. .. .. .. ..
٢٥	- منذ ١,٥ مليون سنة .. .. .. .. ..
٢٩	- منذ نصف مليون سنة .. .. .. .. ..
٣١	- منذ ٤٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٣٥	- سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٣٩	- سنة ٧٧٥ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٤٣	- سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٤٥	- سنة ٦٩٠ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٤٩	- سنة ٥٠٠ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٥١	- سنة ٤٠٢ قبل الميلاد .. .. .. .. ..
٥٥	- سنة ١ ميلادية .. .. .. .. ..
٥٩	- سنة ٢٠٠ م .. .. .. .. ..
٦٣	- التوزيع السكاني سنة ٢٠٠ م .. .. .. .. ..
٦٥	- الفرق بين سنة ٢٠٠ م في نظر الجغرابيين القدماء .. .. .. .. ..
٦٩	- سنة ٥٠٠ م .. .. .. .. ..
٧٣	- سنة ٦٥٠ م .. .. .. .. ..

- ٧٥ ..... - سنة ٧٥٠ م  
 ٧٩ ..... - سنة ٩٠٠ م  
 ٨٣ ..... - سنة ٩٧٥ م  
 ٨٥ ..... - سنة ١٠٥٥ م  
 ٨٧ ..... - سنة ١١٤٠ م  
 ٨٩ ..... - سنة ١٢٠٠ م  
 ٩١ ..... - سنة ١٣٤٠ م  
 ٩٥ ..... - سنة ١٣٥٠ م  
 ٩٧ ..... - إفريقيا في نظر جغرافي العصور الوسطى [سنة ١٣٥٠ م]  
 ١٠١ ..... - رحلات ابن بطوطة [١٣٢٥ - ١٣٥٣ م]  
 ١٠٥ ..... - سنة ١٤٠٠ م  
 ١٠٩ ..... - سنة ١٤٦٠ م  
 ١١٣ ..... - سنة ١٤٧٥ م  
 ١١٧ ..... - الرحلات البرقافية من عامي ١٤٨٢ - ١٤٨٨ م  
 ١٢١ ..... - رحلة ثناسكو ده چاما إلى الهند ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م  
 ١٢٥ ..... - سنة ١٥٤٠ م  
 ١٢٩ ..... - سنة ١٥٧٥ م  
 ١٣٣ ..... - سنة ١٦٠٠ م  
 ١٣٧ ..... - السكان والطرق التجارية سنة ١٦٠٠ م  
 ١٤١ ..... - سنة ١٦٦٠ م  
 ١٤٥ ..... - سنة ١٧٠٠ م  
 ١٤٩ ..... - سنة ١٧٥٠ م  
 ١٥١ ..... - سنة ١٨٠٠ م  
 ١٥٥ ..... - التوزيع السكاني سنة ١٨٠٠ م  
 ١٥٧ ..... - إفريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين سنة ١٨٠٠ م  
 ١٦١ ..... - سنة ١٨٣٠ م  
 ١٦٩ ..... - سنة ١٨٤٠ م  
 ١٧٣ ..... - سنة ١٨٥٦ م  
 ١٧٥ ..... - إفريقيا في نظر الجغرافيين الأوروبيين سنة ١٨٥٦ م  
 ١٧٩ ..... - الاستكشافات الأوروبية لمنطقة البحيرات شرق إفريقيا [١٨٦٠ - ١٨٧٣ م]  
 ١٨٣ ..... - سنة ١٨٧٨ م  
 ١٨٩ ..... - سنة ١٨٨٥ م  
 ١٩٣ ..... - سنة ١٨٩٠ م

- ١٩٧ . . . . . - سنة ١٩٠٠ م  
 ٢٠١ . . . . . - سنة ١٩١٤ م  
 ٢٠٣ . . . . . - سنة ١٩٢٥ م  
 ٢٠٧ . . . . . - سنة ١٩٥٠ م  
 ٢١١ . . . . . - سنة ١٩٦٠ م  
 ٢١٥ . . . . . - سنة ١٩٧٠ م  
 ٢٢٥ . . . . . - التوزيع السكاني سنة ٢٠٠٠ م.  
 ٢٢٧ . . . . . - فهرس تصنيفي باسماء الأماكن والأعلام



## كتب للمترجم

أولاً : في الفن والأدب والتاريخ :

- ١ - ألوان من النشاط المسرحي في العام .
- ٢ - خيال الطفل والعرائس في العالم .
- ٣ - زرع النوى - « رواية أدبية » .
- ٤ - الرقص والحضارة - دراسة تاريخية . فولكلورية . إثنولوجية .
- ٥ - مساخر من العاصمة والأقاليم - « مجموعة قصصية » .
- ٦ - عذراء سرايوم - « مجموعة قصصية » [ تحت الطبع ] .
- ٧ - الشودو .. وأعمال السحر في أفريقيا - « مترجم » - تأليف : جيرت شيزى .
- ٨ - الإسلام في ممالك وأمبراطوريات أفريقيا السوداء - « مترجم » - تأليف : چوان چوزيف .
- ٩ - أطلس التاريخ الأفريقي - « مترجم » - تأليف : كولين ماكيشلدي .
- ١٠ - المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الامبراطورية - « مترجم » - تأليف : الدكتور أحمد قدرى [ بالإنجليزية ] .
- ١١ - مصر والنيل في أربعة كتب عالمية .
- ١٢ - أوليفر توبيست - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٣ - الآمال الكبيرة - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٤ - ثورة على السفينة بونتي - « مترجم » - تأليف : وليم بلاي .
- ١٥ - توم سوير - « مترجم » - تأليف : مارك توين .
- ١٦ - مغامرات هكلبرى فين - « مترجم » - تأليف : مارك توين .
- ١٧ - رجال عظام ونساء عظيمات - « مترجم » - تأليف : ليزل ليفيت .
- ١٨ - ديفيد كورفيلد - « مترجم » - تأليف : تشارلس ديكنز .
- ١٩ - حقوق الإنسان - أسئلة وأجوبة - « مترجم بالاشراك مع عزة ثعلب » - تأليف : ليا ليشن .
- ٢٠ - فن الرسم عند قلماء المصريين - « مترجم » - تأليف : وليم بلوك وجون روس .

**ثانياً : في الاقتصاد والعلوم البحرية :**

- ١ - اقتصاديات النقل البحري - «طبعتان» .
- ٢ - أساسيات النقل البحري والتجارة الخارجية « طبعتان » .
- ٣ - قاموس المصطلحات الفنية البحرية .
- ٤ - قاموس المصطلحات التجارية الدولية .
- ٥ - دراسة تحليلية عن عقد البيع البحري «فوب» - «محاضرات» .
- ٦ - عمليات نقل البضائع على سفن الخطوط المتقطمة - «محاضرات» .
- ٧ - عمليات نقل البضائع على السفن المستأجرة - «محاضرات» .
- ٨ - أعمال المواني وعمليات الشحن والتغليف - «محاضرات» .
- ٩ - قطاع النقل البحري في مصر - «محاضرات» .
- ١٠ - محاضرات في البيوع البحرية .
- ١١ - سند الشحن .. دراسة تحليلية - «محاضرات» .
- ١٢ - القانون البحري - «مترجم» - تأليف : إيمانويل دفورسكي .
- ١٣ - تأجير السفن - «مترجم» - تأليف : بيير نوسوم .
- ١٤ - انتاجية الرصيف - «مترجم» - تأليف : دي مونيه .
- ١٥ - الرقابة على الأعمال البحرية عن طريق الميزانية - «مترجم» - تأليف : ج . سيموندز .
- ١٦ - سفن الحاويات والمواني المعدة لاستقبالها - «مترجم» - تأليف : أ . إيقانس .
- ١٧ - حساب الوقت والعوامل المؤثرة فيه - «تحت الطبع» .
- ١٨ - مصطلحات النقل البحري والتجارة الخارجية - «أربع طبعات» .

**المؤلف : كولين ما كيفيدي**

**ألف أيضا :**

- أطلس التاريخ القديم .
- أطلس تاريخ العصور الوسطى .
- أطلس التاريخ الحديث .

**وألف بالاشتراك مع آخرين :**

- أطلس تاريخ السكان في العالم .  
[ بالاشتراك مع رتشارد چونس ]
- أطلس تاريخ العالم .  
[ بالاشتراك مع ساره أطلس ما كيفيدي ]



مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع دار الكتب ٨٧/٢٣٦٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٢٨٧ - ٩



يظهر من مقدمة الكتبة الأولى الأمريكية . صدور تاريخ قلم كرة المينا والتاريخ الخاص ببعض المحقق والمعرب الأمريكي ، إلا أن عمليات التفسير من هذه الكتبة لا يهم بعد في هذه المرة .

وأنفس الشیع الأفروی . بعض واحداً من أمه الكثب على صدرت  
السواءات الأسود . وذلك لعدة المتعة والذکر الشديد في هذه  
النطيرات الراوية له . وهو أول كتاب يصر باللغة العربية متادلاً للتاريخ  
الأفريقي بكل أحسن مذهب بالسخاخط . وقام على عينه ، الحكمة والكتاب ،  
حيث تفتح المعلومات التاريخية لهذا السائلها الرئيس وهي طرفة عين  
الذرين تعلم كل علمي ثابت المتصفح . لأنها تبيع معرفة التاريخ في  
شكل على مستحدث ، ولن تكل حكاية تكرر أحداث رشحها بغير  
ذلك علائق طويلاً من المسن . من تاريخ أفريقيا والأفارقة .